العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

[٣]

الطّبعَة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة الغرباء
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥١٨٤٠٥٠

الدار الأثرية
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥٩٤٣٤٥٦

مكتبة الإمام الذهبي
الإمارات - أبو ظبي
ت: ٠٠٩٧١٥٠٦٨٢٠٢١٢

العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

مجموعةٌ من الخطبِ والمواعظِ في العقيدةِ
نصحني بها وأَمرني بطباعتِها
والدي وأستاذي وشيخي

محمدُ ناصرِ الدين الألباني

رحمه الله تعالى

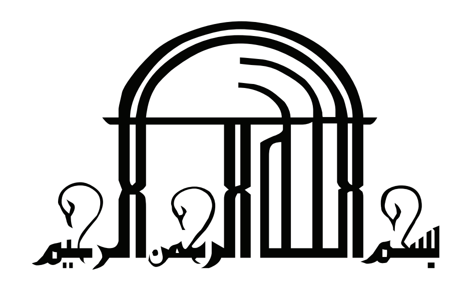
حَضرَها وقَرَأها وقدّم لها فضيلةُ الشيخِ
مشهورُ بنُ حسنِ آل سلمان ـ حفظه اللهُ

أعدَّها

«أبو إسلام»
صالح بن طه عبد الواحد
إِمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن
الأردن ـ عمان
ت: ٠٠٩٦٢٦٤٧٨٥٦٩٩

المجلد الثالث

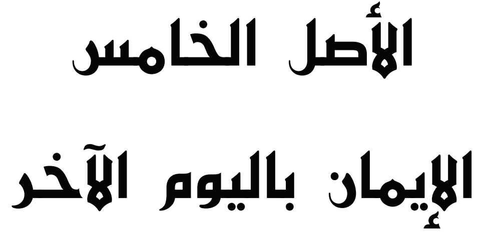
[الإيمان باليوم الآخر وصفات أهل الجنة]


بسم الله الرحمن الرحيم

الرموز المستخدمة في التخريج

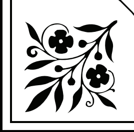
خ: صحيح البخاري.
م: صحيح مسلم.
د: سنن أبي داود.
ت: سنن الترمذي.
ن: سنن النسائي.
هـ: سنن ابن ماجه.
حم: مسند أحمد.
حب: صحيح ابن حبان.
خز: صحيح ابن خزيمة.
طب: المعجم الكبير للطبراني.
طس: المعجم الأوسط للطبراني.
طص: المعجم الصغير للطبراني.
ش: مصنف ابن أبي شيبة.
عب: مصنف عبد الرزّاق.
قط: سنن الدارقطني.
مي: سنن الدارمي.
ك: المستدرك على الصحيحين.
فع: مسند الشافعي.
ع: مسند أبي يعلى.
لس: مسند الطيالسي.
خد: الأدب المفرد للبخاري.
هب: شعب الإيمان للبيهقي.
هق: السنن الكبرى للبيهقي.
حل: حلية الأولياء لأبي نعيم.
(ص.ت): صحيح سنن الترمذي.
(ص.د): صحيح سنن أبي داود.
(ص.ن): صحيح سنن النسائي.
(ص.هـ): صحيح سنن ابن ماجه.
(ص.خد): صحيح الأدب المفرد.
(ص.غ.هـ): صحيح الترغيب والترهيب.
(ض.غ.هـ): ضعيف الترغيب والترهيب.
(س.ص): السلسلة الصحيحة.
(ص.ج): صحيح الجامع الصغير.
(ض.ج): ضعيف الجامع.
المشكاة: مشكاة المصابيح.
إرواء الغليل: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.
الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد.



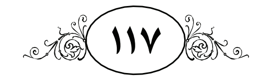


الأصل الخامس

الإيمان باليوم الآخر







الإيمان باليوم الآخر

عباد الله! منذ ثلاثين شهراً تقريباً بدأنا في سلسلة من المواعظ تحت عنوان: العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، وقلنا: إن العقيدة الصحيحة تقوم على أركان ستة وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وتكلمنا عن الركن الأول منها وهو: الإيمان بالله، وتكلمنا عن الركن الثاني وهو الإيمان بالملائكة، وتكلمنا عن الركن الثالث وهو: الإيمان بالكتب السماوية، وتكلمنا عن الركن الرابع وهو: الإيمان بالرسل الكرام، فتكلمنا عن أولي العزم منهم، وانتهينا بالحديث عن رسولنا محمد ﷺ، وقلنا: إن من إيماننا برسولنا ﷺ أن نأخذ بوصاياه، وأن نعمل بها، وأن نعضَّ عليها بالنواجذ، وتابعنا الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ وقد أنهينا الحديث عنها في الجمعة الماضية.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن الركن الخامس من أركان العقيدة ألا وهو الإيمان باليوم الآخر.**

أمة الإسلام! الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الصحيحة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ولقوله ﷺ لمّا سُئل عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١].

عباد الله! والمُنْكِرُ لهذا اليوم، والجاحد له كافر يحل دمه وماله

---

(١) **صحيح**: م: (٨).

وعرضه، وإن مات لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في قبور المسلمين؛ لأن من كفر باليوم الآخر فقد كفر بالله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

عباد الله: واليوم الآخر: هو اليوم الذي يبعث الله فيه الناس من القبور للحساب وللجزاء ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]. وقد خوفنا الله من هذا اليوم العظيم في كتابه، وأمرنا أن نستعد له؛ وأمرنا أن نتجهز له؛ فهو يوم شديد، يوم عظيم، يوم لا يعلم ما فيه إلا الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣]، فالله ﷻ يُخوفنا من هذا اليوم، ويأمرنا أن نتجهز له، وأن نستعد له، فهو يوم عظيم، ويوم شديد.

عباد الله! وقد أكثر الله من ذكر هذا اليوم في كتابه العزيز بأسماء متعددة تشيب منها الرؤوس: فهو يوم القيامة، ويوم الصاخة، ويوم الطامة الكبرى، ويوم الفصل، ويوم البعث، ويوم التلاق، ويوم التناد، وهو القارعة، وهو الحاقة، وهو الموقف العظيم بين يدي الله، وهو يوم تبلى السرائر، ويوم الحسرة، والندامة.

عباد الله! الآيات في كتاب ربنا كثيرة، والأحاديث في سنة نبينا كثيرة تخبر عن هذا اليوم العظيم، وتثبت هذا اليوم العظيم.

يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ ـ ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٦].

عباد الله! والناس في الإيمان بيوم القيامة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم من البشر ـ جعلني الله وإياكم منهم ـ صدَّقوا بهذا اليوم، وآمنوا به فاستعدوا له بالليل والنهار، وتجهزوا له بالأعمال الصالحة سراً وعلانية، وقد أخبرنا الله عنهم في كتابه لنكون مثلهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٧ ـ ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

وقال تعالى عن هؤلاء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١]، فهؤلاء الذين خافوا من هذا اليوم، وتجهزوا واستعدوا له، فسعدوا في الدنيا والآخرة.

فهم في الدنيا: دفعهم خوفهم من هذا اليوم العظيم، ومن الوقوف بين يدي الله للحساب وللجزاء إلى الاستقامة في الحياة الدنيا على الأعمال الصالحة، كما ومنعهم من اقتراف المعاصي فتزودوا بالتقوى ورحلوا من الدنيا على أحسن حال.

وأما يوم القيامة: إذا ما وقفوا في أرض المحشر، وتطايرت الصحف أخذَ كل واحدٍ منهم كتابه بيمينه وعندها سيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ﴾ ـ أي اعتقدت ـ ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٢].

● وهؤلاء في أرض المحشر يؤمنهم الله من الفزع الأكبر، فهم خافوا من يوم القيامة فأمنهم الله في يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣].

عباد الله! أما **القسم الثاني** فهم فريق من البشر صدَّقوا بيوم القيامة، وعلموا أنهم يبعثون بعد الموت، ولكن شغلتهم الدنيا، واتخذوا دينهم هزواً ولعباً وغرهم بالله الغرور، ركنوا إلى الدنيا فنسوا يوم القيامة، فلما نسوا يوم القيامة اقترفوا المعاصي والذنوب، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ [القيامة: ٥ ـ ٦]، فهؤلاء خرجوا من الدنيا على أسوأ حال فندموا عند الموت، وندموا في القبر وندموا يوم القيامة، وهؤلاء يقال لهم يوم القيامة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤].

أما القسم الثالث: فهم قوم من البشر أنكروا اليوم الآخر، وكذبوا به وقالوا: لا بعث ولا نشور، ولا حساب ولا جزاء، ولا جنة، ولا نار، وقالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٣٧]، واستبعدوا ذلك فقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد: ٥]، وقالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصافات: ١٦]، ولم يتوقفوا عند ذلك، بل أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت، فأقسم الله لهم بنفسه أنه سيبعث الخلق بعد موتهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم: ٦٨]، بل قد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ في ثلاثة مواضع في كتابه أن يقسم بالله أن الله يبعث الخلق بعد موتهم.

الموضع الأول: قال ـ تعالى ـ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

الموضع الثاني: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

الموضع الثالث: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ﴾ [يونس ٥٣]، فيقسم ربنا أنه سيبعث الخلق بعد الموت، ويقسم رسول الله ﷺ بربِّه أن الله يبعث الخلق يوم القيامة.

عباد الله! والذين كذبوا بالبعث، وأنكروا يوم القيامة توعدهم الله بالعذاب الأليم وبالويل في جهنم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [المطففين: ١٠ ـ ١٢].

بل قد أخبرنا الله ﷻ أنهم يندمون يوم القيامة ندماً عظيماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ

﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الصافات: ١٩ ـ ٢١]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣١]. بل ويوم القيامة يحشرهم الله ﷻ على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٧، ٩٨] وهؤلاء يُدخلُهم الله النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٧].

فيا ابن آدم، انظر حالك من أي قسم من هذه الأقسام أنت؟ هل أنت تكذب بيوم الدين؟ حاشاك أيها المؤمن!

هل أنت قد صدقت بيوم الدين، ولكنك انشغلت بالدنيا الفانية، وتركت طاعة الله ﷻ؟! إياك أن تكون من هؤلاء فيقال لك يوم القيامة! ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤].

أم أنت من الذين يصدقون بيوم القيامة؟ فَإِنْ كنتَ منهم فاستعدّ لهذا اليوم لأنك موقوف بَيْن يدي الله، ومَنْ علم أنه موقوف فليعلم أنَّه مسئول، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً.

ابن آدم!

مثلْ وقوفكَ يوم العرضِ عريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظٍ ومن حَنقٍ ... على العصاةِ وربُ العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدِ على مهلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

إخوة الإسلام! الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الصحيحة،

والإيمان باليوم الآخر أمر غيبي، المؤمن يصدق به، ويؤمن به؛ لأن الله أخبر في كتابه عنه، والرسول ﷺ أخبر عنه في سنته.

والله ﷻ أخبرنا في كتابه عن قدرته على إحياء الموتى بعد موتهم ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

أولاً: أخبرنا الله ﷻ أنه هو الذي بدأ الخلق، والذي بدأ الخلق قادر على أن يعيده مرة ثانية، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، فبداية الخلق دليل على قدرة الله على إعادته يوم القيامة.

ثانياً: في كل ليلة ننام ونستيقظ، فالنوم واليقظة دليل على الموت والبعث، فكما أننا ننام في كل ليلة، ونستيقظ في الصباح فكذلك نموت ونبعث يوم القيامة، واللهِ لتموتن كما تنامون، ولتُبْعَثُنَّ كما تستيقظون، ولتجزوُنَّ بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠]، فالإنسان إذا نام يقول: «**باسمِكَ اللَّهم أموت وأحيا**»(١).

ويقول: «**باسمك رَبّ وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»(٢).

فيا عبد الله، كما أنك تنام وتستيقظ في الصباح كذلك تموت وتبعث يوم القيامة للحساب والجزاء.

ثالثاً: وكذلك هذه الأرض التي نراها ميتة فإذا نزل عليها ماء المطر اهتزت وربت وأنبتت لنا من كل زوج بهيج، فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾، فكما أحيا الأرض بعد موتها كذلك يحيي الموتى بعد موتهم يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٩٦٥).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٩٦١)، م: (٢٧١٤).

رابعاً: وقد أخبرنا الله في كتابه أنه قد أحيا الموتى بعد موتهم ليتبين للجميع أن الله ﷻ قادر على إحياء الموتى يوم القيامة.

• فهذا قتيل بني إسرائيل ليس عنكم ببعيد، فقد قتل رجل من بني إسرائيل فقالوا: من الذي قتله؟ فقالوا: اسألوا موسى نبي الله، فقالوا: يا موسى من الذي قتل هذا الرجل؟ فقال: اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها، فلما فعلوا ذلك وضربوا الميت بجزء من البقرة قام حياً بإذن الله، فسأله موسى من الذي قتلك؟ قال: هذا ابن أخي قتلني ليرثني، فهذا ميت أحياه الله بعد ما مات.

• وهؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم.

• وإبراهيم عليه السلام الذي أمره الله ﷻ أن يأخذ أربعة من الطير فأخذها فذبحها وقطعها ثم دعاها فجاءته تَسعَىٰ بإذن الله، وعادت إلى ما كانت عليه بإذن الله، إن الذي أحيا الموتى في الدنيا قادر على أن يحيي الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء.

فيا عباد الله! وإذ نحن أيقنا وآمنّا أننا سنموت، ونبعث يوم القيامة للحساب وللجزاء، وإنما هي جنة أبداً أو نار أبداً، فلنستعد لهذا اليوم العظيم، يوم القيامة الذي يبدأ من الموت فإن من مات قامت قيامته، وبعد الموت لا عمل وإنما يبدأ الحساب والسؤال، أما في الدنيا فأنت في دار العمل.

عباد الله! إذا كان اليوم الآخر يبدأ بالموت فموعدنا إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة مع الحديث عن الموت والقبر، وعلامات الساعة الصغرى، وعلامات الساعة الكبرى، ثم يوم القيامة وماذا سيكون فيه؟ إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة ـ نسأل الله أن نكون منهم ـ وإلى أن يدخل أهل النار النار، نسأل الله أن لا نكون منهم.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



الموت

عباد الله! في الجمعة الماضية قلنا: إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الصحيحة، وقلنا: إن هذا اليوم، هو اليوم الذي يبعث الله فيه الخلائق للحساب وللجزاء، والذي ينقلنا من هذه الدنيا لهذا اليوم هو الموت، فالموت يا عبد الله هو الذي ينقلك من دار العمل وهي الدنيا إلى دار الحساب والجزاء، والقبرُ هو أول منازل الآخرة، فإن كان خيراً فما بعده خير، وإن كان شراً فما بعده أشر.

ابن آدم! الموت حق لا مرية فيه، فاستيقظ من نومك قبل فوات الأوان، فالله ﷻ أخبرك به في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ: «**يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به**»[(١)].

ونقول لك أنت يا صاحب المال عش ما شئت فإنك ميت، وأنت يا

(١) **حسن**: ك: (٤/ ٣٦٠)، لس: (١٧٥٥)، طس: (٤/ ٣٠٦)، هب: (٧/ ٣٤٨)، حل: (٣/ ٢٥٣)، [«س. ص» (٨٣١)].

صاحب الوزارة عش ما شئت فإنك ميت، وأنت يا صاحب الرئاسة عش ما شئت فإنك ميت، وأنت يا صاحب الملك عش ما شئت فإنك ميت، وأنت يا أيها العاصي عش ما شئت فإنك ميت، وأنت يا أيها الصالح عش ما شئت فإنك ميت، وليحب كلٌّ منا من شاء فإنه مفارقه، وليعمل كلٌّ منا ما شاء فإنه مجزي به.

عباد الله!

نسيرُ إلى الآجالِ في كل لحظةٍ ... وأيامنا تُطوى وهن مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطتُه الأمانيُ باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصبا ... فكيفَ به والشيبُ للرأسِ شاعلُ
ترحلْ من الدنيا بزادٍ من التقى ... فعمْرُكَ أيامٌ وهنُ قلائلُ

ابن آدم! إياك إياك أن تظن أنك ستفِرُ من الموت، إياك إياك أن تظن أنك ستهرب من الموت بمالك أو بجاهك أو بسلطانك أو بصحتك، فالله ﷻ يخبرك فيقول: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ [النساء: ٧٨].

ابن آدم!

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُه ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغنِ عن هرمزٍ يوماً خزائنُه ... والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ له ... والإنسُ والجنُ فيما بينها تردُ
أين الملوكُ التي كانت لعزتِها ... من كل أوبٍ إليها وافد إليها يفدُ
حوضٌ هنالِكَ مورودٌ بلا كَذبٍ ... لا بدَّ من ورده يوماً كما وردوا

أين الأنبياء؟ وردوا هذا الحوض فماتوا، أين الصالحون؟ وردوا هذا الحوض فماتوا، أين الجبابرة؟ وردوا هذا الحوض فماتوا، أين الظلمة؟ وردوا هذا الحوض فماتوا، أين الأقوياء؟ أين الأغنياء؟ أين الضعفاء؟ وردوا هذا الحوض.

ابن آدم! الموت يأتي بغتة في وقت لا يخطر لك على بال، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

فتجهز، وتزود، واستعد، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك، ومن غناك لفقرك، وعدَّ نفسك من أصحابِ القبور فالموت يأتي بغتة.

ابن آدم!

تزودْ من التقوى فإنكَ لا تدري ... إذا جن ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجر
فكم من صحيحٍ ماتَ من غيرِ علةٍ ... وكم من عليلٍ عاشَ حينا من الدهر
وكم من صغارٍ يرتجى طولُ عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهُم ظلمةَ القبر
وكم من فتى يمسي ويصبحُ ضاحكاً ... وقد نسجت أكفانُه وهو لا يدري
وكم من عروسٍ زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهُم ليلةَ القدر

ابن آدم! تذكر أن للموت سكرات أشد من ضرب السيوف، وأشد من نشر المناشير، وأشد من قرض المقاريض، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩]، ذلك ما كنت منه تهرب، ولكن أين المفر والإله الطالب؟! أين تهرب؟! أين تفر؟!

عباد الله: سكرات الموت لا يعلمها إلا الله.

- هذا هو رسولنا ﷺ في مرض موته يأخذ الماء البارد ويمسح على جبينه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**»[(١)].
- وهذا صحابي جليل وهو في سكرات الموت يصف حاله لولده

---

(١) **صحيح**: خ: (٤١٨٤).

فيقول: يا بني، والله لكأن السموات قد انطبقت على الأرض على صدري، يا بني لكأني أتنفس من ثقب إبرة، يا بني والله كأن غصناً من الشوك يؤخذ من قدمي إلى هامتي. فأي شدة تنزل بك يا عبد الله وأنت في سكرات الموت؟!

واعلم يا ابن آدم أن الموت إذا نزل بك، وبلغت الروح منك الحلقوم، فأنت أحد رجلين: إما أن تبشر بجنة عرضها السموات والأرض، وإما أن تبشر بنار حامية وحميم وزقوم، والله ﷻ قد أخبرنا في كتابه وصور لنا مشهداً من مشاهد الاحتضار، لتنظر يا ابن آدم مع أي الفريقين أنت عند سكرات الموت.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ ـ أي الروح ـ ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ﴾ ـ أيها الأهل ـ ﴿تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧]، أرجعوا هذه الروح يا ملوك الأرض، ويا معشر الوزراء، ويا معشر الأغنياء، ويا معشر الأقوياء، ائتوا بكل ما تملكون من قوة لترجعوا هذه الروح إلى الجسد مرة ثانية، ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: ٨٦ ـ ٩٦].

ابن آدم! إذا كنت ممن آمن إيماناً صادقاً واستقام على إيمانه حتى الموت، فأبشر وأنت في فراش الموت، فستتنزل عليك الملائكة من السماء قبل صعود الروح تبشرك ببشارات ثلاث، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ـ أي: عند طلوع الروح ـ ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ أي: مما تذهبون إليه من أهوال القبر، ويوم القيامة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ على ما تركتم من الأموال، والزوجات، والأولاد ـ ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

تعرف هذا يا ابن آدم قبل طلوع الروح وتبشر به، إذ ينزل ملك الموت ومعه الملائكة ومعهم كفن وحنوط من الجنة ويجلس عند رأسك أيها المؤمن التقي ويقول لك ملك الموت كما أخبرنا الرسول ﷺ: «**يا أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء فيأخذها** ـ أي: ملك الموت ـ **فإذا أخذها لم يدعوها** ـ أي: الملائكة ـ **في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب، فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله** ﷻ: «**اكتبوا كتاب عبدي في عليين**»[(١)]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطففين: ١٩ ـ ٢١].

أما الفاسق والظالم والمجرم والمتكبر والكافر إذا نام في فراش الموت وبلغت الروح الحلقوم نزلت عليه ملائكة من السماء يضربونه ويعذبونه عذاباً أليماً على وجهه وعلى دبره، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٥١﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ابن آدم! إذا كنت من هذا الصنف نزل ملك الموت وجلس عند رأسك، فإذا بلغت الروح الحلقوم يقول لك: أيتها النفس الخبيثة اخرجي

---

(١) **صحيح**: حم: (٤/ ٢٨٧)، ك: (١/ ٩٣)، ش: (٣/ ٥٤)، هب: (١/ ٣٥٥) [«ص.غ.هـ» (٣٥٥٨)].

إلى سخط الله، اخرجي إلى غضب الله، فتهرب روحك في جسدك فينتزعها ملك الموت فتتقطع معها العروق والأعصاب، فإذا صعدوا بها لعنتها الملائكة بين السماء والأرض ولعنها كل ملك في السماء، وإذا وصلوا إلى السماء لا تفتح لهم أبواب السماء فتطرح روحه طرحاً من أعلى ويقول الله ﷻ: «**اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى**»(١).

فيا ابن آدم! اختر لنفسك أتحب أن تبشر عند الموت بجنة عرضها السموات والأرض؟ أم تحب أَن تُبشر بنارٍ حاميةٍ؟.

عباد الله! الموت حق لا مرية فيه، وكلنا أيقن بالموت، وعلم أنه سيموت، ولكن القليل منا والله هو الذي يستعد لهذا الموت، كلنا يعلم أنه سيموت حتى الكافر يعلم أنه سيموت، ولكن من الذي يعمل لهذا الموت! من الذي يستعد لهذا الموت!

عبد الله! الموت هو أول مراحل الآخرة، فإن كان خيراً فما بعده خير، وإن كان شراً فما بعده شر، فإذا أردت أن تخرج من هذه الدنيا على أحسن حال، وأن تُسارع إلى طاعة الله، وأن تبتعد عن معصية الله، فعليك بالإكثار من ذكر الموت. قال ﷺ ناصحاً أميناً لأمته: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت**»(٢)، الذي يكثر من ذكر الموت والله لا يأكل الربا، الذي يضع الموت بين عينيه والله لا يضع على بيته (الستلايت)، الذي يكثر من ذكر الموت والله لا يسمح لابنته وزوجته بالتبرج، الذي يتذكر الموت والله لا يتخلف عن صلاة الجماعة، الذي يتذكر الموت والله لا يأكل لحوم الأبرياء بلسانه، الذي يتذكر الموت والله لا يقطع رَحِمَهُ، فاتقوا الله

(١) **صحيح**: [«ص. غ. هـ» (٣٥٥٨)] انظر الحديث بتمامه وقد تقدم تخريجه ص١٨.

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٠٧)، ن: (١٨٢٤)، هـ: (٤٢٥٨)، حم: (٢/ ٢٩٢)، حب: (٢٩٩٢)، ك: (٤/ ٣٥٧)، طس: (٦/ ٦٥)، ش: (٧/ ٧٨)، هب: (٤/ ٢١٤)، [«ص. ج» (١٢١٠)].

وأكثروا من ذكر هاذم اللذات الموت، فهذا رسولنا ﷺ كان يقول: «**أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه**»[1]، أي: أزفت الأزفة، أي: اقترب الوعد الحق، فمن أكثر من ذكر الموت أقبل على طاعة ربه، وابتعد عن معصية الله، فمن أكثر من ذكر الموت قلَّ عنده الكثير، وكثر عنده القليل، وعَلِمَ أنه من الدنيا راحل، وإلى ربه راجع، فتراه لا هم له في الدنيا إلا أن يتزود لسفره إلى الدار التي خرج أبوه آدم منها، وهي الجنة.

أما إذا نسينا الموت كما هو حالنا اليوم ـ إلا من رحم ربي ـ فتجد الإقبال على المعاصي والإعراض عن طاعة الله، وهذا الذي أقبل على المعاصي، وأعرض عن طاعة ربه، والذي لا يعرف المسجد إلا إذا جاءنا محمولاً على الأعناق، هذا سيندم ندماً شديداً عند موته ولكن في وقت لا ينفع فيه الندم، فالله ﷻ يخبرنا عن هذا المفرط، قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ لم أيها المفرط؟ ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾... يقال له: ﴿كَلَّآۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، فأنت يا عبد الله في دار عملٍ ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

• وهذا الآخر يقول: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

إخوة الإسلام! فالإنسان منا ينتقل من هذه الدنيا إلى القبر، وهناك في القبر ماذا سيكون من الامتحان والابتلاء؟ هذا الذي سنخبركم به في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

---

(١) **حسن صحيح**: ت: (٢٤٥٧). ك: (٢/ ٤٥٧)، هب: (١/ ٣٩٤)، حل: (١/ ٢٥٦)، حم: (٥/ ١٣٦)، [«ص. غ. هـ» (١٦٧٠)].

١١٩

القبـر

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الموت، وقلنا: إن الموت حق كتبه الله على جميع الخلائق، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وكما قال القائل:

ولـم أرَ مثل الـموت حقاً كـأنه   إذا مـا تـخطتـه الأمـانـي بـاطـل

وقال الآخر:

حوضٌ هنالك مورود بلا كذب   لا بد من ورده يـوماً كما وردوا

عباد الله! وقلنا: إن الإنسان إذا نام في فراش الموت، وبلغت الروح الحلقوم فهو يبشر إما بجنة عرضها السموات والأرض، وإما بنار حامية، فأما إن كان مؤمناً صادقاً في إيمانه واستقام على إيمانه حتى الموت فيبشر بجنة عرضها السموات والأرض.

وأمّا إن كان من المجرمين الفاسقين الكافرين فإنه يبشر بنار حامية وبحميم وزقوم.

عباد الله! والإنسان يخرج من هذه الدنيا بالموت، ويحمل على الأعناق، ولكن أتدرون إلى أين يا عباد الله؟ إلى القبر، وما أدراك ما القبر، حفرة ضيقة مظلمة، وحديثنا يا عباد الله عن القبر في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: يا ابن آدم هذا هو القبر.

العنصر الثاني: هذه هي أول ليلة في القبر.

العنصر الثالث: سؤال وجواب.

العنصر الرابع: مخالفات شرعية تقع عند القبور.

عباد الله!

العنصر الأول: يا ابن آدم هذا هو القبر يذكرك بنفسه.

• ابن آدم هذا هو القبر حفرة ضيقة مظلمة، هذا هو بيتك بعد هذه الدنيا حيث ترحل من القصور إلى القبور، ولكن من بناه بخير طاب مسكنه، ومن بناه بشر خاب بانيه.

• هذا هو القبر أنسيته؟ إياك؛ فإنه لا ينساك، فهو ينادي عليك في كل لحظة يقول لك: (يا ابن آدم أنا بيت الدود، أنا بيت التراب، أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الضيق، هذا ما أعددته لك فماذا أعددت لي؟).

• ابن آدم هذا هو القبر، انظر معي إلى ما في داخله؛ ظلمة قاتمة، ضيقٌ لا يعلمه إلا الله، منظر فظيع. ولذلك يقول ﷺ: «**ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه**»[١].

• ابن آدم هذا هو القبر: حفرة مظلمة، يقول ﷺ: «**إن هذه القبور مَمْلوَّةٌ ظلمة على أهلها وإن الله** ﷻ **ينورها لهم بصلاتي عليهم**»[٢].

• ابن آدم هذا هو القبر، اذهب إليه، واجلس عنده، وانظر إليه يذكرك بالآخرة، يرقق قلبك، يدمع عينك! يا من قسا قلبه، اذهب إلى المقابر بنية الاتعاظ، واجلس هناك وتذكر أنك إليه ستصير، وأنك فيه ستوضع، وهناك يأكلك الدود، وهناك لا أنيس ولا رفيق، ولا مال، ولا أهل، ولا ولد، فلعل هذا يذكرك بالآخرة لتعمل لهذا اليوم، ولتعمل لهذه الحفرة لأنك تخرج منها يوم القيامة للحساب وللجزاء، فإما جنة أبداً وإما نار أبداً.

---

(١) **حسن**: ت: (٢٣٠٨). هـ: (٤٢٦٧)، حم: (١/ ٦٣) ك: (١/ ٥٢٦)، هب: (١/ ٣٥٩)، هق: (٤/ ٥٦) [«ص. هـ» (٣٤٤٢)].

(٢) **صحيح**: م: (٩٥٦)، خ: (١٢٧٢).

ولذلك قال ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترقق القلب، وتدمع العين، وتذكر بالآخرة**»[١].

• ابن آدم هذا هو القبر انظر إليه وتخيل أنك توضع فيه الآن أتدري من يدخل معك فيه، هل هي السيارة؟ هل هو المنصب؟ هل هي الزوجة؟، هل هم الأولاد؟ ضيعت عمرك من أجل هؤلاء فانظر من الذي يدخل معك في هذه الحفرة المظلمة!

يقول ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة: فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»[٢]، فهذا الذي يدخل معك، فإن كان حسناً أحسن إليك في قبرك، وإن كان سيئاً أشعل عليك القبر ناراً.

ابن آدم! الصلاة في جماعة، بر الوالدين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعلم القرآن وتعليمه، الأعمال الصالحة تدخل معك في القبر.

والربا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والزنا، والظلم، يدخل معك في قبرك، ولكن الأول وهو العمل الصالح يجعل قبرك روضة من رياض الجنة، والآخر وهو العمل السيء يجعل قبرك حفرة من حفر النيران.

فيا عباد الله! هذا هو القبر، لمثل هذا فاعملوا، لمثل هذا فاستعدوا، لمثل هذا فتجهزوا.

العنصر الثاني: يا ابن آدم هذه هي أول ليلة في القبر.

أنسيتها؟! أتدري يا أخا الإسلام إذا حملوك على الأعناق، وهناك عند القبور أنزلوك، ووضعوك في القبر وأهالوا عليك التراب وراحوا وتركوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، فهل تدري ماذا سيحدث لك بعد

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ٥٣٢)، حم: (٣/ ٢٥٠)، ع: (٦/ ٣٧١)، هب: (٧/ ١٥)، [«ص. ج» (٤٥٨٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٤٩)، م: (٢٩٦٠).

ذلك؟ أتدري ما يفعل بك بعد ذلك وأنت وحيد في قبرك؟ اعلم لتستعد يا ابن آدم فأنت اليوم على ظهر الأرض، وغداً ستكون في بطنها، فماذا يفعل بك إذا وضعوك في القبر؟.

أولاً: ضمة شديدة من القبر لا ينجو منها أحد، وهذا سعد بن معاذ رضي الله عنه صحابي جليل، يقول ﷺ: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**»(١)، وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، ومع ذلك يقول ﷺ: «**لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منها سعد بن معاذ ولقد ضُم ضمة ثم رُوخي عنه**»(٢).

فما بالنا نحن يا من تركنا الصلاة؟! وما بالنا يا من لا نعرف المسجد إلا يوم الجمعة؟! وما بالنا يا من أصبحنا على أكل الربا ونمنا على أكله؟! وما بالنا يا من أدخلنا (المفسديون والستلايت) في بيوتنا؟! وما بالنا يا من تركنا نساءنا يتبَرَّجن، وما بالنا يا من قطعنا أرحامنا؟!، ماذا يُفعل بنا إذا كان سعد بن معاذ قد ضُم في قبره ضمة شديدة ثم روخي عنه فما بالنا نحن؟ لمثل هذا فاعملوا.

ثانياً: في أول ليلة في القبر امتحان صعب وشديد، واللهِ من نجح في هذا الامتحان فهو في نعيم أبداً، ومن رسب في هذا الامتحان فهو في جحيم أبداً خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، امتحان صعب في أول ليلة في القبر، إذا وضع الإنسان في قبره، وأُهيل عليه التراب دخل عليه ملكان أسودان أزرقان فينتهرانه ويجلسانه ويسألانه عن ربه وعن دينه وعن نبيه.

عباد الله! انظروا إلى الأسئلة في القبر لم يسألوه في القبر، لِمَ لَمْ تكن أيها المسلم طبيباً؟ لِمَ لَمْ تكن أيها المسلم تاجراً؟ لِمَ لَمْ تكن أيها المسلم مهندساً؟ لِمَ لَمْ تكن أيها المسلم جامعاً للمال؟ لا واللهِ، وإنما

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٩٢)، م: (٢٤٦٦).
(٢) **صحيح**: طب: (١٠/ ٣٣٤)، طس: (٦/ ٣٤٩)، [«ص. ج» (٥٣٠٦)].

السؤال: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ أسئلة من ثبته الله ثَبَتَ، ومن عاش في دنياه يعرف ربه، ويعرف دينه، ويعرف نبيه، واستقام على ذلك حتى الموت، أجاب في القبر على هذه الأسئلة، وإلا فلا.

يا ابن آدم! لو أنك في غرفة نومك حياً بين أولادك وزوجتك، فدخل عليك رجلان من بني آدم أسودان أزرقان وسألاك لخفت منهما خوفاً شديداً علماً أنك تراهم، لهم أعين كأعيننا ولهم أيدٍ كأيدينا ولهم أرجل كأرجلنا، ودخلوا عليك في وقت مظلم بالليل فسألوك أو اعتدوا عليك لخفت منهم خوفاً شديداً؛ فما بالك يا مسكين وأنت في حفرة مظلمة ضيقة، وأنت غريب فيها بلا مال، ولا ولد، ولا جاه ولا سلطان يدخل عليك ملكان أسودان أزرقان فينتهرانك ويجلسانك ويسألانك من ربك؟ عندها المؤمن الصادق الذي عاش طوال عمره يعرف ربه، من إذا نودي للصلاة قال: لبيك ربي، وإذا أُمر بالزكاة قال: لبيك ربي، إذا جاء الصيام قال: لبيك ربي، وإذا نودي للجهاد قال: لبيك ربي، فيقول: ربي الله، المؤمن الذي سهر على القرآن، وقام في جوف الليل يبكي يقول: ربي الله، فهو يعرف ربه، فقد ركع وسجد له، مات ولسانه يذكره يقول: ربي الله، هذا المؤمن يقولان له: ما دينك؟ يقول: ديني الإسلام، يعرف المؤمن دينه، ولعل الكثير ممن يدَّعون الإسلام وينتسبون إلى الإسلام ـ والإسلام منهم بريء ـ والله لا يُعْرَفُ أنه مسلم إلا من هويته فقط، ولكن شكله شكل الكفار، أعماله أعمال الكفار، بيته كبيت الكفار، زوجته كزوجة الكفار، ابنته لا تميزها عن الكافرة فذاك لا يعرف دينه، أما المسلم فقد عرف أنه مسلم وكان يمشي في الدنيا يعتز بإسلامه. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، فهذا يقول: ديني الإسلام؛ لأنه كان يمشي بين الناس في الدنيا يعتز أنه من المسلمين، يعتز بلحيته، يعتز بثوبه، يعتز بصلاته، يعتز بحجه، يعتز بصيامه، يعتز بقيامه بالليل، ولكن ليس مثل هؤلاء الذين يستحيون من إسلامهم إذا ذهبوا إلى بلاد أوربا فيتشبهون بهم في كلامهم وفي لباسهم؟!

أما تستحيي من ربك أيها المسلم؟! إنهم إذا جاءوا إلى بلادنا مشوا بيننا وهم يرتدون (الشورت) وأجسامهم عارية ولا يستحيون وربما جاءوا إلى المساجد يصورونها ولا يقيمون وزناً للإسلام ولا للمسلمين، وأنت أيها المسلم تستحيي أن تمشي بين الكفار في بلادهم تعتز أنك من المسلمين!

عباد الله! يقال للميت في قبره: ماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ المؤمن يعرف أنه الرسول ﷺ، فقد كان يحبه أكثر من نفسه وماله وأولاده وأهله بل ومن الناس أجمعين، فيقول: نبيي محمد ﷺ، فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فينجح في الامتحان وذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أما المجرم والفاسق والعاصي ومن اتخذ دينه لهواً ولعباً فذاك إذا دخل عليه الملكان، فقالا له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ كان حاله طوال عمره مقيم على شاشات الفيديو والمفسديون، وهو طوال عمره ما ذكر الله مرة، طوال عمره ما ركع لله ولا سجد، طوال عمره وهو يستهزىء بالمسلمين فذاك يقول: ها ها لا أدري، لقد ظن المسكين أنه يستطيع أن يجيب على هذه الأسئلة وما درى أن ما سجل على القلب في الدنيا هو ما يتكلم به اللسان في القبر ويوم القيامة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ما دينك؟ من ربك؟ من نبيك؟ المجرم يقول: ها ها لا أدري، ولا تتعجب من ذلك فقد يذهب ـ في هذه الايام ـ أحدنا إلى ابنه الذي لم يأتِ المسجد، ولم يُصلِ فيسألْه عن الوضوء فيقول له: لا أدري، أو يسأله عن أركان الصلاة فيقول: لا أدري! يسأله عن أركان الإيمان يقول: لا أدري! فلا تتعجب إذا مات هذا فسُئل في القبر فقال: ها ها لا أدري، ليقال له عندها: لا دريت ولا تليت، وينادي مناد من السماء أن: كذب عبدي، فيكون بذلك قد فشل في الامتحان.

ابن آدم! أول ليلة في القبر ضمة شديدة لا ينجو منها أحد.

امتحان صعب وشديد.

ثالثاً: بعد هذا الامتحان من نجح فيه فقبره روضة من رياض الجنة، ومن رسب فيه فقبره حفرة من حفر النيران، أخبرنا بذلك رسولنا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فالمؤمن إذا نجح في الامتحان يوسع له في قبره ويفتح له من قبره بابٌ إلى الجنة فيرى مقعده من الجنة، ويأتيه من ريحها ورَوْحها، ويدخل عليه رجل شاب حسن الوجه، جميل الثياب، فيقول له المؤمن: من أنت ووجهك الذي يدل على الخير، يقول له: أنا عملك الصالح أبشر بما كنت توعد، والله ما علمت إلا أنك سريعٌ إلى رضا الله بطيءٌ عن معصية الله.

وأما الفاجر والمنافق والعاصِي إذا سقط في الامتحان يضيق عليه قبره ويفتح له من قبره بابٌ إلى النار فيأتيه من ريحها وسمومها، ويدخل عليه رجل أسود منتن الرائحة يقول له المجرم والعاصي: من أنت ووجهك الذي يدل على الشر، يقول له: أنا عملك السيء، أبشر بما كنت توعد، أبشر بنار حامية، أبشر بغضب من الله، أبشر بزقوم وحميم(١).

ابن آدم! فهل عملت لهذا الموقف؟ هل عملت لهذه الليلة؟ هذه هي أول ليلة لك في القبر، فاعمل لها واستعد لها.

العنصر الثالث: سؤال وجواب.

سؤال: هل عذاب القبر ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة أم لا؟

الجواب: **نعم**، نعيم القبر وعذابه ثابت بالكتاب والسنة، ولا ينكر عذاب القبر إلا جاهل أو ضال، والأدلة من كتاب ربنا، ومن سنة نبينا كثيرةٌ، نذكر منها ما يلي:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

---

(١) **صحيح**: [«ص. غ. هـ.» (٣٥٥٨)] انظر الحديث بتمامه.

فيا عبد الله أتدري ما هي هذه النار التي يعرضون عليها غدواً وعشياً قبل قيام الساعة وقبل أن يدخلوا نار الآخرة والتي هي أشد العذاب؟ إنها نار القبر، فهم في قبورهم يعرضون على النار غدواً وعشياً، كيف يعرضون؟ وكيف يعذبون؟ هذا أمر غيبي وما أخبرنا به الله ﷻ ورسوله ﷺ، نؤمن به ونصدق ولا نتكلم في كيفيته، فإنها حياة برزخية ولا نعلم كيف تكون.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]. يقول الحسن البصري: (نعذبهم مرتين هو عذاب الدنيا، وعذاب القبر)، ثم يوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ـ أي: إلى عذاب أليم.

وقال تعالى في قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] أتدرون ما هذه النار التي دخلوها بعد أن أغرقهم الله؟ إنها نار القبر.

وقال تعالى في مؤمن آل ياسين عندما أمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر وطلب منهم أن يؤمنوا بالرسل فقتلوه: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٦]، أتدري ما هذه الجنة التي دخلها بعد أن قتلوه؟ إنها جنة القبر.

• وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ التي تثبت عذاب القبر، فحديث البراء بن عازب أخبر فيه الرسول ﷺ أن المؤمن ينعم في قبره، وأن الكافر يعذب في قبره، وقال ﷺ: «**عذاب القبر حق**»(١)، وقال ﷺ: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»(٢)، وقال ﷺ: «**إن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم**»(٣)، وقال ﷺ:

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٠٦). (٢) **صحيح**: م: (٢٨٦٧).
(٣) **صحيح**: طب: (١٠/ ٢٠٠)، [«ص. ج» (١٩٦٥)].

«**عامة عذاب القبر من البول**»[١]، وقال ﷺ: «**الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**»[٢].

ومر ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**» ثم قال: «**بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله**»[٣]، وكان ﷺ دائماً يستعيذ بالله من عذاب القبر فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر**»[٤]، وكان يأمر الصحابة أن يستعيذوا بالله من عذاب القبر فقال لهم: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر[٥]، وقد علمنا ﷺ بل وقد أمرنا أن نستعيذ بالله من عذاب القبر بعد التشهد يقول ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع**» ـ وذكر منها ـ «**عذاب القبر**»[٦].

العنصر الرابع: وهو مخالفات شرعية تقع عند القبور، منها ما هو محرم، ومنها ما هو بدعة، فاتركوها يا معشر المسلمين طاعة لله ولرسوله ﷺ، ومن هذه المخالفات على سبيل المثال:

١ ـ التلقين عند القبر:

اعتاد كثير من الناس إذا وضعوا الميت في قبره أن يروا رجل من أجهل الناس يقف عند القبر فيقول للميت: يا فلان ابن فلانة ـ وهذه: فلان ابن فلانة مخالفة شرعية بذاتها؛ لأن الرجل ينادى في الدنيا والآخرة باسمه واسم أبيه ـ يقول له: يا فلان ابن فلانة يأتيك ملكان يسألانك عن ربك وعن دينك وعن نبيك فقل: كذا وكذا، وكأنه يغشش هذا الميت! نقول: والله ما فعل ذلك رسول الله وما فعل ذلك صحابة رسول الله، ولكن هذه بدعة ابتدعها من لا علم له، نقول: والله لو خرج رجل من هذه الدنيا على غير (لا إله إلا الله)

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ٢٩٣)، قط: (١/ ١٢٨)، طب: (١١/ ٧٩) [«ص. ج» (٣٩٧١)].
(٢) **صحيح**: خ: (١٢٣٠)، م: (٩٢٧).
(٣) **صحيح**: خ: (١٣١٢).
(٤) **صحيح**: خ: (٧٩٨)، م: (٥٨٩).
(٥) **صحيح**: م: (٢٨٦٧).
(٦) **صحيح**: م: (٥٨٨).

ثم اجتمع كل مشايخ الدنيا بل كل المسلمين على وجه الأرض وحاولوا أن يلقنوه (لا إله إلا الله) في قبره والله ما نفعه ذلك.

ولكن الرسول ﷺ قال: «**لقنوا موتاكم (لا إله إلا الله)**»(١) وهذا عند الاحتضار والروح قد بلغت الحلقوم، فيجب علينا أن نقول له: قل: (لا إله إلا لله)، فإن قالها وخرج من الدنيا نفعته (لا إله إلا الله)، أما بعد أن خرجت روحه ودخل في قبره تقول له: قل: (لا إله إلا الله)! فهذه مخالفة شرعية.

٢ ـ الاصطفاف عند القبور:

وعند القبر يقف أهل الميت وذووه، ويقوم المشيعون بمصافحتهم، وهذه مخالفة شرعية ما فعلها رسول الله، وما فعلها صحابة رسول الله ولكنها عادة سيئة جاءتنا من بلاد الكفر فتشبهنا بهم.

والسنة أن نجلس عند القبر قليلاً قدر ما تُذْبح جزورٌ وتوزع وندعو الله ﷻ أن يثبت أخانا الميت عند السؤال لقوله ﷺ: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسْأل**»(٢)، أما أن نصطف على القبور ونقوم بالمصافحة والمعانقة فهذا والله ليس من ديننا ولا ينتفع به الميت، ولكن ينتفع الميت إذا جلسنا قليلاً عند قبره ندعو الله أن يثبته بالقول الثابت.

٣ ـ الجلوس على القبور عند الدفن، أو عند الزيارة أو وطءُ القبور بالأقدام.

فهذا حرام، وقد حرم ذلك رسول الله ﷺ.

٤ ـ البناء على القبور:

البناء على القبور كما ترون الآن بالأحجار الفاخرة، أو الرخام الفاخر، هذا أمر منهي عنه، وهذا حرام فلا يجوز أن نرفع القبر إلا شبراً واحداً كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ.

---

(١) **صحيح**: م: (٩١٦).

(٢) **صحيح**: ك: (١/٥٢٦)، [«ص.ج» (٩٤٥)].

٥ ـ الكتابة على القبر:

عندما تذهب إلى المقابر ترى الجميع بلا استثناء ـ إلا من رحم ربي ـ قد كتب اسم الميت وتاريخ موته، وغير ذلك من العبارات التي تراها على القبور، وهذا والله حرام نهى عنه الرسول ﷺ، ولكن عَلِّم هذا القبر بما تريد أما أن تكتب عليه كما يفعل الناس فلا يا عبد الله، واسأل أهل الذكر قبل أن تفعل ذلك حتى لا تندم، وأَوصِ في وصيتك قبل أن تموت ألا يرفعوا قبرك فيكتبوا عليه شيئاً، عباد الله، أبينا إلا التفاخر حتى في القبور!!

لا داعي لهذه الكتابة ولهذه الزينة، فمن دخل إلى هذه الحفرة بـ(لا إله إلا الله) فقبره روضة من رياض الجنة، ومن دخلها بغير (لا إله إلا الله) فوالله لو بنينا عليه قصراً فهو حفرة من حفر النيران!

٦ ـ قراءة القرآن:

كثير من الناس يذهب إلى القبور بالقرآن، ويقرأ على ميته القرآن، نقول: والله ما فعل ذلك رسول الله ﷺ، ولكن إذا قرأ الولد القرآن في البيت فله أجر، ووالده ووالدته لهما أجر، ولكن أن نقرأ القرآن على القبور للأموات! فلا؛ فإنَّ القرآن لم ينزل لذلك، وإنما نزل القرآن لينذر من كان حياً ـ أما هذا الميت الذي تقرأ عليه القرآن فتخيل لو كان تاركاً للصلاة وأنت تقرأ عليه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥]، فماذا يصير حاله في قبره؟! وإن كان الميت قد أكل الربا وأنت تقرأ عليه في قبره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩] ماذا يصير لآكل الربا في قبره؟؟ فاتقوا الله عباد الله، القرآن نزل للأحياء وليس للأموات.

٧ ـ تخصيص القبور بالزيارة في أيام الأعياد:

فالناس طوال السنة لا يذهبون إلى المقابر، فإذا جاء العيد هرولوا

إلى القبور، وهذه مخالفة شرعية؛ لأن الرسول ﷺ نهى أن نتخذ القبور عيداً، أي: أن نعد العدة لزيارتها في أيام معلومة.

٨ ـ بناء المساجد عليها:

ولعل الكثير من الجهلة يوصي قبل موته أن يبنى على قبره مسجد، أو إذا كان بنى مسجداً في حياته يوصي أن يدفن في هذا المسجد، وهذه مخالفة شرعية محرمة، ولا يجوز أبداً أن نبني المساجد على القبور أو أن ندفن الميت في المسجد لأن الرسول ﷺ قال: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»[١].

٩ ـ قراءة الفاتحة عندها: إن كثيراً من الناس إذا ذهبوا إلى المقبرة يقرأون الفاتحة، ويظنون أن ذلك من السنة، لا والله ما قرأها الرسول ﷺ على القبور، ولكن كان إذا دخل المقبرة قال الذكر الذي علمنا إياه ﷺ: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إن شاء الله لَلَاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية**»[٢] الحديث، وعلم ذلك عائشة رضي الله عنها، حين قالت له: يا رسول الله، ماذا أقول إذا أنا زرت المقابر؟ فعلمها هذا الذكر ولم يقل لها اقرأي الفاتحة، ولكن بسبب جهلنا في ديننا أصبحنا نقرأ الفاتحة على كل شيء! فيا أمة الإسلام، تعلموا وتفقهوا في دينكم حتى تخرجوا من الدنيا على (لا إله إلا الله)، وعلموا أولادكم وأهليكم حتى إذا متم لم يفعلوا خلفكم هذه المخالفات الشرعية.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (٥٣٢).

(٢) **صحيح**: م: (٩٧٥).

١٢٠

الساعة (القيامة)

عباد الله! في الجمع الماضية تبين لنا أن الإنسان خلق في هذه الدنيا لعبادة الله وحده، وأنه في هذه الدنيا يعيش لأجل محدود، فإذا انتهى هذا الأجل نزل عليه ملك الموت، واختطفه من هذه الدنيا في وقت لا يخطر له على بال، ويندم وقتها المفرط في وقت لا ينفع فيه الندم.

ثم ينتقل الإنسان من هذه الدنيا بالموت إلى القبر، وهناك في القبر يا عباد الله يُسْأَل عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه، فمن نجح في هذا الامتحان أصبح قبره روضة من رياض الجنة، ومن فشل في هذا الامتحان أصبح قبره حفرة من حفر النيران، ويبقى الناس في قبورهم إلى يوم القيامة، ويوم القيامة هو الساعة، هو يوم البعث، هو يوم يخرج الناس من قبورهم لرب العالمين للحساب وللجزاء ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

يوم القيامة هو اليوم الذي توضع فيه الموازين، يوم القيامة هو اليوم الذي تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه، يوم القيامة هو اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه، يوم القيامة هو اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

عباد الله! والله ﷻ أكد لنا ثبوت هذا اليوم في كتابه، وأخبرنا أنه آت لا ريب فيه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ [غافر: ٥٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: ٥].

- وأقسم الله ﷻ أن هذا اليوم آت لا ريب فيه، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾ [النساء: ٨٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ [الطور: ١ ـ ٨].

● وأمر ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يقسم للبشر بأن هذا اليوم آت لا ريب فيه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [سبأ: ٣].

عباد الله! فقد أكد ربنا جل وعلا في كتابه أن هذا اليوم آت لا ريب فيه ولذلك أمرنا في كتابه أن نستعد لهذا اليوم، وأن نتجهز له، فهو يوم عصيب، ويوم شديد، وهو يوم لا ينفع فيه أحد أحداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨].

● ابن آدم اتقِ الله وانظر ماذا قدمت لهذا اليوم.

● ابن آدم اتقِ الله وانظر كم تزودت لهذا اليوم.

● أيها المفرط، أيها العاصي، أيها التارك للصلاة، أيها الشارب للخمر، أيها الآكل للربا اتق الله وانظر ماذا قدمت لهذا اليوم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٣٣﴾ [لقمان: ٣٣].

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ أن هذا اليوم آت لا ريب فيه، وأمرنا أن نستعد لهذا اليوم وأن نتجهز له، وأخبرنا ربنا في كتابه أن هذا اليوم قريب جداً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ۝٥٧﴾ [النجم: ٥٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ

فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١ ـ ٣]، والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه إن هذه الآية تنطبق على كثيرٍ من الناس اليوم ـ إلا من رحم ربي ـ.

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾؟ أعرضوا عن كتاب الله، أعرضوا عن مساجد الله، أعرضوا عن سنة رسول الله، أعرضوا عن الحلال وأقبلوا على الحرام، أقبلوا على الشهوات فلا يفكرون في الصلاة في جماعة، ولا يفكرون في إخراج الزكاة، ولا يفكرون أن يربوا أولادهم على طاعة الله، إنما لا هم لهم إلا أن يجمعوا المال، فيا ابن آدم، ماذا تفعل بالمال؟ هل يدخل معك في قبرك؟ يا مسكين! قد علمت ما قلنا في الجمعة الماضية أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، يرجع اثنان، ويبقى معه واحد، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»(١).

ثم قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، لا يستمعون إلى (قال الله) و(قال رسول الله)، لا يستمعون إلى موعظة إلا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾، كما نرى كثيراً من الناس يسمع الموعظة من هنا ويخرجها من ها هنا، ولا يفكر يوماً أن يُدخِلَ الموعظة إلى قلبه حتى يعلم أنه عن الدنيا راحل، وأنه إلى الله راجع، وأنه أمام الله موقوف، فيدفعه ذلك إلى التوبة!!

إخوة الإسلام! وهنا سؤال مهم وهو:

متى الساعة؟ متى هذا اليوم؟ متى القيامة؟ متى الصاخة؟ متى الطامة؟ هل يعرف ذلك ملك مقرب؟ هل يعرفه نبي مرسل؟ هل يعرفه أحد من البشر؟ هل يعرفه أحد من الجن؟

الله ﷻ في كتابه يجيب لنا عن هذا السؤال، قال ـ تعالى ـ:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٤٩)، م: (٢٩٦٠).

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ [الأحزاب: ٦٣]، لا يعرفها إلا الله، ولا يعلمها إلا الله، ومن ادعى أنه يعرف الساعة فهو من أكذب الكذابين، قال ـ تعالى ـ: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨٧**﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وهذا جبريل عليه السلام يقول للرسول ﷺ: متى الساعة؟ فيقول ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»(١)، أي: يا جبريل لا أنا ولا أنت نعلم متى الساعة، فتبين لنا من الكتاب والسنة أن الساعة غيب لا يعلمها إلا الله ولا يعرف متى الساعة إلا الله.

إخوة الإسلام! ولكن رحمة من الله بالبشرية، ومن رحمة الله بنا أن جعل للساعة علامات وأشراط وأمارات تدل على اقتراب وقوعها. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ۝١٨﴾ [محمد: ١٨]، أي: علاماتها وأماراتها.

علامات وأشراط تدل على اقتراب الساعة، إذا رأيتها يا ابن آدم فاعلم أنه قد أزفت الآزفة، وأن الساعة قد اقتربت، فاستعد وتجهز قبل أن تقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، والذي يخبرنا عن أشراط الساعة وعن علاماتها وأماراتها هو رسولنا ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فتعالوا معي عباد الله نذكر لكم على سبيل المثال، علاماتٍ وأشراطاً أخبرنا بها رسول الله ﷺ تكون قبل قيام الساعة، وانظروا معي هل ظهرت فينا اليوم؟ ليتوب آكل الربا، ليتوب شارب الخمر، ليتوب العاق لوالديه، ليتوب تارك الصلاة، ليتوب المبارز لله بالمعاصي، فانظروا معي رحمكم الله هل ظهرت هذه العلامات؟!

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠)، م: (٩).

يقول ﷺ: «**إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويظهر الجهل**، - والعلم هنا هو: العلم الشرعي، علم الكتاب والسنة، والجهل هنا هو: الجهل بالدين - **ويفشو الزنىٰ، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد**»[١].

أمة الإسلام! هل ارتفع العلم وانتشر الجهل؟ «نعم».

كم من المسلمين - ولا أُخاطب تاركي الصلاة الذين لا يأتون إلى المساجد، بل أَسأَلُ الذين يحافظون على الصلاة ممن يجلسون أمامي الآن - كم منكم يحرصُ على حفظ كتاب الله، ويحرص أن يعلِّم أولاده كتاب الله؟ كم منكم عمل جاهداً بالليل والنهار على أن يكون داعية لهذا الدين؟ فدعاة الضلال يدعون لضلالتهم بالليل والنهار، وينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، ونحن قد نمنا وطال بنا النوم، كل منا مشغول بمحله وبماله يجمعه، ولا أدري متى يشبع ابن آدم من المال! نعم، قلَّ العلم، وكثرَ الجهل، فلم يجد الناس علماء فسألوا الجهلاء فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا.

عباد الله! هل انتشر الزنا اليوم في بلاد المسلمين؟ هل ترى بأم عينك شاباً يواقِعُ امرأة في سيارة تحت الشجر وأنت يا مسلم لا تستطيع أن تتكلم؟

هل ترى بأم عينك مَنْ يسوق سيارته وهو يشرب الخمر؟ ويسكر في منتصف النهار، هل ظهر ذلك في بلاد المسلمين؟ هل فتحت الخمارات في بلاد المسلمين؟ إذا كان الجواب نعم، وهو كذلك فانتظروا الساعة، فقد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق. انتشر الزنا، وانتشر شرب الخمر، وقل الرجال بسبب الحروب والهرج والقتل - والهرج: القتل الذي لا يعرف فيه القاتل لِمَ يقتل ولا يعرف المقتول لمَ قُتِلَ - فقلَّ الرجال، وكثرت النساء، حتى ستجد الرجل الواحد قيماً على خمسين امرأة.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٣)، م: (٢٦٧١).

يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهم مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة**»(١).

ويقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلٌّ يزعم أنه رسول الله**»(٢)، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، تمسي وما هي إلا لحظات لتصبح، وتصبح وما هي إلا لحظات لتمسي، الأيام تمر بسرعة البرق، هذا دليل على اقتراب الساعة. يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه**»(٣)، ويقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**»(٤)، ليس به من مرض إنما هي الفتن والضنك حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإن طلعت آمن الناس جميعاً، وعندها لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، وقال ﷺ: «**من أشراط الساعة الفحش والتفحش** ـ وهي الألفاظ البذيئة التي نسمعها من كثير من الناس حتى من الأصدقاء ـ **وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن**»(٥).

وقال ﷺ: «**من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد لا يصلي فيه ركعتين، وأن لا يسلم الرجل إلا على من يعرف**»(٦)، أترون ذلك؟!! يأتون لنا بالجنازة يقدموها لنا في داخل المسجد ويقفون أمام المسجد، لا يصلون لله ركعتين هذه من علامات الساعة، ولا يسلم إلا على من يعرف، والسنة أن تلقي السلام على من عرفت ومن لم تعرف من المسلمين لأن الولاء لله ولرسوله ولكل المؤمنين.

انظر اليوم إلى كثير من الأحزاب والجماعات الإسلامية ترى الواحد

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٧٠٤)، م: (١٥٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٣٤١٣) م: (١٥٧). (٣) **صحيح**: م: (١٥٧).
(٤) **صحيح**: خ: (٦٦٩٨)، م: (١٥٧).
(٥) **صحيح**: طس: (٢/ ٩٣)، [«ص.ج» (٥٨٩٤)].
(٦) **صحيح**: خز: (١٣٢٦)، طب: (٩/ ٢٩٦)، هب: (٦/ ٤٣١)، [«ص.ج» (٥٨٩٦)].

منهم لا يسلم إلا على من يعرف من جماعته، وأما غيره فلا، وربما كفره، واستحل دمه يقول ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد**»(١)، الرجل يبني المسجد يتباهى به لا يبنيه لوجه الله، ولا يبتغي به وجه الله، إنما يبني وينفق ويزخرف حتى يقول الناس: هذا مسجد فلان.

• ومن أشراط الساعة ظهور المهدي، ونزول عيسى ابن مريم، وظهور الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من المصاحف، والدخان، وخروج الدابة إلى غير ذلك من العلامات التي تفاجئك يا ابن آدم فاستيقظ قبل فوات الأوان.

عـبـاد الله! ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ﴾ [محمد: ١٨]، أي: علاماتها وأماراتُها.

عباد الله! وقد قسم العلماء أشراط الساعة إلى قسمين: علامات صغرى، وعلامات كبرى، أما العلامات الصغرى فمنها علامات ظهرت وانقضت ولم تعد ومنها علامات ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر في الناس، ومنها علامات لم تظهر بعد وسنتكلم عن الجميع بالتفصيل، أما بالنسبة للعلامات التي ظهرت وانقضت ولم تعد فمنها:

أولاً: بعثة رسول الله ﷺ ووفاته، فهذا دليل على اقتراب الساعة قال ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين، قال: وضم السبابة والوسطى**»(٢)، وقال ﷺ لعوف بن مالك رضي الله عنه: «**اعدد ستاً بين الساعة: موتي... ...**»(٣).

ثانياً: انشقاق القمر دليل على اقتراب الساعة، وقد أجمع العلماء على أن القمر قد شق إلى قسمين على عهد رسول الله ﷺ وذلك عندما طلب كفار مكة من رسول الله ﷺ آية تدل على أنه رسول من عند الله فأشار ﷺ إلى القمر فانفلق.

---

(١) **صحيح**: ت: (٦٨٩)، خز (١٣٢٢)، [«ص. ج» (٥٨٩٥)].
(٢) **صحيح**: خ: (٤٦٥٢)، م: (٢٩٥١). (٣) **صحيح**: خ: (٣٠٠٥).

يقول ابن مسعود: (بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»)[(١)].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ١، ٢].

ثالثاً: من علامات الساعة التي ظهرت وانقضت «نار الحجاز التي تضيء أعناق الإبل ببصرى»، وقد جاءت هذه النار في القرن السادس الهجري يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**»[(٢)].

نار عظيمة لم يظهر مثلها أضاءت وهي في الحجاز أعناق الإبل ببصرى، وهذا دليل على صدقه ﷺ وهذا دليل على اقتراب الساعة.

أما العلامات التي ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر في الناس فهي التي سنعيش معها في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن ينجيَنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن

❃ ❃ ❃

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٠٠).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٧٠١)،م: (٢٩٠٢).



علامات الساعة الصغرى
التي ظهرت في الناس ولا تزال تتكرر

عباد الله! في الجمعة الماضية قلنا: إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الصحيحة وقلنا: إن هذا اليوم هو اليوم الذي يبعث الله فيه الخلائق للحساب وللجزاء، وقلنا: إن هذا اليوم لا يعلم متى هو إلا الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقلنا: إن من رحمة الله ﷻ بالناس أن جعل لهذا اليوم علامات وأمارات يعرف بها، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، أي: فقد جاءت علاماتها وأماراتها.

وقلنا: يا عباد الله: إن علامات الساعة تنقسم إلى قسمين: علامات صغرى، وعلامات كبرى، وقلنا: إن العلامات الصغرى منها ما ظهر وانقضى، ومنها علامات ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر في الناس، ومنها علامات لم تظهر بعد.

وتكلمنا في الجمعة الماضية عن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وانقضت ولم تعد.

• **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع علامات الساعة الصغرى التي ظهرت، ولا تزال تظهر وتتكرر في الناس، ومنها على سبيل المثال:**

أولاً: قلة العلم بالدين، وكثرة الجهل بالدين، وانتشار الزنا، وانتشار الخمر وقلة الرجال، وكثرة النساء، يقول ﷺ: «**إن من أشراط**

الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد»[١].

أمة الإسلام! إذا وجدنا الناس أقبلوا على علم الدنيا، يتعلمون للدنيا فقط وأعرضوا عن علم الكتاب والسنة، ولم يفكروا لحظة أن يحضروا درساً يتعلمون فيه دينهم، وكثر الجهل بينهم، واقترفوا المعاصي فلنعلم أنه قد أزفت الآزفة، وأنه قد اقترب الوعد الحق، وأظن يا أمة الإسلام أننا إذا نظرنا إلى أحوال الأمة اليوم وجدنا إقبالاً منا جميعاً على الدنيا، نتعلم من أجلها، ولم يفكر أحد منا لحظة واحدة أن يتعلم هو أو يعلم ولده علم الكتاب والسنة ليكون داعية لهذا الدين يوماً ما ـ إلا من رحم ربي ـ وقليل ما هم.

واعلموا يا أمة الإسلام أن الله ﷻ ـ كما أخبر رسوله ﷺ ـ لا ينتزع العلم الشرعي انتزاعاً يقبضه من قلوب العلماء والناس، لا، إنما ينتزعه بقبض العلماء أي: بموت العلماء، فإذا قبض العلماء اتخذ الناس رؤوساً جهَّالاً فسألوهم فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وهذا واقع اليوم. يقول ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر**»[٢].

عباد الله! وإذا رأيتم الزنا ينتشر في المجتمعات الإسلامية فاعلموا أنه قد اقتربت الساعة، وأزفت الآزفة، فهل انتشر الزنا في بلاد المسلمين؟ أظن الجواب منا جميعاً: «نعم»، لقد أصبح الزنا في متناول اليد، بل والله قد تجد نساءً يقفن على قارعة الطريق يعرضن أنفسهن بأرخص الأثمان، فإن وجدت ذلك يا عبد الله فإياك أن تتورط في الزنا، بل تذكر أنه قد أزفت الأزفة، واقترب الوعد الحق، ووالله إن الزنا اليوم في متناول البعيد والقريب، ومن أراد أن يزني زنا في أي وقت أراد، فاعلموا أن ذلك دلالة على اقتراب الساعة، وهذا مبشر يبشر بالشر؛ فرسولنا ﷺ

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٣)، م: (٢٦٧١).
(٢) **صحيح**: طب: (٢٢/ ٣٦١)، [«س.ص» (٦٩٥)].

يقول: «**إذا ظهر الزنا والربا في قريةٍ فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(١).

• وإذا رأيتم يا أمة الإسلام أن الخمر تنتشر في بلاد المسلمين، ورأيتم الخمر توضع في الثلاجات مع زجاجات الماء، ورأيتم الرجل يشرب مع زوجته ومع أولاده، فاعلموا أن الساعة قد اقتربت، إذا رأيتم الرجل يعمل في مصنع الخمر ولا يبالي، إذا رأيتم الرجل يؤجر محله لافتتاح خمَّارة ولا يبالي، إذا رأيتم الموظف يوقع على افتتاح خمَّارة ولا يبالي، إذا رأيتم بائع العلب يبيع علبة لمصنع الخمر ولا يبالي، فاعلموا أن الساعة قد اقتربت، لقد نسي هؤلاء أن الخمر ملعونة، ملعون من اقترب منها، فصانع الخمر ملعون، وبائع الخمر ملعون، وشارب الخمر ملعون، والذي يوافق على افتتاح خمَّارة ملعون، والذي يحمل الخمر لغيره ملعون، والذي يجمع زجاجات الخمر الفارغة ويقوم ببيعها لمصنع الخمر ملعون، والذي يصنع صناديق البلاستيك التي توضع فيها زجاجات الخمر ملعون، والسائق الذي يعمل على سيارة يحمل فيها الخمر لبيعه ملعون، فكل من اقترب من الخمر ملعون، فإذا وجدتم الناس يفعلون ذلك ولا يبالون فاعلموا أن الساعة قد اقتربت.

ثانياً: من علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر في الناس: «**فقد الأمانة**».

حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً! فالأمناء قلة قليلة، ولقد فقد الناس الأمانة، وامتلأت السجون بسبب قلة الأمانة، فإن وجدتم ذلك فاعلموا أنه قد أزفت الآزفة.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: متى الساعة؟ قال ﷺ: «**فإذا ضيِّعت الأمانة فانتظر الساعة**»، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»(٢)، الأمانة حمل ثقيل، الأمانة أبت

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، طب: (١/ ١٨٧)، هب: (٤/ ٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].
(٢) **صحيح**: خ: (٥٩).

السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت يا ابن آدم بظلمك وجهلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقد فرط الإنسان في الأمانة ـ إلا من رحم ربي ـ، والأمانة هي: كل ما جاء به محمد ﷺ من عند ربه، الصلاة أمانة، الطهارة أمانة، الأولاد أمانة، الزوجة أمانة، الرعية أمانة و الله سائلك عما استرعاك، الوظيفة أمانة، حفظ الأمانات عندك للناس أمانة، كل ما جاء به الدين فهو أمانة، فكم منا من فرط في الأمانة وخانها؟ الكثير، يا عباد الله وهذه علامة على اقتراب الساعة.

ثالثاً: من علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر: «**كثرة الفتن**».

فتنٌ كقطع الليل المظلم، يقول ﷺ: «**تكون بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا**»(١). ويقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(٢).

من شدة الفتن يصبح أحدهم يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل! الفتن من شدتها وظلامها تموج بالناس موج البحر، يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**»(٣)، ويقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر، فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّينُ إلا**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢١٩٧)، حم: (٤/ ٢٧٧)، ك: (٤/ ٤٨٥)، [«ص.ج» (٢٩٩٣)].
(٢) **صحيح**: م: (١١٨)، حم: (٢/ ٣٠٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٦٩٨)، م: (١٥٧).

البلاء»[١]، فتن تموج موج البحر يصبح الحليم فيها حيران.

● ومن هذه الفتن التي تموج موج البحر في هذا الزمان «فتنة التكفير»، وهي فتنة ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر في الناس، فرقة ضالة من المسلمين، يكفرون المسلمين، فيستحلون دماءهم، فيقتل بعضهم بعضاً.

● فتنة التكفير التي تسبب القتل والهرج بين المسلمين يقول ﷺ: «**إن بين يدي الساعة لأياماً يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج، والهرج: القتل**»[٢]. وقال ﷺ: «**إن بين يدي الساعة الهرج**» قالوا: وما الهرج؟ قال: «**القتل إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضاً [حتى يقتل الرجل جاره، ويقتل أخاه، ويقتل عمه، ويقتل ابن عمه]**، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذٍ؟ قال: «**إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس؟ يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء**»[٣]. وهذه الفتنة قائمة في بلاد المسلمين اليوم فتنة التكفير التي أدت إلى فتنة القتل والهرج حتى قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل**»[٤].

رابعاً: من علامات الساعة التي قد ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر «**تداعي الأمم الكافرة على الأمة الإسلامية**»، يقول ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**» فقال

---

(١) **صحيح**: م: (١٥٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٦٦٥٣)، م: (٢٦٧٢).
(٣) **صحيح**: حم: (٤/ ٤٠٦)، حب: (٦٧١٠)، ع: (١٣/ ١٨٠)، [«س.ص» (١٦٨٢)].
(٤) **صحيح**: م: (٢٩٠٨).

قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[١]، وهذا حالنا قد أصابنا الوهن لا شاغل لكل منا إلا أن يجمع الدنيا فقط، كل واحد منكم يسأل نفسه اليوم من الصباح إلى المساء ما هو همه؟ المال، فإذا جاء الليل عكف أحدكم على شهواته وملذاته وهكذا في اليوم التالي حتى يأتيه الموت وهو لم يفكر يوماً أن يكون خادماً لهذا الدين، ولم يفكر يوماً أن يكون مجاهداً في سبيل الله، وهذا هو الوهن حب الدنيا وكراهية الموت، وقد اعتدت الأمم الكافرة على الأمة الإسلامية قديماً وفي عصرنا هذا، وسيأتي ذلك في المستقبل طالما أنتم يا أمة الإسلام قد أصبتم بمرض الوهن وهو حب الدنيا وكراهية الموت.

عباد الله! وسبب آخر للإذلال بأيدي الكفار هو كثرة المعاصي، فقد بيَّن ﷺ أن المعاصي سبب للإذلال فقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[٢].

تكالبت الأمم، علينا ونادى بعضهم بعضاً: يا أمة كذا هلم للقضاء على الإسلام والمسلمين وقد رأيتم بأم أعينكم في هذا الزمان كيف تكالبت الأمم الكافرة من كل مكان للقضاء على الإسلام والمسلمين، وكيف يخططون لذلك بالليل والنهار وطالما أنكم أحببتم الدنيا، وكرهتم الموت في سبيل الله، وأكلتم الربا، وركنتم إلى الدنيا وتركتم الجهاد في سبيل الله، فهذا الذل على رؤوسكم يا أمة الإسلام، والعلاج، والدواء الوحيد لكم هو: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**» فهل من رجعة إلى الدين واستيقاظ من النوم؟!!

عباد الله! ومن العلامات الصغرى التي ظهرت، ولا تزال تظهر

---

(١) **صحيح**: د: (٤٢٩٧)، حم: (٥/ ٢٨٧). لس: (٩٩٢)، حل: (١/ ١٨٢)، [«س.ص» (٩٥٨)].

(٢) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/ ٣١٦)، حل: (٥/ ٢٠٩)، [«س.ص» (١١)].

وتتكرر: «**استحلال الزنا والحرير والخمر والمعازف ـ وهي الموسيقى**»

هل استحللنا الزنا والربا؟ هل استحللنا الموسيقى والغناء؟ الجواب: نعم ـ إلا من رحم ربي ـ يقول ﷺ: «**سيكون في آخر الزمان خسف، وقذف، ومسخ**»، قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف** ـ أي: الموسيقى ـ **والقينات** ـ أي: المغنيات ـ، **واستحلت الخمر**»[(١)].

أمة الإسلام! هل ظهرت المعازف؟ نعم والله قد ظهرت بل هناك من الجماعات الإسلامية من يعزفون ويضربون على الدفِّ وعلى غيره في داخل المساجد!! وإنا لله وإنا إليه راجعون، يقول ﷺ: «**يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**»، قالت عائشة: يا رسول الله: أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا ظهر الخبث**»[(٢)]، وفي رواية أخرى، قال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: «**إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر**»[(٣)].

ويقول ﷺ: «**ليبيتن قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير**»[(٤)]، ويقول ﷺ: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ** ـ أي الزنا ـ **والحرير والخمر والمعازف**»[(٥)] اللهم سلم، سلم.

عباد الله! ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر: **(اختلال المقاييس وانقلاب الموازين)**.

أخبر ﷺ أن بين يدي الساعة اختلال في الموازين التي تقيِّم الرجل

---

(١) **صحيح**: طب: (٦/ ١٥٠)، [«ص.ج» (٣٦٦٥)].
(٢) **صحيح**: ت: (٢١٨٥)، ع: (٨/ ١٤٨)، [«ص.ج» (٨١٥٦)].
(٣) **حسن**: ت: (٢٢١٢)، [«س. ص» (١٦٠٤)].
(٤) **حسن**: طص: (١/ ١١٥)، [«س.ص» (١٦٠٤)].
(٥) **صحيح**: خ: (٥٢٦٨) وهو جزء من حديث.

فمنها مثلاً: أن يُصَدَّقُ الكاذب، ويُكَذَّبُ الصادق، ويُؤْتَمَنُ الخائن، ويُخَوَّن الأمين، ويتكلم في الناس الرجل التافه، يقول ﷺ: «**سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصدَّق فيها الكاذب، ويكذَّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**»، قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**»(١)، الرجل التافه تجده يتكلم في المسائل العليا الخاصة بالمسلمين، وهذا ما نراه في هذا الزمن العجيب، ويقول ﷺ: «**من أشراط الساعة الفحش والتفحش، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن**»(٢)، ويقول ﷺ: «**إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**»(٣).

فيا أمة الإسلام! هل قلبت الموازين؟ الإسلام يضع الرجل المناسب في المكان المناسب فهل وجدتم أن الناس الآن يضعون الرجل الغير مناسب في المكان المناسب؟ أظن أن هذا واقع في كثير من بلاد المسلمين، وهذا يدل على أن الساعة قد اقتربت وأن الآزفة قد أزفت، وأن الوعد الحق قد اقترب.

عباد الله! ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر: «**كثرة الظَّلمة وكثرة الكاسيات العاريات**»، يقول ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهُما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءُوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»(٤).

أي: قوم تخصصوا في تعذيب المسلمين، ونساء كاسيات عاريات، ونظن أن الصنف الثاني نراه واضحاً في شوارع المسلمين بلا غرابة، فلا

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠٣٦)، [«ص.هـ» (٣٢٦١)].
(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٣٨. (٣) **صحيح**: خ: (٥٩).
(٤) **صحيح**: م: (٢١٢٨).

تكن يا عبد الله أنت كبش الفداء واستيقظ قبل فوات الأوان، استيقظ من نومك قبل أن تندم في وقت لا ينفع فيه الندم، يوم تقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾، واعلم أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق، فتب إلى الله، واعمل صالحاً حتى إذا خرجت من هذه الدنيا قبل هذه الفتن خرجت على الإيمان، وتزود بالزاد الذي ينفعك في سفرك الطويل ألا وهو زاد التقوى.

عباد الله! أما العلامات الصغرى التي لم تظهر بعد فستتكلم عنها ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية في الجمعة القادمة.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً





علامات الساعة الصغرى التي لم تظهر بعد

عباد الله! تكلمنا في الجمعة الماضية عن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر في الناس.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن علامات الساعة الصغرى التي لم تظهر بعد.

عباد الله! اعلموا أن هذه العلامات إذا ظهرت جاءت بعدها علامات الساعة الكبرى، ثم تقوم الساعة ليقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

عباد الله! من علامات الساعة الصغرى التي لم تظهر بعد.

أولاً: «تقارب الزمان».

أخبرنا النبي ﷺ أن من علامات الساعة تقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة ـ أي: الورقة الصغيرة من جريد النخل الذي لا يستغرق ثواني ـ يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى**» ـ وذكر ـ «**ويتقارب الزمان**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السَّعَفة**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٩٨٩)، وهو جزء من حديث.

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٣٢)، حم: (٢/ ٥٣٧)، حب: (٦٨٤٢)، [«ص.ج» (٧٤٢٢)].

أمة الإسلام! وقِصر الزمان علامة من علامات الساعة، وهذا القِصرُ في الزمان يحتمل أن يكون حقيقياً ويحتمل أن يكون معنوياً. أما القِصر الحقيقي: فهو أن تصبح السنة في مدتها وزمانها كالشهر وهذا لم يقع بعد. أما القصر المعنوي: فهو نزع البركة من الزمان، وأظن أن هذا موجود اليوم. فكل منا ما إن يصبح حتى يمسي، وما إن يمسي حتى يصبح، الأيام تمر، والجُمَعُ تمر، قبل أيام كنا في الجمعة الماضية، وها نحن اليوم في يوم الجمعة، وما هي إلا أيام ونكون في الجمعة التي بعدها، الأيام تمر، والأعوام تمر، والعمر ينقضي.

ولقد نُزِعت البركة من الزمان، بل ونُزعت البركة من كل شيء في أيدينا، أتدرون لم يا عباد الله؟ ذلك بسبب معاصينا، بسبب الإعراض عن الله ﷻ، بسبب الانكباب على الدنيا، والإقبال عليها والإعراض عن الآخرة، فإن الله ﷻ قد ربط بين بركات السماوات والأرض وبين الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦] جزاءً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً، البركات من السماء والأرض تكون مع العمل الصالح والإيمان والتقوى، ولكن مع المعاصي والإعراض عن الله ﷻ تكون قلة البركة، ولعل كلٌ منا ينظر الآن فلا يجد بركة في نسائه، ولا يجد بركة في أولاده، ولا يجد بركة في طعامه، ولا يجد بركة في صحته، ولا يجد بركة في وقته ـ إلا من رحم ربي، وقليل ما هم ـ فوالله كلٌ منا يصبح وما هي إلا لحظات وإذا به يمسي، ويمسي وما هي إلا لحظات وإذا هو يصبح، والأيام تمر والناس نيام ولا ينتبه أحدنا إلا إذا نام في فراش الموت وعندها يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾.

ثانياً: من علامات الساعة التي لم تظهر بعد: «**عودة جزيرة العرب جناتٍ وأنهاراً**».

من علامات الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ أن أرض الجزيرة تتحول

إلى جنات وبساتين، يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً**»(١). أخبر بذلك ﷺ قبل قرنٍ ونصف قرن وها نحن اليوم نجد في أرض الجزيرة من الناس من أخذوا يحفرون الآبار ويزرعون البساتين، وهذا دليل على ما أخبر به المصطفى ﷺ، وهذا دليل على اقتراب الساعة، ويقول العلماء: ويحتمل ـ والله على كل شيء قدير ـ أن يتحول جو الجزيرة من هذا الجو الصحراوي إلى جو لطيف بارد يصلح للزراعة فتتحول أرض الجزيرة إلى جناتٍ وأنهار، فإن حصل ذلك فاعلم يا عبد الله أنه قد أزفت الآزفة، وأنه قد اقترب الوعد الحق.

ثالثاً: من علامات الساعة الصغرى التي لم تظهر بعد: «**انحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب**».

وانحساره أي انكشافه إما بفقد مائه، وإما بتحول مجراه، فعندما يفقد هذا النهر ماءَه أو يتحول مجراه إلىٰ مجرى آخر ينكشف للناس جبلٌ من ذهب يكون فتنة للناس يقتتلون عليه. يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يَحْسِرَ الفرات عن جبل من ذهب يَقتُلُ الناس عليه، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو**»(٢).

من كل مائة يقتل تسعة وتسعون ومع ذلك يقول الناس بعضهم لبعض: لعلي أنا الواحد من المائة الذي أنجو، إن دل هذا على شيء دل على طمع الناس، ويدل أيضاً على أن الناس في ذلك اليوم لا يريدون إلا الدنيا والذهب والمال، وأظن أنه قد اقترب الوعد الحق؛ لأن الناس في هذا الزمان لا هَمَّ لهم إلا المال، لا يهتمون بالآخرة ـ إلا من رحم ربي ـ، لا هَمَّ لهم إلا أن يكثروا من المال والذهب والجاه والمنصب، أما الآخرة فلا يفكر فيها إلا القليل بل أقلُ القليل. يقول ﷺ: «**يوشك**

---

(١) **صحيح**: م: (١٥٧).

(٢) **صحيح**: م: (٢٨٩٤)، خ: (٦٧٠٢).

الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً»[(١)].

أتدرون لم يا عباد الله؟ لأنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق، فماذا يصنع أحدنا بهذا المال وقد جاءت الساعة؟

رابعاً: من علامات الساعة الصغرى التي لم تظهر بعد: «**تكليم السباع والجمادات للإنس**».

إذا وجدت السباع تتكلم مع الناس فاعلم أنه قد اقتربت الساعة، إذا وجدت الجمادات تتكلم مع الناس فاعلم أنه قد اقتربت الساعة، فقد تكلم ذئب على عهد رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده**»[(٢)]، أي: أن الرجل وهو يمشي يتكلم معه، عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما فعل أهله بعده فلا تتعجب يا ابن آدم من ذلك فالله على كل شيء قدير، ففي يوم القيامة الله ﷻ يختم على الألسن والأفواه وتتكلم الأيدي والأرجل والجلود، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢١].

خامساً: من علامات الساعة الصغرى التي لم تظهر بعد: «**قتال المسلمين لليهود**»

أخبر النبي ﷺ أن المسلمين في آخر الزمان سيقتلون اليهود ويبيدونهم ويذُلونهم، وقد قاتل المسلمون اليهود عبر التاريخ الإسلامي، وانتصر المسلمون على اليهود عندما كان المسلمون يرفعون لواء

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٧٠٢)، م: (٢٨٩٤).

(٢) **صحيح**: ت: (٢١٨١)، حم: (٣/ ٨٣)، حب: (٦٤٩٤)، ك: (٤/ ٥١٤)، عب: (١١/ ٣٨٣)، [«س.ص» (١٢٢)].

(لا إله إلا الله) وعندما كانوا يجاهدون من أجل (لا إله إلا الله)، ويوم أن وضعوا راية (لا إله إلا الله) ورفعوا رايات الحزبية والقومية أذلهم الله، وسلط اليهود عليهم فأذلوهم، ولكن يوم أن يعود المسلمون إلى دينهم ويصلحوا عقيدتهم ويصبحوا عبيداً لله ويرفعوا راية (لا إله إلا لله)، ولا يكون لهم غاية إلا إعلاء كلمة (لا إله إلا الله) عندها ينصرهم الله ﷻ على اليهود ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

عباد الله: إذا رجع المسلمون إلى دينهم فهذا الكون بمائه وهوائه وشجره وحجره يقف جنداً مع المسلمين، يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»(١). ويقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**»(٢).

إخوة الإسلام! **من هذه الإخبارات النبوية يتبين لنا:**

أولاً: أَن من علامات الساعة الصغرى التي لم تظهر بعد، أن يقاتل المسلمون اليهود فيقتلونهم ويقضون عليهم، وهذا لا شك فيه ولا ريب، واليهود يعلمون ذلك علم اليقين، بل إنهم يعدُّون لذلك، ويعملون له حساباً ويعلمون أن المسلمين إذا رجعوا إلى دينهم وتمسكوا به ورفعوا راية (لا إله إلا الله) لن يتركوا على وجه الأرض يهودي.

ثانياً: من هذه الأحاديث يتبين لنا بأن الراية التي ترفع في هذا القتال هي راية (لا إله إلا الله)، وأن الذين يحملون هذه الراية يحملون عقيدة صحيحة، والدليل على ذلك أن الحجر والشجر ينادي يقول: يا مسلم، يا عبد الله؛ لأنَّ الله قال: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]. هذا المسلم المجاهد في ذلك اليوم لا يكون عبداً للمنصب،

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٢٢). (٢) **صحيح**: خ: (٢٧٦٨).

ولا عبداً للغنيمة، ولا عبداً للدينار، ولا عبداً للحزب، ولا للقومية، ولا للأرض، إنما هو عبد الله، إذاً لا بد أن نعود إلى الإسلام لأن الحجر والشجر سيقول: يا مسلم ولن يقول: يا فلان باسمه أو بالبلد الذي ينتمي إليه، بل سيقول: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله.

ثالثاً: وفي هذه الأحاديث دليل على أن الله ﷻ سيسخر هذا الكون يومئذٍ مع المسلمين لنصرة (لا إله إلا الله) فالحجر والشجر يقف مع المسلمين ويخبر عن اليهودي خلفه، وينادي على المسلمين ليقتلوا اليهودي الذي خلفه فيدل ذلك يا معشر المسلمين على أننا إذا عدنا إلى ديننا نصرنا الله، وسخر لنا جنده ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

رابعاً: ومن هذه الأخبار النبوية يتبين لنا أنَّ اليهود من أجبن خلق الله، والدليل على ذلك أن اليهودي يهرب من المسلم خلف الشجر والحجر، والله ﷻ يقول: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]، أي: أنهم من أجبن الناس، لا يستطيع الواحد منهم أن يواجه المسلم الحقيقي أبداً، وإنما يقاتله من وراء جدر، أو من بروج محصنة أو غير ذلك ولكن يومها أين المفر؟ أين المفر معشر اليهود والإسلام يطلبكم؟!، أين المفر والذين يرفعون الراية يومئذٍ هم أهل الإسلام حقيقةً؟! وحتى الحجر والشجر يصبح جنداً لله ﷻ يقاتل مع المسلمين.

أمّا أنتم يا معشر المسلمين أما تستحيوا أن يقاتل الحجر والشجر من أجل (لا إله إلا الله) وأنتم نيام تجمعون المال؟ وبعد أن تجمعوا المال فأين تذهبون؟ تذهبون إلى القبور وتتركونه فاستيقظوا من نومكم قبل فوات الأوان.

عباد الله! تكلمنا عن علامات الساعة الصغرى، وتكلمنا عن العلامات التي ظهرت منها وانقضت، وتكلمنا عن العلامات التي ظهرت ولا تزال تظهر وتتكرر في الناس، وها نحن أخبرناكم في هذا اليوم عن

علامات الساعة الصغرى التي لم تظهر بعد، وبذلك يتبين لنا أمة الإسلام أنه قد أزفت الآزفة، وأنه قد اقترب الوعد الحق، ومع ذلك فحالنا لم يزل كما وصفه الله في كتابه ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]. وينطبق علينا الوصف القرآني في قوله تعالى:

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢، ٣] نعم، هذا حالنا قد تبين لنا أنه قد أزفت الآزفة، وأنه قد اقترب الوعد الحق، ومع ذلك نسمع المواعظ، ونسمع الذكر، ونسمع هذا حلال وهذا حرام لكنَّ قلوبنا لاهية.

فيا إخوة الإسلام! ماذا تنتظرون؟ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر.

ماذا تنتظرون يا عبادَ الله، الساعة أن تأتيكم بغتة فقد جاء أشراطها، فقد جاءت علاماتها، ماذا تنتظرون؟! الساعة أن تأتيكم بغتة؟! أو أن تستيقظوا في الصباح فتجدوا الشمس وقد طلعت من مغربها، فتسارعوا وقتها لتتوبوا إلى الله فتغلق أمامكم أبواب التوبة؟! إذن ماذا تنتظرون؟ الساعة، فقد جاء أشراطها.

ابن آدم ماذا تنتظر؟ تنتظر أن ينزل عليك ملك الموت قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ـ سيقال لك ـ ﴿كَلَّآ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]. ماذا تنتظر؟ تنتظر أن تحمل على الأعناق إلى المقابر فتوضع في قبرك فيدخل عليك ملكان فيسألانك عن ربك وعن دينك، وعن رسولك فتقول: ها ها لا أدري. ماذا تنتظر؟ تنتظر إذا تطايرت الصحف وأخذت كتابك بشمالك فتقول: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٧ ـ ٢٩]؟! تنتظر يا ابن آدم أن تقف بين يدي الله فتقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]؟! تنتظر يا ابن آدم أن تقف على باب النار فتقول: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا

نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]؟!

تنتظر يا ابن آدم أن تدخل النار فتقول: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾؟! [المؤمنون: ١٠٧] ماذا تنتظر؟ تنتظر أن تقول: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾؟! [الزمر: ٥٦] ماذا تنتظر يا ابن آدم، التوبة! الاستيقاظ!

انظر إلى هيئتك هل هي هيئة المسلمين؟ انظر إلى زوجتك هل لباسها لباس المؤمنات؟ انظر إلى بيتك هل هو على الأساس الذي يقام عليه بيت المسلم؟ انظر إلى عملك هل يليق بك كمسلم، انظر إلى مالك هل جمعته من الحلال؟ انظر إلى مالك هل تنفقه في الحلال؟ انظر إلى أولادك هل تربيهم على مائدة الكتاب والسنة؟ استيقظ قبل فوات الأوان.

إخوة الإسلام! هذه علامات الساعة الصغرى، وبعدها سيكون حديثنا عن علامات الساعة الكبرى التي بعدها تقوم الساعة فما هي العلامة الأولى من علامات الساعة الكبرى؟ هذا ما سنعيش معه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً





علامات الساعة الكبرى

١ ـ المهدي

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال جبريل عليه السلام: يا رسول الله، متى الساعة؟ فقال ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»(١).

فيا عباد الله! لا يعلم متى الساعة إلا الله، ولكن الله ﷻ رحمةً منه بالناس جعل للساعة علامات وأمارات تعرف بها، وتدل على اقترابها، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ﴾ [محمد: ١٨]، أي: فقد جاءت علاماتها.

● وقسَّم العلماء علامات الساعة إلى قسمين: علامات صغرى، وعلامات كبرى، وفي الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن علامات الساعة الصغرى.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع بداية الحديث عن علامات الساعة الكبرى.

عباد الله! علامات الساعة الكبرى إذا ظهرت العلامة الأولى منها تبعتها الأخرى على إثرها، وعندها يندم المفرط، ويندم العاصي، ويندم المجرم في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠)، م: (٩).

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

إخوة الإسلام! من علامات الساعة الكبرى: **(ظهور المهدي)**.

والمهدي: خليفة راشد صالح يظهر في الأمة الإسلامية في آخر الزمان يحكم بالإسلام، ويحكم الناس بالعدل، ويجدد لهذه الأمة دينها، يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، لا يدع سنة من سنن الإسلام إلا أقامها، ولا يدع بدعة إلا رفعها وأبادها.

المهدي حقيقة ثابتة بالأحاديث الصحيحة المتواترة تواتراً معنوياً لا ينكره إلا جاهل أو ضال.

فتعالوا بنا لنتعرف على المهدي من خلال الأحاديث الصحيحة الثابتة.

أولاً: المهدي من آل بيت النبوة، من سلالة فاطمة رضي الله عنها، واسمه: محمد بن عبد الله.

يقول صلى الله عليه وسلم: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**»[(١)]، ويقول صلى الله عليه وسلم: «**المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة**»[(٢)]. ويقول صلى الله عليه وسلم: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**»[(٣)].

ثانياً: صفاته ومتى يظهر؟ وكم يمكث في الأرض؟

---

(١) **صحيح**: د: (٤٢٨٤)، هـ: (٤٠٨٦)، ك: (٤/ ٦٠١)، [«ص.ج» (٦٧٣٤)].

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠٨٥)، حم: (١/ ٨٤)، ع: (١/ ٣٥٩)، بز: (٢/ ٢٤٣)، ش: (٧/ ٥١٣)، حل: (٣/ ١٧٧)، [«ص.ج» (٦٧٣٥)].

(٣) **صحيح**: د: (٤٢٨٢)، طب: (١٠/ ١٣٥)، طس: (٢/ ٥٥)، ك: (٤/ ٤٨٨) [«س. ص» (١٥٢٩)].

يقول ﷺ: «**المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين**»(١)، وقال ﷺ: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً، أو ثمانياً، يعني حججاً**»(٢)، ويقول ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً ولا يعده عدّاً**»(٣)، وقال ﷺ: «**من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عدّاً**»(٤).

فيا عباد الله! من خلال هذه الأحاديث الصحيحة التي جاءت تتكلم عن المهدي نستطيع أن نكوّن له هوية شخصية بياناتها ما يلي:

الاسم: محمد بن عبد الله.

اسم الشهرة: المهدي.

نسبه: من سلالة آل البيت، من سلالة فاطمة من ولد الحسن.

عمره: عندما يخرج في الناس يكون عمره أربعون عاماً.

مولده: يولد بالمدينة.

مهاجره: يهاجر إلى بيت المقدس.

كم يمكث في الأرض عندما يبعث فيها: سبع أو ثماني أو تسع سنين.

طوله: ربعةٌ ليس بالطويل ولا بالقصير.

لونه: مشرب بحمرة.

صفاته: أجلى الجبهة ـ أي: واسع الجبهة ـ أقنى الأنف، وأدق الحاجبين وكث اللحية، وبراق الثنايا، مفرقاً ـ أي: مفرق بين الثنايا.

خروجه: يخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وعند انتشار الفتن

---

(١) **حسن**: د: (٤٢٨٥)، ك: (٤/ ٦٠٠)، [«ص.ج» (٦٧٣٦)].

(٢) **صحيح**: ك: (٤/ ٦٠١)، [«س.ص» (٧١١)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٩١٣).

(٤) **صحيح**: م: (٢٩١٤).

وعندما يشرب الناس الخمر، وعندما ينتشر الزنا والربا ويكثر الجهل ويقل العلم.

عباد الله! إذن المهدي عندما يبلغ عمره أربعين سنة يهاجر من المدينة إلى مكة من شدة الفتن، يخاف على نفسه من القتل، وهناك في الحرم بجوار الكعبة بين الركن والمقام يبايعه عدد من علماء الأمة، فإذا علم الناس به ووصلهم خبره جاء الناس من فجاج الأرض يبايعونه، فإذا انتشر خبره أخرج أعداؤه له جيشاً كبيراً ليقضي عليه وعلى من معه، فيخسف الله بهذا الجيش كله وهو في طريقه من المدينة إلى مكة، يقول ﷺ: «**يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم**» فقالت أم المؤمنين: يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: «**يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**»[1]، وقال ﷺ: «**يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم**»، قالت ـ أم المؤمنين ـ: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «**يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم**»[2].

أمة الإسلام! وينصر الله ﷻ المهدي، ويؤيده، ويحفظه، ويقوم المهدي، ويسير في الناس بسيرة محمد ﷺ، ويحكم في الناس بالإسلام، ويحكم بين الناس بالعدل، ويملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وينتشر الأمن والأمان في عهده، حتى إن الذئب ينام مع الغنم في مكان واحد ولا يُخشى على الغنم منه، ويلعب الصبيان بالحيات والعقارب ولا يُخشى على الصبيان منها، ثم بعد ذلك يفتح المهدي الدنيا من مشرقها إلى مغربها، ويملك الدنيا كلها كما ملكها ذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام، ثم يهاجر المهدي من المدينة إلى بيت المقدس، وعندما يهاجر من المدينة إلى بيت المقدس يَعْمُرَ بيت المقدس وتخربُ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٨٢).
(٢) **صحيح**: خ: (٢٠١٢).

المدينة وقد أخبرنا بذلك كله رسول الله ﷺ. فقال ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال**»(١).

عباد الله! ويبقى المهدي في بيت المقدس مع أتباعه وتأتيه ملوك الدنيا مقيدين بالقيود، فيملك كل بقاع الدنيا، وبينما هو كذلك في بيت المقدس إذ يظهر الدجال، فينزل عيسى ابن مريم من السماء وقد أوى المهدي ومن معه إلى بيت المقدس، فيأتي عيسى ابن مريم وقد أقيمت الصلاة والمهدي يريد أن يدخل للصلاة بالناس إماماً عندها يرىٰ عيسى ابن مريم فيطلب منه أن يصلي بالناس إماماً فيقول له عيسى: لا. قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**» قال: «**فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا، فيقولُ: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**»(٢).

عباد الله! إذاً ها هو المهدي يصلي بالناس إماماً، وعيسى ابن مريم يصلي خلفه، وها هو الدجال قد جاء بفتنته العظيمة، فماذا يحدث بعد ذلك؟ هذا ما نخبركم به في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

عباد الله! **الناس مع المهدي ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: قسم يكذبون بالمهدي وينكرونه، فمنهم من يقول: الأحاديث التي جاءت في ذكر المهدي غير صريحة، بل وقالوا: والصريح فيها غير صحيح، وهذا جهل عضال لأن الأحاديث التي جاءت في ذكر المهدي بلغت حد التواتر المعنوي، وهي صحيحة صريحة لا ينكرها إلا جاهل.

---

(١) **صحيح**: د: (٤٢٩٤)، حم: (٥/ ٢٣٢)، ك: (٤/ ٤٦٧)، طب: (٢٠/ ١٠٨)، ش: (٧/ ٤٥٨)، [«ص.ج» (٤٠٩٦)].

(٢) **صحيح**: م: (١٥٦).

• ولعل من هذا القسم من كذب بالمهدي لأن هناك من الدجالين من ادعى أنه المهدي، فأحدث فتنة عظيمة في الأمة، فما كان من هذا الفريق إلا إنكار المهدي، وهذا الإنكار جهل عضال فكما أنه لا يجوز أن ننكر شيئاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ، فكذلك لا يجوز أن ننكر المهدي، بل هناك من الناس من ادعى الألوهية كفرعون فهل يجوز على رأي هؤلاء أن ننكر الألوهية لله ﷻ؛ لأن فرعون ادعاها؟! أظن أنَّ هذا كلام باطل ومردود على أصحابه.

• لعل من هذا القسم الذين كذبوا بالمهدي، من كذبوا به لأن هناك أُناس قالوا بأنه لا جهاد في سبيل الله إلا إذا ظهر المهدي، فقامت هذه الطائفة حتى تردَّ على هؤلاء فكذبت بالمهدي، فنقول لهؤلاء وهؤلاء: كذبتم! فإن الجهاد في سبيل الله قائم في هذه الأمة منذ أَن بُعث محمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. والمهدي يأتي ليجدد لهذه الأمة دينها ويحكم في الناس بالإسلام.

أما القسم الثاني من الناس: فهم الشيعة الشنيعة وعقيدتهم في المهدي أنهم يقولون ويعتقدون أن المهدي هو الإمام الثاني عشر عندهم ويقولون: بأنه اختفى منذ أكثر من ألف عام، وكان عمره خمس سنين ويقولون: بأنه حاضر في الأمصار، غائب عن الأبصار سيخرج من السرداب في آخر الزمان، ولذلك تراهم يخرجون في كل يوم ينتظرونه بدابة على باب السرداب، ويظنون أنه سيخرج. وهذا والله كلام لا يخرج إلا من أفواه المجانين ولا يدخل إلا على المجانين.

القسم الثالث: من الناس مع المهدي ـ هم أهل الحق نسأل الله أن نكون منهم ـ وهؤلاء يعتقدون أن المهدي خليفة راشد صالح سيخرج في آخر الزمان، ويحكم في الناس بالإسلام ويملك الدنيا كما ملكها ذو القرنين، وسليمان بن داود ﷺ، وينشر الخير والطمأنينة والأمانة ويكون ذلك قبل قيام الساعة بل ويعدون خروجه من علامات الساعة الكبرى؛ لأن ذلك قد جاء وثبت في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

فيا إخوة الإسلام! هناك في هذا الزمان من ينكرون المهدي لأنهم يعتقدون أنهم هم الذين سيقيمون دولة الإسلام، فينكرون المهدي لأجل ذلك ونقول لهم: كذبتم على رسول الله ﷺ، فها هي الأحاديث التي قد أجمع علماء الأمة من جهابذة علماء الحديث على أنها صحيحة صريحة فلا ينكرها إلا جاهل أو ضال.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يفقهنا وإياكم في ديننا



١٢٤

علامات الساعة الكبرى

٢ ـ المسيح الدجال

عباد الله! يقول الله ﷻ ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨]، أي: علاماتها وأماراتها.

في الجمعة الماضية تكلمنا عن العلامة الأولى من علامات الساعة الكبرى.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع العلامة الثانية من علامات الساعة الكبرى «ألا وهي ظهور المسيح الدجال»

أمة الإسلام! المسيح الدجال يخرج في آخر الزمان في هذه الأمة، وخروجه علامة من علامات الساعة الكبرى، فإذا ظهر يا عباد الله فقد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق، والدجال فتنة عظيمة، وفتنته لم تشهد البشرية مثلها عبر التاريخ، ولذلك ما جاء نبي إلى قومه إلا وحذرهم من فتنة الدجال.

يقول ﷺ: «**يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإنّ الله ﷻ لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة**»[(١)].

أمة الإسلام! أنتم آخر الأمم، ورسولنا آخر الأنبياء، فيخبرنا ﷺ أن الدجال خارج فينا، أي: خارج في الأمة الإسلامية لا محالة.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠٧٧)، ك: (٤: ٥٨٠)، طب: (٨/ ١٤٦)، [«ص. ج» (٧٨٧٥)].

عباد الله! وسمي المسيح الدجال مسيحاً: لأن عينه اليمنى ممسوحة لا عين فيها، ولا حاجب، بخلاف المسيح عيسى ابن مريم حيث سمي مسيحاً: لأنه كان يمسح المريض بيده فيبرأ بإذن الله. وسمى الدجال دجالاً: لأنه يكذب على الناس، ويدجِّل على الناس، ولأنه يغطي الحق ويستره، ويظهر الباطل وينشره فسمي بذلك دجالاً.

أمة الإسلام! ورسولنا ﷺ من رحمته بنا وصف لنا الدجال وصفاً دقيقاً لنكون منه على حذر.

فقال ﷺ بعد أن بيَّن الدجال بياناً دقيقاً وذكر ما يكون معه من فتنة: «**يا أيها الناس فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفةً لم يصفها إياه نبي قبلي**»[١].

فتعالوا بنا لنتعرف على شخصية هذا الدجال، لنكون منه على حذر، فوالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه إن كثيراً من الناس في هذا الزمان ـ إلا من رحم ربي ـ لو ظهر الدجال لاتبعوه وآمنوا به وقالوا له: أنت ربنا.

فيا أمة الإسلام! فتنة الدجال فتنة عظيمة وفتنة شديدة يبتلي اللهُ بها الناس ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، فتعالوا يا أمة الإسلام وتعرفوا على صفات الدجال لتعرفوه إذا خرج فيكم.

من صفات الدجال:

أولاً: «**أنه أعور العينين**»، عينه اليمنى ممسوحة، لا يبصر بها، أي: لا عين فيها ولا حاجب، يقول ﷺ: «**إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، ـ وأشار بيده إلى عينه ـ وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**»[٢]، أما اليسرى فقد وصفها النبي ﷺ بأنها بارزة ناتئة وخضراء، وعليها ظفرة من اللحم تغطي على البصر فلا يرى بها إلا رؤية خفيفة.

ثانياً: **الدجال مكتوب بين عينيه كافر** لا يقرأها إلا المؤمنون، أما

---

(١) **صحيح**: المصدر السابق.

(٢) **صحيح**: خ: (٦٩٧٢).

الذين طمس الله على قلوبهم فلا يقرءونها لتعلموا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، الذي يحمل في قلبه عقيدة سليمة هو وحده الذي يقرأ على جبين الدجال كافر فاعرفوا ذلك. يقول ﷺ: «**ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه** ـ أي: الدجال ـ **كافر**»[١]، ـ وزاد الإمام أحمد في رواية له ـ «**يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»[٢].

ثالثاً: ومن صفات الدجال.

أنه رجل قصير، جسيم، أحمرُ، أجعد الرأس، أعور العينين، أفحج الرجلين، قال ﷺ: «**إني حدثتكم عن الدجال، حتى خشيت أن لا تعقلوا، إنَّ المسيح الدجال رجلٌ قصيرٌ أفحَجُ جعد أعورُ مطموس العين ليس بناتئةٍ ولا حَجراء، فإنْ أُلبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور**»[٣].

رابعاً: ومن صفات الدجال.

أنه عقيم لا يولد له، وأنه لا يصل إلى المدينة ومكة، يقول ﷺ في وصف الدجال: «**إنه لا يولد له**».. «**ولا يدخل المدينة ولا مكة**»[٤].

عباد الله! هذه صفات الدجال، صفات كلها عيوب، ومع ذلك يخرج في الناس ويقول لهم: أنا ربكم، وهناك الكثير من البشر يتبعونه.

ويأتي الدجال للناس بأمور عجيبة تظهر على يديه فتنة للناس قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

فمن الأمور العجيبة التي ستكون مع الدجال:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٩٧٣)، م: (٢٩٣٣).

(٢) **إسناده صحيح**: حم: (٣/ ٢٢٨)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٣) **صحيح**: د: (٤٣٢٠)، حم: (٥/ ٣٢٤)، حل: (٥/ ١٥٧)، [«ص.ج» (٢٤٥٩)].

(٤) **صحيح**: م: (٢٩٢٧).

أولاً: زهرة الدنيا واستجابة الجمادات له.

يأتي الدجال ومعه الدنيا، وكل محبي الدنيا سيتبعون الدجال.

عباد الله! أخبرنا ﷺ أنه سيكون قبل خروج الدجال سنوات يمنع الله ﷻ فيها السماء أن تمطر، ويمنع الأرض أن تنبت، والناس يكونون في فقر، وفي حاجة شديدة وفي هذا الجو من الضنك يخرج الدجال في الناس فيمر بالقوم فيقول لهم: أنا ربكم أتؤمنون بي؟ فإن آمنوا به أمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت فتنة للناس، ويمر على قوم آخرين فيدعوهم أن يؤمنوا به فيردون عليه دعوته، ويرفضون قوله فيخرج منهم وقد ذهب ما في أيديهم من الأخضر واليابس وفي ذلك فتنة عظيمة للناس، ذكر الرسول ﷺ الدجال ذات غداة... فقال رسول الله ﷺ: «...**فيأتي على القوم** ـ أي: الدجال ـ **فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتُمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم** ـ أي: ماشيتهم ـ **أطول ما كانت ذُرىً** ـ أي: لبناً ـ **وأسبغه ضروعاً، وأمدَّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين** ـ أي: مجدبين ـ **ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل** ـ أي: ذكور النحل ـ ...»[1] الحديث.

أمة الإسلام! معشر الأغنياء، معشر التجار، معشر محبي الدنيا في هذا الزمان، أستحلفكم بالله لو خرج الدجال فينا اليوم، ووعد الناس بتحسين الأحوال الاقتصادية وأن يصبح التجار يبيعون بآلاف الدنانير في اليوم، فبالله عليكم إذا خرج فينا اليوم وفعل لهم ذلك كم من الناس من سيتبع الدجال؟

إنها فتنة ولا ينجو منها إلا صاحب الإيمان، وصاحب العقيدة الصحيحة فانتبهوا. يأتي الدجال ومعه الدنيا، يغري الناس، يغري محبي

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٣٧).

الدنيا بالدنيا ويدعوهم إلى عبادته بما معه من دنيا، عبادَ اللهِ، ومِنْ فتنته أَنه «**يمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل**»(١).

ثانياً: ومن الفتن العجيبة مع هذا الدجال أنه يجيءُ ومعه مثل الجنة والنار يتبعه نهران يقول ﷺ: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أَحدُهما: رأي العين ماء أبيض، والآخر: رأى العين نار تأجج فإما أدركنَّ أحد منكم فليأت النهر الذي يراه ناراً، وليُغَمِّض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد**»(٢).

ثالثاً: ومن الفتن التي ستكون مع الدجال: (**سرعة انتقاله في الأرض**).

ينتقل على هذه الكرة الأرضية في مدة قليلة جداً، سُئِلَ ﷺ عن سرعة الدجال فقال ﷺ: «**كالغيث استدبرته الريح**»(٣)، أي: كالمطر استدبرته أي: تدفعه دفعاً وبسرعة شديدة فهو يصل إلى كل مكان على وجه الأرض إلا مكة والمدينة.

رابعاً: ومن فتن الدجال التي يفتن بها الناس: (**استجابة الشياطين لأمره**).

نعم الدجال يأتي لنشر الفساد في الأرض، والذين يستجيبون للدجال هم شياطين الإنس والجن، فيكون من فتنته للناس أن الشياطين تستجيب لأمره يقول ﷺ: «**وأن من فتنته** ـ أي: الدجال ـ **أن يقول لأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه، فإنه ربك**»(٤). فتنة هل يقف أمامها إلا المؤمن العالم الذي امتلأ قلبه بالعقيدة الصحيحة؟ فتنة! الرجل

---

(١) **صحيح**: المصدر السابق.

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٣٤)، خ: (٣٢٦٦). (٣) **صحيح**: م: (٢٩٣٧).

(٤) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٦٥.

يرى بأم عينه أباه وأمه الأموات خرجا يقولان له: يا بني اتبعه، فإنه ربك، وما هي إلا الشياطين قد استجابت لأمر الدجال وتمثلت بصورة الأموات: إنها فتنة!

خامساً: ومن فتن الدجال أنه يأتي كل مكان على وجه الأرض ويذهب إلى المدينة ويحاول أن يدخلها فيجد الملائكة قد وقفت على أبوابها بأسلحة فتمنعه من الدخول، (فينزل الدجال إلى بعض السباخ تلي المدينة ويخرج له شاب من المدينة هو من خيرة الناس يومئذٍ فيذهب إلى الدجال ويقول له: أشهد بالله إنك الدجال الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ، فيأخذه الدجال وينشره بالمنشار فيقطعه إلى قطعتين، ثم يمشي الدجال بين قطعتي جسد الشاب ثم يقول له: قم فيقوم الشاب حياً مرة ثانية فيقول له الدجال: أتؤمن بي؟ فيقول الشاب: لا والله ما ازددت فيك إلا بصيرة إنك أنت الدجال)[1].

إخوة الإسلام! هذا هو الدجال وهذه صفاته، وهذه هي الفتن التي تكون معه لا ينجو منها إلا المؤمن العالم بدينه.

فتنة الدجال فتنة عظيمة فاعرفوها وتجهزوا لها، واسألوا الله ﷻ أن يثبتكم أمامها فإنه لا ينجو منها إلا من رحمه الله وثبته.

إخوة الإسلام! من أين يخرج الدجال؟ وكم يمكث في الأرض؟ ومن الذين يتبعونه؟ وأين يقتل؟ ومن الذي يقتله؟

الدجال يخرج من قِبل المشرق من بلاد فارسية يقال لها: خراسان ويظهر أمره للمسلمين عندما يكون بين الشام والعراق.

ويمكث الدجال في الأرض: أربعين يوماً؛ يومٌ كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم هذه، أخبر بذلك رسول الله ﷺ أصحابه فقالوا: يا رسول الله اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟

---

(١) **صحيح**: انظر الحديث وتخريجه ص٧٥.

فقال ﷺ: «**لا، اقدروا له قدره**»(١) أي: انتظروا قدر ما كنتم تنتظرون في يومكم وصلوا الصبح، ثم انتظروا وصلوا الظهر، ثم انتظروا وصلوا العصر، وهكذا حتى ينتهي هذا اليوم الذي طوله كالسنة.

أما الذين يتبعون الدجال فهم اليهود، وكل من لا دين لهم.

وهذا أمر معروف معلوم لأن اليهود يحبون الفساد، ويحبون نشر الفساد في الأرض، فإذا جاء الدجال ينشر الفساد، والكفر والضلال اتبعه اليهود.

يقول ﷺ: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة**»(٢).

عباد الله! يأتي الدجال ليملأ الأرض فساداً وظلماً وكفراً وضلالاً فإذا وصل إلى المدينة وعجز عن دخولها رجع إلى بيت المقدس، «وهناك في بيت المقدس ـ كما قلنا في الجمعة الماضية ـ يكون المهدي يريد أن يصلي إماماً بالمسلمين في بيت المقدس ويصلي خلفه عيسى ابن مريم، فإذا انتهت الصلاة وعلم عيسى عليه السلام أن الدجال قد جاء إلى بيت المقدس خرج عيسى ليدرك الدجال، فإذا رأى الدجال عيسى ابن مريم ذاب كما يذوب الملح في الماء فيقول عيسى ﷺ: إنَّ لي فيك ضربة لن تفوتني فيضربه عيسى ضربة عند باب اللد الشرقي ـ وهي بلدة في فلسطين ـ فيقتل الدجال)(٣).

لكن أين الذين كانوا مع الدجال من اليهود؟ إنهم سيهربون من المؤمنين خلف الأحجار والأشجار فينادي الحجر والشجر ويقول: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود»(٤) لتعلموا أنها العقيدة أولاً، لم ينادي الحجر ولا الشجر:

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٣٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٩٤٤).

(٣) **صحيح**: [«ص.ج» (٧٨٧٥)] انظر الخبر فيه بتمامه، وقد تقدم تخريجه ص٦٥.

(٤) نفس المصدر السابق.

يا مصري ولا يا فلسطيني ولا يا أردني ولا يا عراقي، إنما يقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله.

عباد الله! كيف ينجِّي أحدنا نفسه من فتنة الدجال؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



١٢٥

سبيل النجاة من فتنة الدجال

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن العلامة الثانية من علامات الساعة الكبرى ألا وهي ظهور المسيح الدجال.

وقلنا يا عباد الله: إن المسيح الدجال فتنة من أخطر الفتن التي تتعرض لها البشرية منذ خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول ﷺ: «**يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله ﷻ لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة**»(١).

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع «كيفية النجاة من فتنة الدجال».**

أيها المسلم: كيف تنجي نفسك من فتنة المسيح الدجال؟

أولاً: عليك أيها المسلم أن تكون على علم بصفات الدجال حتى إذا ظهر عرفته، وقد قلنا في الجمعة الماضية: إن من صفات الدجال: أنه أعور العينين، وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأها كل مسلم يكتب أو لا يكتب، وقلنا بأنه شاب، قصير، جسيم، أحمر، أجعد الرأس، أفحج، فإذا عرفت هذه الصفات وكنت على علم بها فإذا سمعت برجل قد خرج بين الشام والعراق بهذه الصفات يدعو الناس إلى عبادته ويقول لهم: أنا ربكم، فاعلم بأن هذا هو المسيح الدجال.

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٦٥.

ثانياً: عليك أيها المسلم إذا سمعت بأن الدجال قد ظهر أن تبتعد عن وجهه، وأن تبتعد عن طريقه حتى لا تُفتن بما معه من الشبهات، يقول ﷺ: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه لما يبعث به من الشبهات**»(١).

ولذلك أيها المسلم في كل مكان إذا علمت وسمعت أن الدجال قد ظهر على وجه الأرض فعليك أن تبتعد عن طريقه خشية أن تفتتن بما معه من الشبهات، وقد أخبرنا ﷺ أن كثيراً من الناس يهربون من وجه الدجال إلى الجبال فقال ﷺ: «**ليفرَّن الناس من الدجال في الجبال**»(٢).

أيها المسلم ولكن إذا اضطررت لمواجهة الدجال فعليك أن تصدع بالحق، وعليك أن تقول له: بأنك أنت الدجال، وعليك أن تبين لمن اتبع الدجال بأن هذا هو الدجال، وإن قتلك أيها المسلم وألقاك في ناره التي معه فإنها جنة في الحقيقة فلا تخف.

ثالثاً: عليك أيها المسلم أن تثبت على الحق، ولا تفتتن بشبهات الدجال لأن الرسول ﷺ قال: «**إنه** ـ أي: الدجال ـ **خارج خلَّة بين الشام والعراق، فعاث يميناً** ـ أي: أفسد يميناً ـ **وعاث شمالاً** ـ أي: أفسد شمالاً ـ **يا عباد الله! فاثبتوا**»(٣)، أي: اثبتوا على دينكم، اثبتوا على ما أنتم عليه من الحق.

● وهذا شاب يضرب لنا مثلاً أعلى في الثبات في وجه الدجال، إذا أراد الدجال أن يدخل المدينة ووجد الملائكة وقفت على أبوابها تحميها من هذا الدجال فينزل في مكان يلي المدينة، يقول ﷺ: «**يخرج الدجال فيتوجه قِبلهُ رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال، فيقولون له أين تعمد؟ فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون**

---

(١) **صحيح**: د: (٤٣١٩)، حم: (٤/ ٤٣١)، ك: (٤/ ٥٧٦)، طب: (١٨/ ٣٢٠)، [«ص.ج» (٦٣٠١)].
(٢) **صحيح**: م: (٢٩٤٥).
(٣) **صحيح**: م: (٢٩٣٧).

له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء فيقولون: اقتلوه. فيقول. بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيشج، فيقول: خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال:فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتىٰ يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم فيستوي قائماً، ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة»(١).

فانظروا عباد الله إنه الإيمان الراسخ في قلب هذا الشاب الذي جعله يثبت، ويريد الدجال أن يقتله مرة ثانية فيحميه الله، فعليك أيها المسلم أن تثبت على الحق، ولا تفتتن بشبهات الدجال.

رابعاً: عليك أيها المسلم أن تلتجىء إلى الله، وأن تحتمي بحمى الله، وأن تستعيذ بالله ﷻ في كل صلاة من فتنة المسيح الدجال، فوالله لا تنجو منها إلا بفضل من الله، ولذلك كان ﷺ يستعيذ من فتنة الدجال في كل صلاة بل وقد أمرنا بذلك، أمرنا أن نستعيذ بالله من فتنة الدجال في كل صلاة إذا جلسنا للتشهد.

يقول ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»(٢).

خامساً: عليك أيها المسلم أن تحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها فهذا يعصمك بإذن الله من الدجال، قال ﷺ: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال**»(٣)، وفي رواية أخرى:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٧١٣)، م: (٢٩٣٨). (٢) **صحيح**: م: (٥٨٨).
(٣) **صحيح**: م: (٨٠٩).

«**من آخر الكهف**»(١). فيا معشر المسلمين، القرآن ينفعكم في الدنيا، وعند الفتن، ويوم القيامة، فإذا ظهر الدجال وكنت تحفظ هذه الآيات فاقرأها على الدجال تعصم بإذن الله منه، قال ﷺ: «**فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»(٢).

سادساً: عليك أيها المسلم إذا ظهر الدجال أن تذهب إلى مكة أو إلى المدينة إن استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإن الدجال لا يدخلها أبداً. قال ﷺ: «**على أنقاب المدينة** ـ أي: على مداخل المدينة ـ **ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»(٣)، وقال ﷺ: «**وإنه** ـ أي: الدجال ـ **لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة..**»(٤).

سابعاً: عليك أيها المسلم أن تكون على علم بالكتاب والسنة حتى تميز بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، فيا أيها المسلم، إذا رأيت رجلاً يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو يضرب نفسه بالسكاكين، أو يمشي على النار، أو يأكل الزجاج والمسامير فلا تحكم عليه بأنه من أولياء الله حتى تعرض عمله وتعرضه على الكتاب والسنة، فإن كان مؤمناً تقياً ورعاً صادقاً مخلصاً متمسكاً بالكتاب والسنة، فاعلم أنه من أولياء الله، وإن رأيته مجرماً فاسقاً عاصياً آكلاً للربا زانياً لا يتقي الله ﷻ فاعلم ـ وإن ظهرت على يديه خوارق العادات ـ أنه من أولياء الشيطان.

وأكبر دليل على ذلك هذا الدجال الذي تكلمنا عنه فإنه تظهر على يديه خوارق العادات، ومع ذلك فهو مكتوب بين عينيه كافر، وهو يدعو الناس ويقول لهم: أنا ربكم، كذب والله إن ربكم ليس بأعور، ولو كان هذا الدجال إلهاً يقدر على كل شيء لأزال العور عن عينه ولمحا كلمة كافر عن جبينه، ولكنه لا يستطيع لأن الله أرسله إلى الناس ليكون لهم فتنة ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

---

(١) **صحيح**: م: (٨٠٩). (٢) **صحيح**: م: (٢٩٣٧).
(٣) **صحيح**: خ: (١٧٨١)، م: (١٣٧٩). (٤) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٦٥.

فيا عبد الله! إذا لم تكن تميز بين أولياء الرحمٰن، وأولياء الشيطان فإنك ستظن أن الدجال من أولياء الرحمٰن، لما معه من خوارق العادات فتتبعه وعندها ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

والخلاصة: لكي ينجو الواحد منا مِنْ فتنةِ الدجال فعليه:

أولاً: أن يكون على علم بصفات الدجال.

ثانياً: أن يبتعد عن الدجال حتى لا يفتتن بما معه من الشبهات.

ثالثاً: أن يثبت على الحق ولا يفتتن بما مع الدجال من الشبهات.

رابعاً: أن يستعيذ بالله ﷻ من فتنة الدجال في كل صلاة إذا جلس للتشهد.

خامساً: أن يحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها.

سادساً: أن يذهب إلى مكة أو المدينة إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

سابعاً: أن يكون على علم بالكتاب والسنة حتى يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

عباد الله! الولاية المذكورة في كتاب الله ولايتان:

١ ـ ولاية للرحمٰن.

٢ ـ ولاية للشيطان.

أولياء الله ﷻ قد وصفهم الله لنا في كتابه حتى لا نغتر بأصحاب العمائم الخضراء، وبأصحاب القبب الخضراء، أو بالذين يضربون أنفسهم بالسكاكين وبأسياخ الحديد، ويسجلون ذلك على أشرطة الفيديو ويزعمون أنهم من أولياء الله.

قد وصف الله لنا أولياءه في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. فأنت بالإيمان والتقوى تصبح من أولياء الله، فكل مؤمن تقي هو لله ولي فانظروا معي رحمكم الله، هل وصف الله لنا أولياؤه

بأن عمائمهم خضراء أو بأنهم يتصفون بصفة معينة، أو بأنهم يطيرون في الهواء، أو بأنهم يمشون على الماء، أو بأنهم يضربون أنفسهم بالسكاكين وأنهم يأكلون الزجاج، ويقولون: نحن من أولياء الله؟!

أمة الإسلام! الدجال الكبير قد تكلمنا عنه، وقد وصفناه لكم، وقد حذرناكم منه وقد بينا لكم كيف ينجي أحدنا نفسه من هذا الدجال.

أما الدجالون الآخرون الذين يدجلون على المسلمين، وعلى الإسلام، ويزعمون أنهم من أولياء الله وكذبوا واللهِ، فهم من أولياء الشيطان. وأظنكم عباد الله لا يخفى عليكم أن هناك ممن ينتسبون إلى الإسلام، ـ والإسلام منهم بريء ـ مَنْ يصورون على أشرطة الفيديو وهم يضربون أنفسهم بالحديد والسكاكين، ويمشون بين النار، ويفعلون أشياء يظنون أنها من خوارق العادات ويزعمون أنهم من أولياء الله فنقول لهؤلاء: والله كذبتم إنكم من أولياء الشيطان، لِمَ؟.

أولاً: لأن هذه الأعمال التي تقومون بها يفعلها الكفار الذين يعبدون البقر ويعبدون النار، وأظنكم رأيتم ذلك من الهنود الذين يعبدون البقر فهم يفعلون من خوارق العادات ما لا يعلمه إلا الله، فهل هم من أولياء الله؟ وها هو الدجال يقول للسماء: أمطري فتمطر، ويقول للأرض: انبتي فتنبت، ويقول للكنوز في الأرض: اخرجي فتخرج، فهل هو من أولياء الله، قولوا لهم ذلك هل هؤلاء من أولياء الله؟ إذا كانت خوارق العادات دليلاً على أن صاحبها من أولياء الله فهل الدجال وعبَّاد البقر وعبَّاد النار من أولياء الله؟

ثانياً: نقول لهم: تضربون أنفسكم بالحديد، وتأكلون المسامير، والزجاج، وتمشون على الماء والهواء، وتزكون أنفسكم وتقولون: نحن من أولياء الله، فنحن نقول لكم: هذه مخالفة شرعية؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

ثالثاً: نقول لهم: تضربون أنفسكم بالسكاكين، وتقولون: ها نحن لا نتألم من ضرب السكاكين لأننا من أولياء الله، نقول لهم: الفاروق عمر

وهو يصلي بالمسلمين إماماً طعن بخنجر من المجوسي فسال دمه ومات على إثرها، فهل أنتم يا معشر الكذابين أفضل عند الله من عمر؟

رابعاً: نقول لهم: تضربون أنفسكم وتأكلون الزجاج والمسامير، وفي هذا إيذاء للبدن، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ويقول ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»(١).

ثم نقول لهم أخيراً: ماذا تقدمون للإسلام بمثل هذه الأعمال؟ نقول لهم: ماذا يستفيد منكم الإسلام إذا وقفتم وضربم أنفسكم بالسكاكين وصورتم ذلك على أشرطة الفيديو ثم أرسلتوه إلى كل مكان؟ هل خدمتم الإسلام بذلك؟ هل دخل الناس في دين الله أفواجاً بذلك؟ لا والله فالكفار إذا رأوا مثل هذه الأعمال قالوا: أهذا هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله؟ أهذا هو الإسلام الذي تربى عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟.

فهل هذا هو الإسلام!؟ لا والله، ونقول لهم: يا معشر الكذابين، ماذا تريدون بهذه الأعمال؟ تعلموا علم الكتاب والسنة، واعملوا بهما، وعلموا الناس الخير وادعوا الناس إلى الكتاب والسنة.

ولكن أردنا يا أمة الإسلام أن نبين من هم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، حتى لا تفتن يا عبد الله إذا رأيت الدجال، وأمثال الدجال ممن يُظْهرون خوارق العادات وحتى لا تظن أنهم من أولياء الرحمن؛ فإذا رأيت رجلاً يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، فاعرضه واعرض عمله على الكتاب والسنة، فإن كان مؤمناً تقياً ورعاً مخلصاً فاعلم أن هذه كرامة له، وأن هذا من أولياء الله، وإن وجدته كاذباً لا يصلي، أو وجدته يشرب الخمر، أو وجدت امرأته متبرجة، ثم رأيته يطير في الهواء، فاعلم أنه من أولياء الشيطان.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٣٤٠)، حم: (٥/٣٢٦)، ك: (٢/٦٦)، فع: (١٠٩٦)، قط: (٣/٧٧)، طب: (٢/٨٦)، ع: (٤/٣٩٧)، [«ص.ج» (٧٥١٧)].

١٢٦

علامات الساعة الكبرى

٣ ـ نزول عيسى عليه السلام

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن العلامة الثانية من علامات الساعة الكبرى.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن العلامة الثالثة من علامات الساعة الكبرى ألا وهي نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

عباد الله! وحديثنا عن عيسى عليه السلام سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: عيسى عليه السلام في عقيدة اليهود.

العنصر الثاني: عيسى عليه السلام في عقيدة النصارى.

العنصر الثالث: عيسى عليه السلام في عقيدة المسلمين.

عباد الله! عيسى عليه السلام في عقيدة اليهود.

أولاً: اليهود لعنهم الله يعتقدون أن عيسى عليه السلام ولد زنا ويتهمون أمه بفاحشة الزنا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

• والله عز وجل أخبرنا بفريتهم في كتابه فقال تعالى عن اليهود: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦]، والبهتان العظيم الذي افتراه اليهود على مريم أنهم اتهموها بالزنا.

• والله عز وجل رد عليهم ذلك، وبيَّن أنهم قد كذبوا، فأخبرنا سبحانه في كتابه أن مريم ولدت ابنها في بيت النبوة، وفي بيت العفاف والطهر. فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ

أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٦].

وبهذا يتبين لنا يا عباد الله من كتاب ربنا أن مريم ولدت في بيت النبوة، وولدت في بيت العفاف والطهر.

• وبيَّن لنا ربنا جل وعلا أن مريم تربت على مائدة الإيمان، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

• وبيَّن لنا ربنا جلَّ وعلا أن مريم قد حملت بعيسى عليه السلام بأمر من الله ليكون للناس آية، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم: ١٦ ـ ٢٢].

فيبيِّن الله لنا أن مريم ولدت في بيت العفاف والطهر، وأنها تربت على مائدة الإيمان، وبين لنا كيف حملت بعيسى عليه السلام رداً على افتراءات اليهود الذين قالوا بأن عيسى عليه السلام ولد زنا.

ثانياً: اليهود عليهم لعنة الله يعتقدون أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم، وأنهم صلبوه والله عز وجل أخبرنا بما قالوا.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ ـ أي اليهود ـ ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

فيا أمة الإسلام هذه هي عقيدة اليهود في عيسى ابن مريم: إنها عقيدة فاسدة.

عباد الله! أما عقيدة النصارى في عيسى ابن مريم.

١ ـ فمنهم من يعتقد أن عيسى عليه السلام هو ابن الله، والله عز وجل أخبرنا بذلك عنهم وكذبهم وهددهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

● وردَّ عليهم ربنا جل وعلا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ﴾ [النساء: ١٧١].

● والله عز وجل يردُّ على النصارى، وعلى كل من يعتقد أن لله ولداً فيقول الله عز وجل لهم مستنكراً: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ﴾ [الأنعام: ١٠١] ـ أي: زوجة ـ، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥].

٢ـ وفرقة ثانية من النصارى يعتقدون أن المسيح ابن مريم هو الله، والله عز وجل كفَّرهم بقولهم هذا وهدَّدهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ [المائدة: ١٧].

٣ ـ وفرقة ثالثة من النصارى يعتقدون في المسيح ابن مريم بعقيدة

التثليث فيقولون: الأب والابن وروح القدس، والله ﷻ كفَّرهم بعقيدتهم تلك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام عقيدة فاسدة، وعقيدة اليهود في المسيح عليه السلام عقيدة فاسدة، والحق يا عباد الله هو ما جاء في كتاب ربنا.

عباد الله! أما عقيدة المسلمين في المسيح ابن مريم عليه السلام:

أولاً: المسلمون يعتقدون أن عيسى ابن مريم بشر مخلوق، خلقه الله بقدرته، ليكون للناس آية، فخلقه من أم بلا أب كما خلق آدم عليه السلام بدون أم ولا أب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩]. فهو ليس إله، وليس هو الله، إنما هو مخلوق بقدرة الله ﷻ، وهو سيموت، وسيعود إلى التراب كجميع المخلوقات.

ثانياً: المسلمون يعتقدون أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله جاء إلى قومه يدعوهم إلى عقيدة التوحيد، ويحذرهم من عقيدة الشرك، فهذا المسيح عليه السلام في أول لحظة يتكلم فيها يُصرح ويقول: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، وذلك عندما رجعت مريم تحمله إلى أهلها فأنكروا عليها ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: ٢٩، ٣٠] عيسى عليه السلام قال: إني عبد الله، ولم يقل: إني إله، ولم يقل: أنا ابن الله إنما: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾.

وعيسى عليه السلام رسول كباقي الرسل، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ

ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥].

● وجاء عيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

ثالثاً: المسلمون يعتقدون أن عيسى ابن مريم رُفع حياً من هذه الأرض إلى السماء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ ـ والوفاة تطلق على النوم، وعلى الموت، أي: سألقي عليك النوم ـ ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]، فعيسى عليه السلام عندما بُعث في بني إسرائيل يدعوهم إلى عقيدة التوحيد مكر اليهود به مكراً، وأرادوا أن يقتلوه ويصلبوه، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وجلس عيسى مع أنصاره يوماً في غرفة فألقى الله عليه النوم، ثم رفعه من سقف الغرفة إلى السماء، فدخل اليهود على أصحاب عيسى فأخذوا رجلاً يشبه عيسى فقتلوه وصلبوه على أنه عيسى، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

رابعاً: المسلمون يعتقدون أن عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمان، وأن نزوله علامة من علامات الساعة الكبرى، ويعتقدون أنه عليه السلام سيحكم بين الناس بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

والدليل على ذلك من كتاب ربنا: قوله ـ تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩].

والدليل من السنة: قال صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم** صلى الله عليه وسلم **حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع**

الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»(١).

وقد أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على أن المسيح عليه السلام سينزل في آخر الزمان ويحكم الناس بشريعة الإسلام، بشريعة محمد ﷺ.

عباد الله! عقيدة اليهود في المسيح ابن مريم عقيدة فاسدة.

- وعقيدة النصارى في المسيح ابن مريم عقيدة فاسدة.
- والمسلمون يعتقدون أن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، رُفِعَ حياً إلى السماء وسينزل في آخر الزمان يحكم بين الناس بشريعة محمد ﷺ.

إخوة الإسلام! أين ينزل عيسى عليه السلام؟ وما هي الأحداث التي تجري على يديه في ذاك الزمان؟ وكم يمكث في الأرض؟ وهل سيموت كما نموت أم لا؟

عباد الله! عيسى عليه السلام **«ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»**(٢) أخبر بذلك المصطفى ﷺ، وأما الأحداث التي تجري على يديه إذا نزل إلى الأرض فهي:

أولاً: يقضي على الدجال وعلى فتنته كما سمعتم في الجمع الماضية، فإن عيسى عليه السلام إذا جاء ورآه الدجال ذاب الدجال كما يذوب الملح في الماء فيدركه عيسى عليه السلام عند باب اللد في فلسطين فيقتله هناك ويقضي عليه وعلى فتنته وعلى أتباعه مِن اليهود(٣).

ثانياً: يقضي عيسى عليه السلام على جميع الشرائع الباطلة في الأرض، ولا يقبل من أحد ديناً إلا الإسلام، ولذلك يضع الجزية؛ لأن الناس جميعاً يدخلون في دين الله فلا يقبل ديناً من أحد إلا الإسلام(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٦٤)، م: (١٥٥).

(٢) **صحيح**: طب: (٢١٧/١)، [«ص،ج» (٨١٦٩)].

(٣) **صحيح**: [«ص.ج» (٧٨٧٥)] وقد تقدم تخريجه ص٦٥.

(٤) **صحيح**: د: (٤٣٢٤)، حم: (٤٠٦/٢)، حب: (٦٨١٤)، لس: (٢٥٧٥)، ش: (٤٩٩/٧)، [«س.ص» (٢١٨٢)] انظر الخبر بتمامه.

ثالثاً: يرفع الشحناء والبغضاء من بين الناس، فلا تبقى شحناء ولا بغضاء ولا حسد، ويكون الأمن والأمان في زمانه حتى إن الذئب يعيش مع الغنم ولا يخاف صاحب الغنم على غنمه من الذئب، والأولاد يلعبون بالحيات والعقارب ولا يخاف الناس على أولادهم، وتنزل البركات من السماء، وتخرج من الأرض حتى إن العائلة بأجمعها يأكلون رمانة واحدة فتكفيهم، والبيت الواحد يأكل قطفاً واحداً من العنب فيكفيهم(١). كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

رابعاً: يظهر في زمن عيسى عليه السلام يأجوج ومأجوج وهم قوم مفسدون في الأرض لا يقدر عليهم إلا الله، فإذا ظهروا ملأوا الدنيا فساداً وظلماً يأكلون الأخضر واليابس فيدعو عيسى عليه السلام ربه أن يهلكهم، ويستجيب الله عز وجل لدعاء عيسى، وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل ـ إن شاء الله تعالى ـ في الجمعة القادمة.

عباد الله! ويمكث عيسى عليه السلام في هذه الأرض يحكم الناس بشريعة الإسلام أربعين سنة، ثم يموت عيسى عليه السلام ويصلي عليه المسلمون، والدليل على موته قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، فهذا دليل على أنه سيموت، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم: ٣٣]، وقد جاء في السنة الصحيحة أن عيسى عليه السلام سيموت بعد أن يمكث في الأرض أربعين سنة ويصلي عليه المسلمون(٢).

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يخرجنا من الدنيا على لا إله إلا الله وأن يجمعنا مع نبينا صلى الله عليه وسلم

* * *

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٣٧)، حم: (٢/٤٠٦)، حب (٦٨٢١)، لس: (٢٥٧٥)، عب: (١١/٤٠١)، [«س.ص» (٢١٨٢)]، انظر الخبر فيهم جميعاً لتمام الفائدة.

(٢) **صحيح**: د: (٤٣٢٤)، حب: (٦٨٢١)، [«ص.ج» (٥٣٨٩)].



٤ ـ خروج يأجوج ومأجوج

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن العلامة الثالثة من علامات الساعة الكبرى.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع العلامة الرابعة من علامات الساعة الكبرى «ألا وهي خروج يأجوج ومأجوج».

عباد الله! يأجوج ومأجوج أمتان كبيرتان في العدد والعدة، وإذا خرجوا علينا دل ذلك على أن القيامة قد اقتربت، وأن الآزفة قد أزفت، وأن الوعد الحق قد ٱقترب، والدليل على ذلك أن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ـ عندها ـ ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

ويقول حذيفة رضي الله عنه: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون؟**»، قالوا: نذكر الساعة. قال: («**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**»، **فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم** عليه السلام، **ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**)(١). تظهر كل هذه الآيات قبل قيام الساعة، فإذا ظهرت فقد أزفت الآزفة، ويأجوج ومأجوج علامة من علامات الساعة الكبرى.

عباد الله! تعالوا بنا لنتعرف على هوية هؤلاء القوم من خلال كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٠١).

أولاً: يأجوج ومأجوج من ذرية آدم عليه السلام، ومن سلالة يافث ولد نوح عليه السلام يقول ﷺ: «**يقول الله** عز وجل ـ يوم القيامة ـ: **يا آدم! فيقول: لبيك! وسعديك! والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائةٍ وتسعة وتسعين. قال: فذاك حين يشيب الصغير** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]» قال: فاشتد ذلك عليهم. فقالوا: يا رسول الله! أينا ذاك الرجل؟ فقال: «**أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل...**»(١).

عباد الله! يأجوج ومأجوج قوم وجوههم عريضة، عيونهم صغيرة، شعورهم شقراء، كأن وجوههم المجان المطرقة لاستدارتها وكثرة اللحم عليها يقول ﷺ: «**إنكم تقولون لا عدو وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه، صغار العيون، شهب الشعاف** ـ أي: شعورهم شقراء ـ **من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة**»(٢).

ثالثاً: يأجوج ومأجوج أمتان كبيرتان في العدد والعدة لا يقدر على قتالهم أحد من البشر، والدليل على كثرتهم: قول الله عز وجل ـ مصوراً لنا حالهم إذا خرجوا من خلف السد ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦]، أي: من كل مكان مرتفع ينسلون، تصور يا ابن آدم هذه الأمة إذا خرجت من خلف السد على الناس وهم من كل حدب ينسلون، أي: من كل مكان مرتفع ينزلون على الناس، ويقول ﷺ: «**إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج**»(٣)، والدليل على قوتهم: قوله ﷺ: «**إذ أوحى الله إلى**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٦٥)، م: (٢٢٢).

(٢) **إسناده ضعيف**: حم: (٥/ ٢٧١)، طس: (١/ ١٩)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٣) **صحيح**: ت: (٣١٦٩)، حم: (٤/ ٤٣٥)، ك: (١/ ٨١)، طب: (١٨/ ١٤٥)، [«ص.ت» (٢٥٣٤)].

عيسى عليه السلام ـ بعد أن قتل الدجال ـ: **إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور**»[(١)]، أي يأمر الله عيسى ومن معه من المؤمنين أن يتحصنوا في جبل الطور وفي رواية: «**فإني قد أنزلت عباداً لي لا يَديْ لأحد بقتالهم**»[(٢)]. والدليل على كثرتهم وعلى قوتهم أنَّ المسلمين يوقدون على أدواتهم الحربية سبع سنين، قال ﷺ: «**سيوقد المسلمون مِنْ قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم، وأترستهم سبع سنين**»[(٣)].

عباد الله! يأجوج ومأجوج قوم مفسدون في الأرض بنى بيننا وبينهم ذو القرنين سداً منيعاً ولقد كان ذلك رحمة من الله للبشرية.

أخبرنا الله عن هؤلاء القوم وعن هذا السد كما تعلمون في سورة الكهف، يقول الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾، إلى أن قال ربنا جلّ وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ﴾ ـ وهي القطع الصغيرة من الحديد ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ ـ أي: الجبلين، أي: ملأهم بالحديد ـ ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ﴾ ـ أي: أوقدوا ناراً وقال لهم: انفخوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ـ والقطر: هو النحاس المذاب، وقد ثبت علمياً أن النحاس إذا وضع على الحديد زاده صلابة وقوة ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٨٣ ـ ٩٨].

من هذه الآيات يتبيَّن لنا عباد الله أن هذا السد الذي بناه ذو القرنين ـ وهو ملك مسلم قد أعطاه الله وسائل التمكين في الأرض فملك الدنيا من مشرقها إلى مغربها ـ هذا السد الذي بناه ذو القرنين سد متين جداً لا يقدر

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٣٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٩٣٧).
(٣) **صحيح**: هـ: (٤٠٧٦)، [«س.ص» (١٩٤٠)].

على هدمه أحد، والدليل ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧﴾ [الكهف: ٩٧] أن يظهروه: أي: أن يخرجوا من فوقه، نقباً: أي: أن يحفروه ليخرجوا منه.

ثانياً: من هذه الآيات يتبين لنا أن هذا السد لا يفتح إلا إذا جاء وعد الله، وإذا أذن الله، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٩].

ثالثاً: من هذه الآيات يتبين لنا أن يأجوج ومأجوج في كل يوم يحاولون أن يخرجوا من هذا السد على الناس ولكنهم يعجزون، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧﴾ [الكهف: ٩٧] أي: في كل يوم يحاولون أن يصعدوا فوقه فلا يستطيعون، ويحاولون أن ينقبوا هذا السد فلا يستطيعون.

حتىٰ إذا بلغوا المدة التي قدرها الله ﷻ لهم فتح السد وخرجوا، قال ﷺ: «**إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتىٰ إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فسنحفره غدا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حضروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فسنحفر غداً إن شاء الله تعالىٰ واستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس..**»[١].

رابعاً: من هذه الآيات يتبين لنا أنه إذا اقترب الوعد الحق، وأذن الله ﻷ لهذه الدنيا أن تنتهي وقربت القيامة مكَّن الله يأجوج ومأجوج أن يفتحوا هذا السد فإذا فتحوه خرجوا على الناس من كل حدب ينسلون كما قال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦].

---

(١) **صحيح**: ت: (٣١٥٣)، هـ: (٤٠٨٠)، حم: (٣/ ٥١٠)، ك: (٤/ ٥٣٤)، [«س. ص» (١٧٣٥)].

أمة الإسلام! ورسولنا ﷺ أخبرنا أنه قد فتح في زمانه من هذا السد قدر هذه وحلق بين الإبهام والتي تليها وهذا الفتح يبشر بالشر.

تقول أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: خرج رسول الله ﷺ يوماً فَزِعاً محمراً وجهه يقول: «**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلَّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول الله أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»[1].

أمة الإسلام! يأجوج ومأجوج أمتان كبيرتان في العدد والعدة بيننا وبينهم سدٌ بناه ذو القرنين، وهم يحاولون في كل يوم أن يخرجوا من وراء هذا السد، فإذا جاء أمر الله واقترب الوعد الحق، مكَّن الله يأجوج ومأجوج أن يحفروا هذا السد وأن يخرجوا على الناس.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

(فإذا خرجوا من وراء السد، فمروا على ماءٍ شربوه حتى إنهم يمرون على النهر فيشرب أولهم النهر وما فيه فيقول آخرهم: قد كان في هذا المكان ماء. وأخبر ﷺ أنهم يمرون على بحيرة طبرية فيشرب أولهم ما فيها من الماء وكلما جاء آخرهم قال: كان في هذه البحيرة يوماً ماء، وكلما مروا على ماءٍ شربوه، وإذا مروا على أخضر أكلوه، وإذا مروا على يابس نهبوه فلا يقف في وجههم أحد ـ يأكلون الأخضر واليابس ـ والناس يهربون منهم في المغارات وفي الحصون بعيداً عنهم، فيبحث هؤلاء القوم عن الناس فلا يجدون أحداً فيقولون: قد انتصرنا على أهل الأرض.

ثم يبدأون يرمون بسهامهم إلى السماء فترجع إليهم مخضبة بالدماء فتنة لهم من الله فيقولون: قد انتصرنا على أهل الأرض وعلى أهل السماء

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٧١٦)، م: (٢٨٨٠).

وينشرون الفساد في الأرض ويملأون الدنيا ظلماً وفساداً، ويكون عيسى ابن مريم قد تحصن مع أصحابه من المسلمين في جبل الطور قد أوحى الله إليه بذلك، ويأخذ عيسى ومن معه يتضرعون إلى الله بالدعاء أن يخلص البشرية من شر هؤلاء القوم، فيستجيب الله سبحانه وتعالى لهم، وفي يوم يأمر عيسى رجلاً من القوم أن يخرج لينظر إلى يأجوج ومأجوج ماذا فعل الله بهم فيخرج هذا الرجل وهو يعلم علم اليقين أنه لن يرجع، ولكنه يخرج فيجد المفاجأة وهي أن الله عز وجل القادر على كل شيء قد أرسل على يأجوج ومأجوج دوداً صغيراً فقتلهم جميعاً في لحظة واحدة فيحمد الله عيسى عليه السلام وأصحابه على أن خلصهم من شر يأجوج ومأجوج ولكن تكون هنالك ثمة مصيبة أخرى وهي، أن رائحة هؤلاء القوم قد ملأت الدنيا من نتنهم فأزعجوا الناس بعد موتهم أكثر مما أزعجوهم قبل موتهم، فيأخذ عيسى يدعو الله مرة ثانية أن يخلصهم من جيف هؤلاء، ويرسل الله عز وجل طيراً فيأخذ بهؤلاء القوم فيلقيهم في البحر ويرسل الله عز وجل مطراً فيغسل به الأرض.

ثم يعيش عيسى عليه السلام ومن معه من المسلمين بعد قتالهم الدجال، وبعد أن خلصهم الله من شر يأجوج ومأجوج، في أمن واطمئنان ويوحي الله عز وجل إلى الأرض أن تخرج ما فيها من البركات فيعيش عيسى ومن معه من المسلمين في أطيب عيش على وجه الأرض، ثم بعد ذلك كما قلنا يموت عيسى عليه السلام ويصلي عليه المسلمون)[١].

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٣٧) انظر الخبر بتمامه.

١٢٨

٥، ٦، ٧ ـ الدخان، هدم الكعبة، رفع القرآن

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، أي: علاماتها.

لا زلنا في صدد الحديث عن علامات الساعة الكبرى، وقد تكلمنا في الجمعة الماضية عن العلامة الرابعة ألا وهي خروج يأجوج ومأجوج.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع العلامة الخامسة والسادسة والسابعة وهي: الدخان، وهدم الكعبة المشرفة، ورفع القرآن من المصاحف والصدور.

عباد الله! العلامة الخامسة من علامات الساعة الكبرى ألا وهي «**الدخان**».

أمة الإسلام! إذا أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق، وقربت القيامة، أرسل الله دخاناً بين السماء والأرض يغشى الناس لا يصيب المؤمن منه إلا كهيئة الزكام، أما الكافر والمنافق والمجرم فيدخل هذا الدخان في جسده من منخريه وفمه ويخرج من دبره فينتفخ ويعمى، ويكون كالشاة تشوى على الفحم.

وهذا الدخان الذي يكون في آخر الزمان ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فالله ﷻ أخبرنا عن هذا الدخان في كتابه.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟

ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١٦].

أما في السنة:

يقول حذيفة رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون**»؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات**» **فذكر**: «**الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخِر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[1].

وقال ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة وخويِّصة أحدكم**»[2].

أي: بادروا بالأعمال الصالحة قبل هذه العلامات، فإنها إذا ظهرت عليكم بغتة فستندمون في وقت لا ينفع فيه الندم، فهذا الدخان ثابت بالكتاب والسنة، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على أن هذا الدخان الذي يكون بين السماء والأرض ويغشى الناس علامة من علامات الساعة، ولكنهم اختلفوا هل هو من العلامات التي مضت وانقضت كما أخبر بذلك ابن مسعود رضي الله عنه أم أنه لم يأتِ بعد، ولكن رجح العلماء أن الدخان من علامات الساعة الكبرى التي لم تأتِ بعد، وقالوا جمعاً بين الأدلة: يحتمل أنهما دخانان: دخان جاء من عند الله على قريش عندما دعا عليهم رسول الله ﷺ، والدخان الثاني هو الذي سيأتي في آخر الزمان ويكون علامة من علامات الساعة الكبرى.

عباد الله! أما العلامة السادسة من العلامات الكبرى للساعة فهي: «**هدم الكعبة المشرفة**».

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٠١).

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٤٧).

أمة الإسلام! الكعبة هي بيت الله، الكعبة هي قبلة المسلمين في كل مكان، الكعبة هي التي نحجُّ ونعتمر إليها طاعة لله ولرسوله ﷺ.

وسبق أن قلنا في الجمع الماضية: إن من علامات الساعة الكبرى أن ينزل عيسى ابن مريم من السماء إلى هذه الأرض فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويحكم الناس بشريعة محمد ﷺ، ويقتل الدجال، ويقضي على يأجوج ومأجوج، وينتشر الأمن والأمان في عهده، ويملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، ثم بعد ذلك يذهب عيسى ابن مريم عليه السلام إلى بيت الله فيحج ويعتمر، ثم يعود فيموت ويصلي عليه المسلمون، وبعد موته عليه السلام يعود الناس مرة ثانية إلى الضلال والكفر والعصيان والانحلال حتى لا يعرفوا صلاةً ولا زكاةً ولا صياماً ولا حجاً.

يقول ﷺ: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب** ـ أي: يذهب الإسلام من بين الناس كما يذهب لون الثوب ـ **حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن الله** عز وجل **يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته**»(٢) أي: فلا يبقى على وجه الأرض إلا شرار الخلق. وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلَّا على شرار الخلق**»(٣)، وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»(٤)، وعندها تنقطع عبادة الحج والعمرة فلا حج ولا عمرة، إذ الناس لا خير فيهم، والناس لا يقولون: الله الله فتنقطع عبادة الحج والعمرة فلا أحد يذهب لحج ولا لعمرة، قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت**»(٥)، أي: لا يذهب أحد للحج والعمرة في ذلك الزمان، وفي ذلك الوقت الذي لا يبقى فيه أحد يقول: الله الله يخرج رجل من الحبشة ومعه رجاله إلى الكعبة فيهدمها، ويخرِّبها، ويقلعها

---

(١) **صحيح**: هـ (٤٠٤٩)، ك: (٤/ ٥٨٧)، هب، (٢/ ٣٥٦)، [«ص.ج» (٨٠٧٧)].
(٢) **صحيح**: م: (١١٧).
(٣) **صحيح**: م: (١٩٢٤).
(٤) **صحيح**: م: (١٤٨).
(٥) **صحيح**: خ: (١٥١٦).

حجراً حجراً، ويأخذ حُليها، ويستولي على كنزها، قال ﷺ: «**يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»(١)، وقال ﷺ: «**ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله** ﷻ»(٢)، وقال ﷺ: «**كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً**»(٣)، أي: الكعبة.

عباد الله! تعالوا بنا لنتعرف على هوية هذا المجرم الذي يعتدي على بيت الله فيهدمه في آخر الزمان.

أولاً: هذا الرجل من الحبشة.

ثانياً: هذه هي صفاته: أسود، أزرق العينين، أصلع الرأس، بطنه كبيرة، أفحج: أي في رجليه وفي ساقيه اتساع من أعلى، وهو ذو سويقتين أي ساقاه دقيقتان رفيعتان جداً، وفي مفاصله عوج، وتأملوا منظره، وشكله فإن الأرض إذا خلت ممن يقولون: الله الله اعتدى على بيت الله أمثال هذا!

وهذه صفات كثيرة في أهل الحبشة: السواد، وزرقة العينين، والصلع، والكبر في البطون، وفي سوقهم اتساع من أعلى.

فيا أمة الإسلام! خراب في آخر الزمان، دمار في آخر الزمان، هدم لهذا الكون إذا خلا هذا الكون ممن يقولون: (لا إله إلا الله)، فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يخرجنا من هذه الدنيا قبل هذه الفتن، وأن يحفظنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

عباد الله! أما العلامة السابعة فهي: «**رفع القرآن من الصدور ومن المصاحف**».

القرآن يا أمة القرآن يُسرى عليه في ليلة واحدة فيصبح الناس فلا يجدون حرفاً واحداً ولا آية، فيرفعه الله ﷻ يا أمة التوحيد! يا أمة

---

(١) **صحيح**: خ: (١٥١٤)، م: (٢٩٠٩). (٢) **صحيح**: م: (٢٩٠٩).
(٣) **صحيح**: خ: (١٥١٨).

القرآن، يا طلاب العلم، ويا دعاة الإسلام، القرآن الذي هو كلام الله ـ ليس بمخلوق ـ نزل به الروح الأمين على قلب رسولنا ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

• القرآن يا أمة القرآن نزل دستوراً للحياة ومنهجاً للحياة، نزل للأحياء وليس للأموات.

• القرآن نزل لينذر الأحياء لا ليُقرأ على الأموات في المقابر.

كما قال ربنا جل وعلا: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٧٠].

• القرآن يا أمة القرآن نزل فيه شفاء، وفيه رحمة للمؤمنين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

• القرآن يا أمة القرآن: يهدي أصحابه للتي هي أقوم، يهدي أصحابه إلى أقوم الطرق كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

• القرآن يا أمة القرآن: تجارة رابحة، والذي يتاجر بالقرآن مع الله يربح في الدنيا والآخرة، فإذا حَفِظَ القرآن فإنه رابحٌ، وإذا حَفَّظَ غيره القرآن فهو رابحٌ، وإذا تلا القرآن فهو رابحٌ، وإذا فسر القرآن فهو رابحٌ، وإذا فهم وتدبر القرآن فهو رابح على كل حال، قال ربنا جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

• القرآن يا طلاب العلم، تعهد الله ﷻ لمن تمسك به ألَّا يضل ولا يشقى، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

• يا أمة القرآن، القرآن يشفع لكم يوم القيامة، كما قال ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»[(١)].

• يا أمة الإسلام، هذا القرآن الذي في المصاحف وبين أيدينا حجة لنا أو علينا يوم القيامة كما قال ﷺ: «**والقرآن حجة لك أو عليك**»[(٢)].

أمة الإسلام! إذا نبذ الناس كتاب ربهم وراء ظهورهم، إذا لم يقيموا كتاب الله بينهم، إذا أعرض الناس عن كتاب ربهم، وأقبلوا على المفسديون والدنيا، وجعلوا القرآن خلف ظهورهم، فهم لم ينتفعوا بالقرآن، ولم يعملوا بما فيه، إذا فعلوا ذلك يُسرى على القرآن في ليلة واحدة فيصبح الناس فلا يجدون حرفاً ولا آية في المصاحف، ويرفع أيضاً من صدور الحفاظ، اللهم سلم سلم.

يقول ﷺ: «**يَدْرُسُ الإسلام كما يَدْرُسُ وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة، ولا نسك ولا صدقة، وَلْيُسْرَىٰ على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير، والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها**»[(٣)].

فيا طلاب العلم، يا أمة الإسلام، البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كالبيت الخرب، والصدر الذي ليس فيه شيء من القرآن صاحبه ميت، فكم منا نبذ القرآن وراء ظهره، وكم منا أعرض عنه، وأقبل على وسائل الفساد.

فيا أمة الإسلام، عودوا إلى كتاب ربكم، تصوروا يا طلاب العلم أنكم أصبحتم في الغد فوجدتم المصاحف وقد خلت من كلام الله

---

(١) **صحيح**: م: (٨٠٤).
(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).
(٣) **صحيح**: هـ: (٤٠٤٩)، ك: (٤/ ٥٢٠)، [«ص.ج» (٨٠٧٧)].

ستندمون، وتضربون على رؤوسكم، وتعضون أصابع الندم، ولكن لن ينفع الندم! فأقبل على كتاب الله، واحفظ آية ترفعك درجة عند الله، احفظ سورة تنجيك يوم القيامة من عذاب الله، أقبل على هذه التجارة الرابحة فها أنت قادم على شهر مبارك وهو شهر رمضان، شهر القرآن، فَهَيِّئْ نفسك من الآن، وتجهز من الآن أن تكون من حفَّاظ كتاب الله، وأن تكون ممن يحفظون كلام الله، ويُحفِّظونه للناس. كما قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١).

اللهم اجعلنا من أهل القرآن

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩).

١٢٩

٨، ٩، ١٠ ـ طلوع الشمس مِنْ مغربها، خروج الدابة، نار تخرج مِنَ اليمن

في الجمعة الماضية تكلمنا عن العلامة الخامسة والسادسة والسابعة من العلامات الكبرى للساعة.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع العلامة الثامنة والتاسعة والعاشرة.

عباد الله! العلامة الثامنة ألا وهي «**طلوع الشمس من مغربها**»

أمة الإسلام! الإنسان إذا نظر حوله في هذا الكون العظيم وجد فيه الآيات التي تدل على قدرة الله وعظمته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الجاثية: ٣ ـ ٥].

ومن آياته سبحانه وتعالى الليل والنهار، والشمس والقمر التي تدل على قدرته سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

ولله عز وجل في هذا الكون سنن لا تتبدل ولا تتغير. ومن هذه السنن الشمس التي تطلع علينا في كل يوم بإذن ربها من المشرق، وتغرب في كل يوم بإذن ربها في المغرب لا تتغير ولا يقدر أحد على تبديل هذه السنن.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠]، ولذلك تحدى إبراهيم عليه السلام النمرود عليه لعنة الله، فقال إبراهيم للنمرود: إن الله عز وجل يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

عباد الله! آيات وسنن لا تتبدل ولا تتغير، من هذه السنن الشمس التي نراها تطلع علينا كل يوم من المشرق، وتغرب كل يوم في المغرب بإذن ربها، ولكن يا عباد الله في آخر الزمان إذا اقتربت الساعة، وأزفت الآزفة فإن الشمس التي تغرب على الناس في المغرب، إذا اقترب ذلك اليوم فإنها تستأذن ربها لتشرق على الناس من المشرق فلا يأذن الله لها بذلك بل يأمرها أن تطلع على الناس من جهة المغرب، والشمس تقول: سمعنا وأطعنا، فإذا بها تطلع في اليوم الثاني على الناس من جهة المغرب، فإذا رآها الناس آمنوا جميعاً، ولكن في وقت لا ينفع فيه الإيمان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ففي هذه الآية توعد الله عز وجل العصاة والمجرمين والكفرة وقال لهم: ماذا تنتظرون؟ أي: ما الذي يمنعكم أيها الكفرة من الإيمان؟ وما الذي يمنعكم أيها العصاة من التوبة؟ ماذا تنتظرون؟ ماذا ينتظر العاصي؟ ماذا ينتظر المجرم؟ هل ينتظرون كما قال ربنا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم؟! أتنتظر أن ينزل بك ملك الموت يقبض روحك لتقول عندها:

آمنت، فيقال لك: كلا؟! تذكر أن التوبة عند الموت لا تقبل، والموت يأتي بغتة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

• فيا أيها العاصِي، ليس لك توبة إذا نمت في فراش الموت، قال ﷺ: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١)، أي: ما لم تصل الروح الحلقوم، فإنك إذا نمت في فراش الموت، وأيقنت أنك خارج من هذه الدنيا وقلت: تبت إليك يا رب فسترد عليك توبتك يا عبد الله فماذا تنتظر؟ تنتظر يوم القيامة يومَ يأتي ربك لحساب الناس! وعندها يندم المفرط، ولكن لا ينفع الندم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٤]، ماذا تنتظر؟ تنتظر أن يأتي بعض آيات ربك وهي طلوع الشمس من مغربها، وعندها لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

عباد الله! إذا طلعت الشمس من مغربها فاعلموا:

أولاً: أن أبواب التوبة قد أُغلت كما سمعتم، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ ـ وهي طلوع الشمس من مغربها ـ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال ﷺ: «**إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٢).

---

(١) **حسن**: ت: (٣٥٣٧)، هـ: (٤٢٥٣)، حم: (٢/ ١٣٢)، حب: (٦٢٨)، ع: (١٠/ ٨١)، هب: (٥/ ٣٩٥) [«ص.ج» (١٩٠٣)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٥٩).

ثانياً: إذا طلعت الشمس من مغربها فاعلم أنه قد أزفت الآزفة، واعلم أنه قد اقترب الوعد الحق، واعلم أن القيامة قد اقتربت ، كما قال ربنا : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، ورسولنا الكريم ﷺ يبيِّن لنا أن بعض هذه الآيات هي طلوع الشمس من مغربها، قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾» ثم قرأ الآية[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

ثالثاً: إذا طلعت الشمس من مغربها فإن من كان مؤمناً قبل طلوع الشمس يبقى على إيمانه، ومن كان كافراً قبل طلوع الشمس يبقى على كفره، فلا توبة ولا إيمان بعد طلوع الشمس من مغربها.

عباد الله! العلامة التاسعة من علامات الساعة الكبرى ألا وهي «**الدابة التي تخرج على الناس من الأرض**»

في آخر الزمان وبعد طلوع الشمس من مغربها، وبعد أن عُلِمَ المؤمن من الكافر، فالمؤمن قبل طلوع الشمس يبقى على إيمانه، والكافر قبل طلوع الشمس يبقى على كفره، فلا توبة ولا إيمان بعد طلوع الشمس من مغربها، وإذا بالدابة تخرج على الناس ضحىً بإذن ربها لتميز المؤمن من الكافر، فتمشي هذه الدابة بين الناس تُعَلِّمُ المؤمن في وجهه بعلامة من نور يعرف بها إيمانه، وتضرب الكافر على وجهه بعلامة سوداء يعرف بها كفره، فيعرف المؤمن من الكافر من ظاهره حتى أن الناس في البيت الواحد يجتمعون على طعام واحد فيقول أحدهم: خذ يا مؤمن، ويقول الآخر: خذ يا كافر، ويتبايع الناس في الأسواق فيقول أحدهم: بع يا مؤمن، ويقول الآخر: اشتر يا كافر.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٣٦٠)، م: (١٥٧).

وخروج هذه الدابة ثابت بالكتاب والسنة.

يقول الله ﷻ: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]، ويقول ﷺ: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**»[١].

ويقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستاً**» ـ وذكر منها: ـ «**الدابة**»[٢]، ويقول ﷺ: «**إنها** ـ أي: الساعة ـ **لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» ـ وذكر منها: ـ «**الدابة**»[٣]، وقال ﷺ: «**تخرج الدابة فتَسِمُ الناس على خراطيمهم**»[٤]، أي: فتطبع الناس، وتُعلِّمُ الناسَ على خراطيمهم، فيعرف هذا بالإيمان ويعرف هذا بالكفر.

فيا أمة الإسلام! قد أزفت الآزفة، فهل من توبة إلى الله؟

عباد الله! أما العلامة العاشرة والأخيرة من العلامات الكبرى للساعة فهي: «**نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»

عباد الله! قبل قيام الساعة تخرج نار من قعر عدن من حضرموت من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم إلى أرض الشام، ويكون الناس في هذه الحالة وهم يطردون إلى أرض المحشر، على ثلاث أقسام:

القسم الأول: يحشرون طاعمين كاسين راكبين.

القسم الثاني: قسم يمشون تارة ويركبون أخرى، يتعاقبون على البعير الواحد، الاثنان على بعير، والثلاثة على بعير، والعشرة على بعير.

القسم الثالث: هم بقية الناس حيث تحيط بهم النار من كل جانب وتطردهم إلى أرض المحشر، تَقِيْلُ معهم هذه النار إذا قالوا، وتبيت معهم إذا باتوا، وتصبح معهم إذا أصبحوا، وتمسي معهم إذا أمسوا، ومن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٤١). (٢) **صحيح**: م: (٢٩٤٧).
(٣) **صحيح**: م: (٢٩٠١).
(٤) **صحيح**: حم: (٥/٢٦٨) [«ص.ج» (٢٩٢٧)].

تخلف منهم أكلته النار، قال ﷺ: «**يُحْشرُ الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعةٌ على بعير، وعشرةٌ على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[١].

وهذه النار أخبرنا عنها ﷺ فقال حذيفة رضي الله عنه: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون**»؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» ـ فذكرها، ثم قال ـ: «**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[٢].

وقال ﷺ: «**ستخرج نار من حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس**» قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالشام**»[٣]. وأرض الشام هي الأرض التي يكون فيها المحشر، ويكون فيها الحساب والجزاء.

إخوة الإسلام! بهذا نكون قد انتهينا مِن الحديث عن علامات الساعة الكبرى التي تكون قبل قيام الساعة.

والمطلوب منك أيها المسلم أن تبادر بالتوبة والرجوع إلى الله، فأنت إذا ظهرت الشمس غداً من المغرب فتبت ردت عليك التوبة! وكذلك إذا نمت في فراش الموت وأردت أن تتوب ردت عليك التوبة، فما الذي يمنعك يا عبد الله من أن ترجع إلى الله؟ ماذا تنتظر؟ هل تنتظر إلا فقراً منسياً أو غنىً مطغياً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر، فتوبوا إلى الله وارجعوا إلى الله قبل أن تندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٥٧)، م: (٢٨٦١). (٢) **صحيح**: م: (٢٩٠١).
(٣) **صحيح**: ت: (٢٢١٧)، حم: (٢/ ٥٣)، حب: (٧٣٠٥)، ع: (٩/ ٤٠٥)، ش: (٧/ ٤٧١)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٩٦)].

وبعد اكتمال هذه العلامات إذا أراد الله ﷻ فناء هذا العالم، وفناء هذه الدنيا قامت القيامة، وقامت الساعة ليعود الناس إلى ربهم للحساب وللجزاء ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، فماذا يكون في هذا اليوم من شدة ومن حساب، ومن تطاير للصحف، ومن خزي ومن عار، ومن فرحة للمؤمنين، هذا ما سنبدأُ الحديث عنه ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية في الجمعة القادمة.

اللهم ارزقنا توبة نصوحاً قبل الموت



١٣٠

ماذا يجبُ على العصاة بعد أن تبيَّن لهم أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعدُ الحق؟

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٨].

عباد الله! تكلمنا في الجمع الماضية عن علامات الساعة الصغرى وعن علامات الساعة الكبرى، وتبين لنا بعد أن انتهينا من الحديث عن علامات الساعة أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق، واقتربت الساعة.

وتبين لنا بعد الحديث عن علامات الساعة الصغرى والكبرى أن كثيراً من الناس عن الآخرة غافلون.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ١، ٢].

عباد الله! وقبل أن نبدأ في الحديث عن اليوم الآخر، وما فيه من الأهوال العظام، وما فيه من تطاير للصحف، وما فيه من الميزان والحساب، لا بد أن نجيب عن سؤال مهم ألا وهو:

ماذا يجب على العصاة بعد أن تبين لهم أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق؟

الواجب على العصاة أن يبادروا بالتوبة النصوح إلى الله، وأن يرجعوا إلى الله ﷻ قبل فوات الأوان، ولذلك قررنا في هذا اليوم ـ إن

شاء الله تعالى ـ أن نوجه هذا النداء إلى كل العصاة في كل مكان، لعلهم يتوبون إلى الله قبل أن يندموا في وقت لا ينفع فيه الندم، فنقول:

• أيها العصاة، أقلعوا عن المعاصي والذنوب بالتوبة النصوح قبل أن تندموا، فالله ﷻ يغفر الذنوب جميعاً.

يقول الله ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٨]. فيقال لكم: كلا.

• أيها العاصي، أقلع عن الذنوب وكفاك معصيةً قبل أن تندم وتقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله! والله يا آكل الربا ستقول يوم القيامة يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله! أيها الزاني ستقول يوم القيامة: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله! يا أيها العاق لوالديك ستقول يوم القيامة يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله! يا من أكلت لحوم الأبرياء بلسانك أقصر وإلا ستقول يوم القيامة: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾، أو تقول: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فيقال لك: كلا، قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت، وكنت من الكافرين، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٥٦، ٦٠].

• يا أيها العصاة، أقلعوا عن المعاصي والذنوب قبل أن تغلق أبواب التوبة، وأبواب التوبة يا عباد الله تغلق في وجه التائبين إذا طلعت

الشمس من مغربها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقال ﷺ: «**إن الله** ﷻ **يبسط يده بالليل ليتوب مُسِيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسِيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١)، **وقال** ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك وحين لَا ينفع نفساً إِيمانها**» ثم قرأ الآية(٢).

● أيها العصاة! توبوا إلى الله قبل أن تغلق أبواب التوبة، وأبواب التوبة تغلق إذا نام العاصي في فراش الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

وقال ﷺ: «**إن الله** ﷻ **يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(٣)، أي: ما لم تصل الروح الحلقوم.

● أيها العصاة! أقلعوا عن المعاصي والذنوب طاعة لله ولرسوله، فالله ﷻ أمر بالتوبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١]، وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم مائة مرة**»(٤).

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٥٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٣٦٠)، م: (١٥٧). (٣) **حسن**: تقدم تخريجه ص١٠٢.

(٤) **صحيح**: م: (٢٧٠٢).

● يا أيها العصاة! أقلعوا عن المعاصي والذنوب ليغفر الله لكم، وليبدل سيئاتكم حسنات، فإن الله ﷻ ربط المغفرة بالتوبة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢] ، فتب أيها العاصي ليغفر لك.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

● يا أيها العصاة! توبوا إلى الله لتنتفعوا من دعاء الملائكة، فالملائكة يدعون للتائبين ودعاء الملائكة مستجاب عند الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

● أيها العصاة! أقلعوا عن المعاصي والذنوب بالتوبة النصوح فقد آن الأوان، والله لقد آن الأوان للعصاة أن يتوبوا إلى الله وماذا تراهم ينتظرون؟ أما حُرمتم المطر من السماء؟! أتنتظرون أن تنزل عليكم حجارة من السماء!؟ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، أظن يا أمة الإسلام أنه قد آن الأوان لنقلع عن المعاصي، لعل كلٌ منا يظن أن هذا الكلام موجه لغيره أما هو فبريء، وكلنا ـ إلَّا مَنْ رحم ربي ـ يبارز الله بالمعاصي وأظن أنه قد آن الأوان للتوبه وإلا ماذا تنتظر؟ لقد حرمنا المطر، ونحن في ضيق المعيشة، وذل ما بعده ذل، الكافر يتكلم وأنت أيها المسلم لا تتكلم، الكافر يأمر وينهى، وأنت لا تتكلم، حتى غدونا غثاء كغثاء السيل ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

يا أيها العصاة! قد آن الأوان للتوبة. يا آكل الربا! قد آن الأوان أن تتوب إلى الله وأن تترك الربا، يا آخذ الرشوة! قد آن الأوان أن تتوب إلى الله وأن تترك الرشوة، يا تارك الصلاة! يا من لا يعرف المسجد إلا في يوم الجمعة قد آن الأوان أن تعود إلى الله وأن تأتي إلى كل الصلوات، يا أيها العاق لوالديك قد آن الأوان أن تتوب، ماذا تنتظر؟ تنتظر أن تنزل عليك الملائكة لقبض روحك! تنتظر أن تطلع الشمس من مغربها؟ تنتظر يوم القيامة للوقوف بين يدي الله لتقول يومها: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤] ماذا تنتظر؟ أما آن الأوان؟!.

إن السعيد يا إخوتي هو الذي ينتبه فيتوب قبل الموت، أما الخاسر فهو الذي يُسَوِّفُ في التوبة حتى إذا نزل به ملك الموت قال: إني تبت الآن، فيا أيها العصاة أقلعوا عن المعاصي والذنوب، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

• يا أيها العصاة أقلعوا عن المعاصي والذنوب ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، ولا يغرنكم المال، ولا تغرنكم المناصب، ولا تغرنكم التجارات، ولا تغرنكم الصحة، ولا تغرنكم العشائر والقبائل.

• يا أيها العصاة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

• يا أيها العصاة اتقوا ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝١٠٦﴾ [آل عمران: ١٠٦].

• يا أيها العصاة اتقوا يوماً يشيب فيه الولدان.

• يا أيها العصاة اتقوا يوماً تقفون فيه أمام الله، وأقلعوا عن المعاصي لعل الله أن يرحمنا.

أمة الإسلام! قد آن الأوان للعصاة أن يتوبوا إلى الله، وأن يعودوا إلى الله، فهذا حال المسلمين لا يخفى على أحد، وكل ما نحن فيه إنما هو بسبب ما اقترفناه من المعاصي، وها نحن في هذا الوقت حُرِمنا المطر، وحرمنا الرحمة، حتى ماتت الطيور في أوكارها بسبب معاصينا، وتموت الأطفال والعجائز بسبب معاصينا، فالظلم والمعاصي ظلمات في الدنيا والآخرة.

فيا إخوة الإسلام! كلٌ منا أعلم بمعاصيه، وكلٌ منا يعرف ما اقترف في جنب الله، فلنبادر بالتوبة إلى الله.

ونقول: إن التوبة المقبولة عند الله ﷻ يوم القيامة هي التوبة النصوح، والتوبة النصوح يا أمة الإسلام هي التي تتوفر فيها هذه الشروط. سنذكرها الآن فلعل كثيراً من الناس تراه يأكل الربا ويقول: أستغفر الله، أو تراه يقترف الزنا ويقول: أستغفر الله، أو قد تراه يأكل لحوم الأبرياء ويقول: أستغفر الله، وهو مقيم على المعصية وتلك هي توبة الكذابين.

التوبة المقبولة هي التي تتوفر فيها الشروط التالية:

الشرط الأول: أن تقلع عن الذنب، أي: على آكل الربا أن يقلع عن الربا، وعلى الزاني أن يقلع عن الزنى وعلى العاق لوالديه أن يقلع عن العقوق، أما أن تستغفر وأنت قائم على الذنب فأنت كالمستهزىء بربه.

الشرط الثاني: أن تندم على فعل المعصية. حاسب نفسك وقل لها: يا نفسي كيف تجرَّأتي على معصية الجبار وأنت تتقلبين في نعم الله بالليل والنهار وتعيشين على أرضه وتحت سمائه؟!.

الشرط الثالث: أن تعزم عزماً أكيداً على أن لا تعود إلى المعاصي مرة ثانية.

الشرط الرابع: أن تتوب قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل أن تصل روحك الحلقوم، هذا إذا كانت معصيتك بينك وبين الله. أما إذا كانت المعصية بينك وبين آدمي كأن تكون ظلمته، أو ضربته، أو اعتديت

على عرضه وماله وأولاده، فعليك بهذه الشروط وأن تزيد شرطاً خامساً عليها.

والشرط الخامس: هو أن تستحل منه قبل يوم القيامة، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، بأن تذهب إليه وتطلب منه السماح على ما اقترفت من ذنبٍ في حقه فإن استطعت إلى ذلك سبيلاً فافعل، وإن عجزت عن ذلك لضرر محقَّقٍ يصيبك إن فعلت ذلك فعليك أن تدعو له بظهر الغيب حتى إذا وقفت بين يدي الله يوم القيامة، فإن الله ﷻ يُرَضِّي عنك هذا الذي وقعت في ظلمه.

يا أخا الإسلام! التوبةَ قبل فوات الأوان، التوبةَ قبل أن تقف بين يدي الله للحساب وللجزاء، وإِلَّا ستندم وتقول: يا ليتني قدمت لحياتي، وتقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله. إنك أيها العاصي في هذه الدنيا اليوم وتستطيع أن تتوب إلى الله أما إذا نزل بك ملك الموت أو طلعت الشمس من مغربها فستغلق في وجهك أبواب التوبة وعندها ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً





مشاهد يوم القيامة

المشهد الأول: النفخة الأولى في الصور

عباد الله! **أولاً**: أحمد الله ﷻ أن جمعني بكم مرة ثانية في هذا المسجد على العقيدة والتوحيد بعد رجوعي مِنْ أداءِ العمرة.

وأسأله ﷻ في علاه أن يجمع بيننا في الآخرة في جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ثانياً: نعود بكم مرة ثانية للحديث عن العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

عباد الله! قلنا في الجمع الماضية: إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الصحيحة، والإيمان بهذا اليوم ركن من أركان الإيمان. من كفر بهذا اليوم فهو كافر بالله وقد ضل ضلالاً بعيداً. وقلنا أيضاً في الجمع الماضية: إن موعد الساعة غيب لا يعلمه إلا الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقلنا أيضاً يا عباد الله: إن الله ﷻ من رحمته بعباده جعل للساعة علامات تدل على اقترابها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨]، أي: علاماتها، وقد تكلمنا عن علامات الساعة الصغرى، وعلامات الساعة الكبرى، وتبين لنا عباد الله أنه قد أزفت الآزفة، واقترب الوعد الحق. وقلنا يجب على العاصي أن يبادر بالتوبة، والرجوع إلى الله قبل فوات الأوان، وقبل أن يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع بداية**

الحديث عن مشاهد اليوم الآخر، وما يكون فيه من أهوال عظام، وحساب وجزاء، ونتحدث في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ عن المشهد الأول من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «النفخة الأولى في الصور».

عباد الله! اعلموا أن الساعة ستكون في يوم الجمعة، أخبر بذلك المصطفى ﷺ فقال: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة**»(١).

● واعلموا عباد الله أن الصور الذي ينفخ فيه هو قرن كبير.

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: ما الصور؟ قال: «**الصور قرن ينفخ فيه**»(٢).

وهذا الصور جاء ذكره كثيراً في كتاب ربنا، وفي سنة نبينا ﷺ فعلى سبيل المثال: يقول الله ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال ﷺ في الحديث الطويل: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً**»(٣)، أي: أمالَ صفحة عنقه ليسمع هذا الصوت.

والذي ينفخ في هذا الصور هو إسرافيل عليه السلام بإذن من ربه سبحانه وتعالى، وإسرافيل عليه السلام قد أخذ وضع الاستعداد لتلقي الأمر من الله ﷻ بالنفخ في هذا الصور، والذي أخبرنا بذلك هو رسول الله ﷺ فقال: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يُؤْمر**»(٤) أي: فينفخ؟!.

---

(١) **صحيح**: م: (٨٥٤).

(٢) **صحيح**: د: (٤٧٤٢)، ت: (٢٤٣٠)، حم: (٢/ ١٦٢)، مي: (٢٧٩٨)، حب: (٧٣١٢)، ك: (٢/ ٥٥٠)، [«ص.غ.هـ» (٣٥٦٨)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٩٤٠).

(٤) **صحيح**: ت: (٣٢٤٣)، حم: (٣/ ٧٣)، حب: (٨٢٣)، ك: (٤/ ٦٠٣)، طس: (٢/ ٢٨٦)، ش: (٦/ ٧٦)، [«س.ص» (١٠٧٩)].

فيا معشر العصاة! هذا رسولنا الكريم ﷺ يقول: كيف أنعم بهذه الدنيا وصاحب الصور ـ وهو إسرافيل ـ قد التقم الصور، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يُؤْمر أن ينفخ فينفخ، فما بالكم أنتم؟!

عباد الله! ويُنْفَخ في الصور مرتين:

النفخة الأولى هي: نفخة الفزع والصعق والموت.

والنفخة الثانية هي: نفخة البعث والنشور وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

● وقد سمى الله ﷻ النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦، ٧].

وأخبرنا ﷺ أن «**ما بين النفختين أربعون**»(١) أربعون يوماً؟ لا ندري، أربعون شهراً؟ لا ندري، أربعون سنة؟ لا ندري.

عباد الله! إذا أراد الله ﷻ فناء هذا الكون، وذهاب هذه الدنيا أرسل ريحاً طيبة لقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى على الأرض إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة.

يقول ﷺ: «**إن الله ﷻ يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبةٍ من إيمان إلا قبضته**»(٢)، فلا يبقى على وجه الأرض إلا شرار الخلق ويقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**»(٣)، وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»(٤)، وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا**

(١) **صحيح**: خ: (٤٥٣٦)، م: (٢٩٥٥).
(٢) **صحيح**: م: (١١٧).
(٣) **صحيح**: م: (١٩٢٤).
(٤) **صحيح**: م: (١٤٨).

لكع ابن لكع»[(١)] أي: الأحمق اللئيم الوسخ.

عباد الله! على هؤلاء تقوم الساعة، فاحمدوا الله أن جعلكم من المسلمين والمؤمنين.

إخوة الإسلام! على شرار الخلق تقوم الساعة وأهوال القيامة، فبينما الناس في أسواقهم وأعمالهم إذ تأتيهم الساعة بغتة، كما قال رب العزة: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فبينما الناس في أسواقهم وأعمالهم: هذان رجلان يتبايعان، وهذا رجل يرفع لقمته إلى فيه، وهذا الآخر قد حلب ناقته ورجع بلبنها، فإذا نفخ في الصور فلا يتبايع المتبايعان، ولا يأكل الآكل، ولا يشرب الحالب.

إخوة الإسلام! فإذا جاءت تلك اللحظة التي لا يعلمها إلا الله أمر الله ﷻ إسرافيل أن ينفخ في الصور، فإذا نفخ إسرافيل في الصور نفخة واحدة أتدرون يا عباد الله ماذا يحدث عندها في هذا الكون؟.

اسمعوا ما يقول رب العزة سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ١٣ ـ ١٦].

ابن آدم! تصور هذا المسجد وقد حُمِلَ ودُكَّ في الأرض، ما هو الصوت الذي ستسمعه؟ أظن أنه صوت شديد، فتصور يا عبد الله أن هذه الأرض وما فيها من الجبال الراسيات حملت فدكت دكة واحدة فكيف سيكون هذا الصوت؟ أي فزع سيكون؟.

ويقول رب العزة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة: ١ ـ ٦].

نفخة واحدة تدمر هذا الكون، انظروا إلى هذا الكون، انظروا إلى

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٢٠٩)، حم: (٥/ ٣٨٩)، طس: (١/ ١٩٧)، [«ص.ج» (٧٤٣١)].

السماء، انظروا إلى الشمس، انظروا إلى النجوم، انظروا إلى البحار، إنه خلق متين خلقه الله، نعم خلق الله هذا الكون لهذا الإنسان، وخلق هذا الإنسان لعبادة الله ﷻ، فإذا أبى هذا الإنسان إلا الكفر هدم الله هذا الكون.

ابن آدم! انظر إلى هذه السماء وتخيل إذا نفخ في الصور ماذا سيحدث بها؟!

يقول رب العزة: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ [الانفطار: ١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾ [الانشقاق: ١]. تصور يا ابن آدم أن سقف هذا المسجد تَصَدَّعَ علينا الآن وخرَّ على رؤوسنا، أي هول وأي فزع ينزل بنا؟ إنه لهولٌ عظيم، وفزع شديدٌ، ولكن تصور أن الذي يتفطر هو السماء هذا الخلق العظيم ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١﴾ [التكوير: ١١].

- انظر إلى هذه الشمس وتخيل ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١﴾ [التكوير: ١] وأُلْقيت في البحر فيتأجج ناراً.
- انظر إلى النجوم: وتخيل أنها انكدرت وتبدلت بعد ضيائها، وانتثرت وتساقطت في كل مكان.
- انظر إلى الجبال: وتخيل كيف ينسفها ربي نسفاً.
- انظر إلى الجبال: فأنت تحسبها جامدة، ولكنها تمر مر السحاب.

إنه يوم عظيم، إنه يوم خطير، إنه يوم شديد.

ابن آدم! أيها المغرور بالدنيا! أيها المغرور بالمعاصي!

مثِّلْ لنفسِك أيُّها المغرورُ ... يومَ القيامةِ والسماءُ تمورُ
إذا كورتْ شمسُ النهارِ وأدنيتْ ... حتى على رأسِ العبادِ تسيرُ
وإذا النجومُ تساقطتْ وتناثرتْ ... وتبدلتْ بعدَ الضياءِ كدورُ
وإذا البحارُ تفجرتْ منْ خوفِهَا ... ورأيتَها مثلَ الجحيم تفورُ
وإذا الجبالُ تقلعتْ بأصولِهَا ... فرأيتَها مثلَ السحابِ تَسيرُ
وإذا العشارُ تعطلتْ وتخربتْ ... خَلَت الديارُ فما بها معمورُ
وإذا الوحوشُ لدى القيامة أُحشرتْ ... وتقولُ للأملاكِ أينَ نسيرُ؟!

ابن آدم! إذا نفخ في الصور نفخة واحدة صُعِقَ من في السماوات ومن في الأرض إلَّا مَنْ شاء الله.

ولذلك يقول رب العزة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

إذا نفخ في الصور نفخة واحدة دُمر كل شيء، وقُضي على كل شيء، ومات الناس جميعاً، لذلك يجب على العاقل أن يتجهز لأهوال هذا اليوم بالتقوى والعمل الصالح استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨].

على كل عاقل أن يحاسب نفسه، ماذا قدم لهذا اليوم؟ وبماذا تجهز لهذا اليوم؟ فهو قريب وكل ما هو آت قريب.

فأسأل نفسك يا ابن آدم: ماذا قدمت لهذا اليوم؟ وماذا عملت لهذا اليوم؟ فالله ﷻ قال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وهذا اليوم قريب قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧].

إخوة الإسلام! لكن الناظر إلى كثير من المسلمين اليوم يجد أنهم عن هذا اليوم غافلون، وأنهم لا يفكرون في هذا اليوم ولا يستعدون له بل إنهم في غيهم يعمهون! بل إنهم يلعبون! بل إنهم يجمعون المال ولا يريدون إلا المال! فأولئك سيخرجون من هذه الدنيا على أسوأ حال.

وقد صدق فيهم قول القائل:

أمَا واللهِ لو عَلِمَ الأنامُ ... لم خلقوا لَمَا هجعوا وناموا
لقد خُلقوا لأمرٍ لو رأتْهُ ... عيونُ قلوبِهِمْ تاهُوا وهامُوا
مماتٌ ثمَّ قبرٌ ثم حشرٌ ... وتوبيخٌ وأَهوالٌ عظامُ
ليومِ الحشرِ قد عملتْ رجالٌ ... فصلوا منْ مخافتِهِ وصاموا
ونحنُ إذا أمرنا أو نهينا ... كأهلِ الكهفِ أيقاظٌ نيامُ

يا أيها العاقل! انتبه، يا أيها الإنسان! استيقظ؛ فقد آن الأوان، لا تؤجل التوبة إلى الغد؛ فالموت يأتي بغتة، والساعة تأتي بغتةً فقد جاء أشراطها.

عباد الله! أتدرون ماذا يحدث بعد النفخة الأولى بعد أن مات الناس جميعاً؟

يترك الله ﷻ الناس موتى أربعين، روى أبو هريرة رضي الله عنه الحديث فقال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، «**ثم يُنزِل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل**»[(١)]، أي: أنه لا يدري، إذاً فالله ﷻ يترك الناس موتى أربعين، ثم يحيي الله ﷻ إسرافيل مرة ثانية، ويأمره أن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فإذا نفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية خرج الناس من قبورهم لرب العالمين.

كيف يخرج الناس من قبورهم لرب العالمين؟ وكيف يُحْشَرُ الناس من قبورهم لرب العالمين؟ وما هي الأهوال والشدائد في هذا اليوم العظيم؟

هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: خ: (٤٥٣٦)، م: (٢٩٥٥).



مشاهد يوم القيامة

المشهد الثاني: النفخة الثانية في الصور

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الأول من مشاهد يوم القيامة «**ألا وهو النفخة الأولى في الصور**»، وهي نفخة الصعق والإماتة.

وقلنا: إنه على إثر هذه النفخة ينهدم هذا الكون، وتموت الخلائق جميعاً، وينفرد الله ﷻ بملكه كما كان قبل أن يخلق الخلق. ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

فينادي ربنا جل وعلا بعد هلاك الخلائق ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، من يجيب وقد هلك الجميع؟ من يرد وقد مات الجميع؟ ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يجيب أحد، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ لا يجيب أحد، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ لا يجيب أحد، فينادي ربنا جل وعلا ويجيب نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، الواحد في ربوبيته، الواحد في ألوهيته، الواحد في أسمائه وصفاته، القهار: الذي قهر الخلائق بالموت، وقال ﷺ: «**يطوي الله ﻷ السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك: أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون؟**»[(١)]، لا مَلِكَ إلا الله، ولا مالك إلا الله، وكل ما سوى الله عبد مربوب لله. ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٨٨).

وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

عباد الله! **حديثنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ عن المشهد الثاني من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «النفخة الثانية في الصور».**

وهي نفخة البعث والنشور والقيام من القبور لرب العالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: ٦٨]، وهذه هي النفخة الثانية.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦﴾ ـ فهذه النفخة الأولى ـ ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ ـ وهذه النفخة الثانية ـ [النازعات: ٦، ٧].

قلنا: إن ما بين النفخة الأولى والنفخة الثانية أربعون كما أخبر بذلك ﷺ فقال: «**ما بين النفختين أربعون**»[1].

فإذا مضت الأربعون أنزل الله ﷻ ماءً على هذه الأرض فتنبت الأجساد في بطن الأرض كما ينبت البقل، فإن الإنسان إذا دفن في هذه الأرض يبلى إلا عَجْبُ الذنب وهي عظمة صغيرة، فتكون هذه بمثابة البذرة لهذا الإنسان منها خلق وفيه يركب يوم القيامة، فإذا نزل الماء من السماء على الأرض نبتت الأجساد في بطن الأرض كما ينبت البقل[2].

فإذا تكاملت الأجساد في بطن الأرض أحيا الله إسرافيل عليه السلام وأمره أن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فإذا نفخ إسرافيل في الصور تطايرت الأرواح من مخازنها؛ أرواح المتقين من عليين، وأرواح المجرمين من سجين في أسفل سافلين، إلى الأجساد التي نبتت ونمت في الأرض فتعود كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره في الدنيا لا تخطىء روحٌ جسدها أبداً، إنه أمر الذي يقول للشيء كن فيكون.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٥٣٦)، م: (٢٩٥٥).
(٢) **صحيح**: خ: (٤٦٥١)، م: (٢٩٥٥)، انظر الحديث بتمامه.

عباد الله! إذا عادت الأرواح إلى الأجساد في الأرض، بدأت الأرض تنشق عن الناس ليخرجوا منها لرب العالمين، وأول من تنشق عنه الأرض هو رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «**أنا أول مَنْ تنشقُ عنه الأرض**»[1].

عباد الله! الأرض التي نعيش عليها وتحملنا على ظهرها أحياءً، ثم تحملنا في بطنها أمواتاً كما قال ربنا جل وعلا: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦]. إذا جاء يوم القيامة، ونفخ إسرافيل في الصور أَذِن الله لهذه الأرض أن تسلم الأمانات التي في بطنها فتستجيب الأرض وتُسلم ما في بطنها من الأجساد التي دفنت فيها، وتتخلى عن هذه الأمانة فتُسلم الناس إلى ربها في أرض المحشر قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ [الانشقاق: ٣ ـ ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٨].

عباد الله! واللهِ إنه منظر عجيب، ومنظر رهيب، البلايين من البشر منذ أن خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة كل هؤلاء يخرجون من الأرض في لحظة واحدة! فمن من البشر يستطيع أن يصور لنا هذا المنظر؟ من يستطيع أن يصف لنا هذا المنظر؟ البلايين من البشر في لحظة واحدة يخرجون من قبورهم لرب العالمين!

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢].

مَنْ مِن البشر يستطيع ولو بقلمه أن يصف هذا المنظر؟.

---

(١) **صحيح لغيره**: د: (٤٦٧٣)، ت: (٣١٤٨)، حم: (٢/ ٥٤٠)، حب: (٦٢٤٢)، طب: (١٢/ ١٦٦)، [«ص.غ.هـ» (٣٥٤٣)].

مَنْ مِن الفصحاء يستطيع بلسانه أن يصف لنا هذا المنظر؟.

أظن يا عباد الله أنه لا يقدر على وصف هذا المنظر إلا الله ﷻ.

ولذلك تعالوا بنا إلى كتاب ربنا لنستمع إلى الآيات القرآنية التي يصف فيها ربنا جل وعلا الناس وهم يخرجون من قبورهم لرب العالمين.

يقول الله ﷻ: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ ـ أي: من القبور ـ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٢ ـ ٤٤].

هذا هو اليوم الذي نذكركم به يا عباد الله، ومع ذلك يُصر العاصي على معصيته، ليقال له يوم القيامة: هذا هو اليوم الذي كنت توعد يا ابن آدم!

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٦ ـ ٨]، هذا يوم صعب، ويقول رب العزة: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤١ ـ ٤٤]، ويقول رب العزة: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ﴾ [لقمان: ٢٨]. فتخيل معي وقد خرج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون: هذا يوم عسر.

عباد الله! إذا خرج الناس من القبور فإن الكفار والمجرمين ترهقهم ذلة ويقولون: هذا يوم عسر، يقولون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟.

● أما المؤمن إذا خرج من قبره قال: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، المؤمنون إذا خرجوا من قبورهم قالوا: هذا هو يوم البعث، قالوا: هذا هو يوم القيامة، هذا هو يوم الجزاء، وقالوا: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين.

عباد الله! خرج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر فبأي لباس تراهم يخرجون؟

ابن آدم! يا أيها المتزين بلباسك في الدنيا، انظر بماذا تخرج من قبرك يوم القيامة؟! يقول ﷺ: «**يا أيها الناس إنكم محشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً**»(١).

ابن آدم! يا أيها الغني، يا من تتفنن في اللباس، وتتزين به ونسيت قلبك الأسود، تزينْ بلباس التقوى فهو خيرٌ لك؛ فلسوف تخرج يوم القيامة أيها الغني كيوم ولدتك أمك ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، يقول ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**» فقالت عائشة: يا رسول الله، النساء والرجال ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(٢).

إن الأمر خطير، إن الموقف رهيب، تخيل معي وأنت في هذه الدنيا يا عبد الله أنك دخلت بيتاً قد اشتعل ناراً فيه من الأطفال والرجال والنساء، وبدأت النار تحرق من في هذا البيت، فدخلت أنت تنقذ من في هذا البيت، فرأيت أطفالاً يحترقون، ونساءً يمتن، ورجالاً يصرخون، فبالله عليك في هذا الوقت إذا رأيت امرأة عريانة أتنظر إليها! الجواب: والله لا، فهذا موقف شديد فما بالنا بالموقف يوم القيامة؟! نعم والله إنه لشديد، فيومها ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧]، كل يقول: نفسي، نفسي، اللهم أسألك نفسي لا أسألك غيرها.

● في هذا اليوم لا يعرف الوالد ولده، ولا المولود يعرف والده: قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٧١)، م: (٢٨٦٠). (٢) **صحيح**: خ: (٦١٦٢)، م: (٢٨٥٩).

• في هذا اليوم لا تعرف الأم ولدها، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢].

• في هذا اليوم يشيب الولدان، يقول ربنا ﷻ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل: ١٧]، ويقول ﷺ: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[1]، نعم الأمر أشد من أن يعرف بعضهم بعضاً.

إخوة الإسلام! إذا خرج الناس من قبورهم كيف يذهبون من قبورهم إلى أرض المحشر؟ اعلموا أن أرض المحشر هي أرض جديدة، بيضاء، نقية، لم يعصِ عليها أحدٌ ربه، خلقها الله يوم القيامة ليحاسب عليها الخلائق، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

• ثم إن المؤمنين إذا خرجوا من قبورهم يا عباد الله ـ ونسأل الله أن نكون منهم ـ تلقتهم الملائكة بالبشرى، فأنت أيها المؤمن عندما تخرج من قبرك، وتنفض التراب من على رأسك تتلقاك الملائكة وتقول لك أبشر ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾. تقول لك: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]، وتأتي الملائكة بركائب من دواب الآخرة، عليها سُرجٌ من ذهب تتلقى المؤمن من قبره ليركب على هذه الدابة ليأتي عليها من قبره إلى أرض المحشر. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

بالله عليكم إذا جاء وفد ليزور أحداً ذا منصب وذا مال من أهل الدنيا كيف يكون استقبال ذي المنصب والمال لوفده هذا؟ لا شك أنه سيكون استقبالاً جيداً حافلاً يتناسب مع وضعه، ومع منصبه، ومع غناه،

(١) **صحيح**: م: (٢٨٥٩).

فما بالنا بوفد الرحمٰن يوم القيامة إذا جاءوا من قبورهم لرب العالمين، إنهم يأتون من قبورهم على ركائب إلى أرض المحشر على أحسن حال، تصحبهم الملائكة تقول لهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾، تقول لهم: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

● أما المجرمون والكفار يا عباد الله فإنهم إذا خرجوا من قبورهم أتوا إلى أرض المحشر على وجوههم، يمشون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقال رجل: يا رسول الله؟ كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال ﷺ: «**أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**»(١).

عباد الله! إذا وصل الناس جميعاً إلى أرض المحشر، وهم عددٌ كبير، من رجالٍ ونساءٍ، أطفالٍ وحتى الدواب، والوحوش، والجن، كل أولئك في أرض المحشر، والملائكة يحيطون بالموقف من كل جانب حتى إذا أراد إنسان أن يفر وجد الملائكة قد وقفوا في وجهه يضربونه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٠ ـ ١٢].

زحام شديد، في أرض المحشر فلا يكاد الإنسان أن يجد إلَّا موضعَ قدميه فقط، فلا يجد مكاناً يجلس فيه، ولا يجد مكاناً يستريح فيه، يقف على قدميه، والأقدام حافية، والأجساد عارية، والأبصار خاشعة، والقلوب واجفة، عرقٌ، زحامٌ، وفوق ذلك كله يُؤتى بالشمس وحرها فتدنو من رؤوس الخلائق.

إذا كورت شمس النهار وأدنيت حتى على رأس العباد تسير

يقول ﷺ: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتىٰ تكون منهم**

(١) **صحيح**: خ: (٦١٥٨)، م: (٢٨٠٦).

كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق»(١).

ابن آدم! عندها سيكون الناس في العرق ـ إذا دنت منهم الشمس ـ بقدر أعمالهم، حتى قال ﷺ: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»(٢).

يقول ﷺ: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه**(٣).

عباد الله! هذا الموقف عند الله عظيم قال تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فلا تنسوا يا عباد الله هذا اليوم.

عباد الله! الناس في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، الحر شديد، والزحام شديد، أجسادهم عارية، أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، أقدامهم حافية، كلٌ ينظر ولا يدري إلى أين يذهب، كرب شديد، ومع ذلك كله ومع هذا الحر وهذا الغم وهذا الكرب يؤتى بجهنم يومئذٍ ليزدادوا كرباً على كربهم، وغماً على غمهم، وشدة على شدتهم، وحراً على حرهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

ابن آدم! لن ينفع الندم يوم القيامة! فتنبه وتذكر اليوم، لمن تطبل؟ ولمن ترقص؟ وبماذا تحتفل؟ وعلى أي شيء تسهر الليالي الحمراء؟ ومن تحب؛ فأنت تحشر مع من تحب؟

عباد الله! استقيموا على طاعة ربكم، وارجعوا إلى الله، قبل أن يقول المفرِّط منكم يوم القيامة: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، وهناك لا ينفع الندم.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٦٤). (٢) **صحيح**: خ: (٦١٦٧).
(٣) **صحيح**: م: (٢٨٦٤).

يقول ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(١)، عذابها أليم، وحرها شديد، وقعرها بعيد، وأهلها لباسهم فيها النار، وطعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم، وفراشهم النار، وغطاؤهم النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

عباد الله! فإذا جيء بجهنم، ورآها المجرمون عرفوا أنها ما جاءت إلا لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟﴾ ـ أي: أيقنوا ـ ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

إذا جيء بجهنم عرف العاصي والمجرم أنها ما جاءت إلا له فيقال للمجرمين توبيخاً لهم يوم القيامة عندما يؤتى بجهنم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس: ٦٣ ـ ٦٤]. يقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣ ـ ٤٤]، يقال لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١٤ ـ ١٦].

عباد الله! في يوم القيامة يندم الإنسان، ولكن لا ينفع الندم يقول رب العزة: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [النازعات: ٣٤، ٣٥] تتذكر عندها هل صليت؟ أم أنك كنت تأكل الربا؟ هل كُنت تهرول إلى المساجد وإلى دروس العلم أم كنت تهرول إلى السهرات الحمراء والراقصات ودور السينما وأماكن اللهو؟ إلى أين تهرول يا عبد الله؟ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٥ ـ ٤١].

عباد الله! في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٤٢).

بقية نخبركم عما سيكون في أرض المحشر ونعرفكم على أحوال الكفار، وعلى أحوال المتقين، وعلى أحوال العصاة من المسلمين، ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يثقل موازيننا وأن يستر علينا يوم تبلى السرائر





مشاهد يوم القيامة

المشهد الثالث: حال الأشقياء والسعداء في أرض المحشر

عباد الله! نعود بكم مرة ثانية للحديث عن مشاهد يوم القيامة، في الجمع الماضية قلنا: إن الإيمان باليوم الآخر، وإن الإيمان بالبعث بعد الموت، وإن الإيمان بقيام الناس من قبورهم لرب العالمين ركن من أركان العقيدة الصحيحة.

عباد الله! وفي الجمعة قبل الماضية تكلمنا عن المشهد الثاني من مشاهد يوم القيامة ألا وهو النفخة الثانية في الصور، وقلنا: إن الله ﷻ إذا أراد أن يبعث الناس من قبورهم للحساب وللجزاء أحيا جل وعلا إسرافيل عليه السلام، وأمره أن ينفخ في الصور، فإذا نفخ إسرافيل في الصور جاءت الأرواح من أماكنها إلى الأجساد التي نبتت في الأرض، ثم يقوم الناس بإذن ربهم من قبورهم لرب العالمين كأنهم جراد منتشر يخرجون من قبورهم حفاةً عراةً غرلاً، وقلنا ـ أيضاً ـ يا عباد الله: إن الناس يحشرون من قبورهم إلى أرض المحشر.

- فالمؤمنون يحشرون ركباناً، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

- وأما المجرمون يا عباد الله فيحشرون من قبورهم إلى أرض المحشر على وجوههم عمياً وبكماً وصماً.

عباد الله! فإذا وصل الناس إلى أرض المحشر، وقاموا هناك قياماً طويلاً في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وأجسادهم عارية، أقدامهم حافية، أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، الشمس على رؤوسهم، الزحام

شديد، العرق غزير، والهمُّ والغمُّ لا يعلمه إلا الله، فما الذي يحدث بعد ذلك؟.

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الثالث من مشاهد يوم القيامة: ألا وهو: «حال الأشقياء في أرض المحشر، وحال السعداء في أرض المحشر».

عباد الله! تعالوا بنا لننظر في أرض المحشر، في وسط هذا الزحام الشديد حيثُ العرق الغزير، والحر الشديد، في وسط هذا الجوِّ من الهم والكرب ولنتعرف من خلال الكتاب والسنة على حال الأشقياء في أرض المحشر، ولنتعرف على حال السعداء في أرض المحشر ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

تعالوا بنا أولاً لنتعرف على حال الأشقياء، فكأني بهم وقد وقفوا في أرض المحشر عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم، العرق يلجمهم إلجاماً، وفوق ذلك قد جيء بجهنم لتحيط بالكافرين ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

عباد الله! انظروا في أرض المحشر إلى أولئك الأشقياء من الكفار والمجرمين، إن رؤوسهم منكسة من الخزي والذل والعار، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧].

انظروا إلى وجوههم، إنها سوداء مظلمة، عليها غبرة، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ [الزمر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

عباد الله! انظروا إليهم ماذا يحملون على ظهورهم؟! أتدرون ماذا يحمل الأشقياء على ظهورهم؟ إنهم يحملون أوزارهم، بل يحملون ذنوبهم وذنوب الذين أضلوهم بغير علم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣١]. وقال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

عباد الله! ثم تعالوا لنسألهم: ماذا يريدون في أرض المحشر؟ وماذا يتمنون في أرض المحشر؟ يقول ربنا جل وعلا مخبراً عنهم: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢]، إنهم يتمنون في أرض المحشر أن لو كانوا مسلمين في الدنيا، فاحمدوا الله على نعمة الإسلام، وعلى نعمة الإيمان. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧]، تمنوا أن لو كانوا مسلمين، تمنوا أن لو كانوا مؤمنين، تمنوا أن لو كانوا قد أطاعوا الرسول في الدنيا.

عباد الله! وتعالوا بنا إلى أولئك الأشقياء لنسألهم: بأي شيء تريدون أن تفدوا أنفسكم من عذاب الله؟ يا معشر المجرمين، يا معشر الأشقياء، يا معشر الكفار ماذا تقدمون فداءً لأنفسكم من عذاب الله يوم القيامة؟ يخبرنا ربنا جل وعلا، عنهم فيقول جل وعلا: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١١ ـ ١٦].

عباد الله! تصوروا شدة هذا العذاب الذي يجعل الإنسان يقدم ولده فداء لنفسه من هذا العذاب، ومع ذلك يقال له: كلا إنها لظى، إنها النار.

لن يقبل من الذين كفروا فدية ولو افتدى أحدهم بولده وزوجته وأخيه وعشيرته وبكل ما يملك في الدنيا، بل وبملءِ الأرض ذهباً لن يقبل منه يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١].

تعالوا واسمعوا ماذا يقولون، على أي شيء يتحسرون؟! اسمعوا إلى حسراتهم فقد سجلها الله لنا في كتابه ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، يقول الله ﷻ عنهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢]. تعلمون يا عباد الله أن الأشقياء في قبورهم يعذبون، ولكنهم عندما خرجوا من عذاب القبر إلى عذاب يوم القيامة ووجدوا أن عذاب القيامة لا يطاق ظنوا أنهم كانوا في قبورهم راقدين. فمن حسرتهم قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، وقالوا: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]، أي: في الساعة، أي: في يوم القيامة، وقالوا: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

عباد الله! هذا هو حالهم ثم بعد هذا العذاب الأليم ينتقلون إلى نار حامية طعامهم فيها الزقوم، وشرابهم فيها الحميم، ولباسهم فيها النار ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

ابن آدم! أتقدر على تحمل هذا الموقف؟ أيها الإنسان أتتحمل هذا العذاب في أرض المحشر قبل دخول النار؟ أظن أنك ضعيف! أفلا تفر يا ابن آدم إلى الله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ ـ ٥١].

عباد الله! ثم تعالوا بنا الآن لنتعرف على حال السعداء، ونسأل الله أن نكون منهم.

• السعداء في أرض المحشر قد بيَّض الله وجوههم، اللهم بيِّض وجوهنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

بل إنهم في أرض المحشر يضحكون في الوقت الذي يبكي فيه الكفار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]، وهي وجوه السعداء، فتعالوا عباد الله لنسأل عن طعام السعداء في أرض المحشر؛ فالناس يقومون من قبورهم أشد ما يكونوا عطشاً وجوعاً، فما هو طعام السعداء في أرض المحشر؟.

إن الله ﷻ القادر على كل شيء يحول لهم هذه الأرض خبزةً واحدة يأكلون منها في أرض المحشر يوم القيامة. يقول ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدةً، يتكفؤها الجبار بيده كما يَكفأُ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة**»[1].

إذن المؤمنون الأتقياء السعداء يأكلون في أرض المحشر فهنيئاً لهم.

ثم أتدرون من أين يشرب أولئك الأتقياء في أرض المحشر؟ إنهم يشربون من حوض رسول الله ﷺ الذي من شرب منه شربة واحدة لا يظمأ بعدها أبداً. يقول ﷺ: «**حوضي من عدن إلى عمّان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابهُ عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً**»[2].

اللهم اسقنا من يد رسولك شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.

عباد الله! واعلموا أن هناك رجال ونفر من هذه الأمة يذهبون في

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٥٥)، م: (٢٧٩٢).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤٤٤)، هـ: (٤٣٠٣)، حم: (٥/ ٢٧٥)، طس: (١/ ١٢٤)، لس: (٩٩٥)، ك: (٤/ ٢٠٤)، [«ص.ج» (٢٠٦٠)].

أرض المحشر إلى هذا الحوض ليشربوا منه فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار أتدرون من هم يا عباد الله؟ إنهم أهل البدع والأهواء الذين ابتدعوا في دين الله، يقول ﷺ: «... **وإنه سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك...**»(١).

إنهم ابتدعوا في الدين، غيَّروا في الدين، صنعوا ديناً يتناسب مع أهوائهم، وذلك كما نرى اليوم: فإن الكثير من الناس لا يعجبه دين محمد بن عبد الله ﷺ، إنهم يريدون دين القرن العشرين! ديناً يتناسب مع أهوائهم، أما أن تقول لهم: ارجعوا إلى ما كان عليه المصطفى ﷺ، فسيقولون لك: أنت متشدد! أنت متزمت! أنت رجعي! تريد أن ترجع بالناس إلى القرون الماضية!!

عباد الله! ثم أتدرون بأي شيء يستظل أولئك الأتقياء يوم القيامة من ذلك الحر الشديد؟ إنهم في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله. يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلّه: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه، وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالُه ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»(٢).

وتعالوا بنا يا عباد الله لنتعرف على هؤلاء الذين أظلهم الله في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

١ ـ **(إمام عادل)** عدلَ هذا الإمام لأن الله أمره بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، عدلَ هذا الإمام لأنه علم أن الله سائلهُ يوم القيامة عما استرعاه، عدل هذا الإمام لأنه علم أن الله حرم الظلم، قال ربنا ﷻ

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٦١)، م: (٢٨٦٠).
(٢) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**»(١)، عدل هذا الإمام لأنه علم أن الظلم ظلمات يوم القيامة، عدل هذا الإمام لأنه علم أن الله يستجيب للمظلوم في ظالمة.

٢ ـ **(وشاب نشأ في عبادة الله)** نشأ في عبادة الله؛ لأنه علم أن الله خلقه لعبادته، وعلم أن الله سائلهُ يوم القيامة عن شبابه فِيمَ أفناه، ولأنه علم أنه إن لم ينشأ في عبادة الله نشأ في عبادة الشيطان.

٣ ـ **(ورجل قلبه معلق بالمساجد)** وهذا علق قلبه بالمسجد؛ لأن المساجد هي بيوت الله في الأرض، ولأن المساجد هي خير بقاع الأرض، فتراه يتردد على المسجد خمس مرات في اليوم والليلة، فهو يحب بيت الله فهل يستوي هذا الذي علق قلبه بالمسجد مع من علق قلبه بالسينما والمفسديون والسهرات الحمراء، هل يستويان مثلاً؟!

٤ ـ **(ورجلان تحابا في الله)** تحابا في الله؛ لأنهما علما أن المحبة في الله تدوم، وأن المحبة لغير الله تنقطع، تحابا في الله؛ لأنهما علما أن المحبة والصداقة تنقلب عداوة يوم القيامة إلا ما كانت لله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧]، تحابا في الله، لأنهما علما أن الله يحب المتحابين فيه، قال ربنا في الحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتحابين فِيَّ**»(٢) وقال ربنا في الحديث القدسي: «**أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلّي**»(٣).

٥ ـ **(ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله)**، لقد خاف من الزنا لأن الله حرم الزنا، خاف من الزنا لأنه فاحشة وساء

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).
(٢) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٣٣)، حب: (٥٧٥)، ك: (٤/ ١٨٦)، طب: (٢٠/ ٨٠)، هب: (٦/ ٤٨٣)، [«ص.ج» (٤٣٣١)].
(٣) **صحيح**: م: (٢٥٦٦).

سبيلاً، خاف من الزنا لأن الزنا يسوِّد الوجوه في الدنيا والآخرة، خاف من الزنا لأنه اعتداء على الأعراض، خاف من الزنا لأنه لا يرضى الزنا في أهله.

٦ ـ (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) تصدق هذا الرجل؛ لأن الله أمره بالصدقة والإنفاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، تصدق هذا الرجل، لأنه علم أنه سيموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [المنافقون: ١٠]، تصدق هذا الرجل؛ لأنه علم أن الصدقة والإنفاق سبب لزيادة المال، وعلم أن البخل سبب لذهاب المال، يقول ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»(١)، ودعاء الملائكة مستجاب.

أنفق هذا الرجل من ماله فأخفى الصدقة، تصدق على الأسر المستورة في ظلمات الليل لا يعلم به أحد؛ لأنه علم أن الرياء يحبط الأعمال.

فبادروا يا معشر المسلمين، يا معشر الأغنياء بالصدقات وأنتم في شهر كريم، في شهر مبارك في شهر الصدقات وتصدقوا بنفس كريمة، واعلموا أنكم ما أنفقتم من شيء إلا وسيخلفه الله عليكم، وسينمي لكم ذلك لتجدونه عنده يوم القيامة، فادخروا لأنفسكم عند الله وتصدقوا على الفقراء، وعلى الأسر المستورة التي لا تَسْأَلُ الناس إلحافاً، وإياكم أن تعطوا الذين يتسولون في الطرقات، أو يقفون على أبواب المساجد؛ فإنهم قد اتخذوا ذلك مهنة، فهم لا همَّ لهم إلا أن يجمعوا مالاً كثيراً، وأما الفقراء والمساكين فهم لا يأتون إلى المساجد، ولا يسألون الناس إلحافاً، فمدوا أيديكم إليهم واذهبوا إلى بيوتهم.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٧٤)، م: (١٠١٠).

٧ ـ **(رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)**، هذا الرجل جلس وحده فتذكر عظمة الله، تذكر قوة الله، تذكر الموت والقبر والقيامة، تذكر وقوفه بين يدي الله، والله ﷻ يقول له: عبدي أتذكر يوم كذا في مكان كذا في ساعة كذا وأنت تعصيني؟ تذكر هذا الرجل هذا الموقف بين يدي الله، تذكر الصراط، تذكر الجنة والنار ففاضت عيناه خوفاً من عذاب الله وطمعاً في جنة الله.

عباد الله! لقد نظرنا في أرض المحشر، وتعرفنا على حال الأشقياء، وعلى حال السعداء، فتبين لنا أن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وتبين لنا أن الله ﷻ لم يسو بين الصالح والطالح، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة: ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

فيا إخوة الإسلام! هذا هو طريق السعداء، وذاك هو طريق الأشقياء، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨ ـ ٢٠].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلني وإياكم من الفائزين

❋ ❋ ❋



مشاهد يوم القيامة

المشهد الرابع: حال عصاة المسلمين في أرض المحشر [مانع الزكاة]

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الثالث من مشاهد يوم القيامة ألا وهو حال السعداء، وحال الأشقياء في أرض المحشر، وتبين لنا أن الأشقياء من الكفار والمجرمين يكونون يوم القيامة في أسوأ حال، وينتقلون بعد ذلك إلى نار حامية.

- وتبين لنا أن السعداء من الأتقياء والمؤمنين الصادقين يكونون في أرض المحشر يوم القيامة في أسعد حال، ثم ينتقلون من أرض المحشر إلى جنة عرضها السموات والأرض، وقد أخبرنا ربنا جل وعلا بذلك في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ [هود: ١٠٢ ـ ١٠٨].

فيا بني آدم! من شاء منكم فليؤمن، ومن شاء منكم فليكفر.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن المشهد الرابع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: (حال العصاة من المسلمين في أرض المحشر).**

عباد الله! هناك من المسلمين من يعذب على بعض المعاصي في أرض المحشر، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

فتعالوا بنا عباد الله لننظر في أرض المحشر من خلال الكتاب والسنة إلى أحوال العصاة من المسلمين، ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

الناس في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، زحام شديد، عرق غزير، الشمس على الرؤوس. فانظروا معي عباد الله، هذا رجل من عصاة المسلمين يطوقه ثعبان ويأخذه بشدقيه يقول له: أنا كنزك أنا مالك.

- وهذا رجل آخر قد صفحت له صفائح من نار، يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبينهُ وجنبهُ وظهرهُ.

- وهذا رجل ثالث قد انبطح على الأرض، والأغنام والبقر والإبل تطؤهُ حتى إذا مَرَّت كلُّها رُدَّت عليه مَرَّةً أُخرى... وهكذا حالهم حتى يقضي الله في أمره.

أتدرون من هؤلاء يا عباد الله؟ إنهم مانعو الزكاة.

أمة الإسلام! أتدرون من هؤلاء الذين يعذبون في أرض المحشر؟ إنهم مانعو الزكاة من أغنياء المسلمين.

فيا عباد الله! تعالوا بنا لننظر في أرض المحشر إلى عذاب هؤلاء الذين بخلوا بزكاة أموالهم، وحرموا الفقراء والمساكين، تعالوا إلى صاحب الألوف والملايين من الدنانير، وانظروا معي جيداً في أرض المحشر إلى الذي مات وهو يملك الألوف والملايين من الدنانير ولكنه

كان قد بخل بزكاته على الفقراء والمساكين. يقول ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثِّلَ لهُ ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة بلهزَمتيه يعني: بشدقيه يقول: أنا مالُك، أنا كنزك، ثم تلا** ﷺ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾»[1] [آل عمران: ١٨٠].

وهذا الطوق هو هذا الثعبان، وهذا الشجاع الأقرع يأخذك أيها الغني الذي حرمت الفقراء والمساكين حقهم، ويعذبك يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد، ثم ينظر في أمرك وسبيلك إما إلى الجنة وإما إلى النار، أتقدرون يا أصحاب الأموال على هذا العذاب في هذا اليوم الشديد الحر والزحام؟!.

عباد الله! تعالوا وانظروا إلى هذا المسكين الآخر الذي كنز الذهب والفضة، إنه جمع ذهباً وفضة ثم بخل بزكاتهما.

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

يفسر لنا رسول الله ﷺ ذلك فيقول: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار**»[2].

عباد الله! إذا نظرنا إلى الآية، وإلى حديث رسول الله ﷺ لم نجد استثناءً لحلي المرأة، ولذلك اختلف العلماء في حلي المرأة، فهناك من قال: لا زكاة في حلي المرأة، وفريق من العلماء قال: فيه زكاة. والذي يتبين أن

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٨٩).
(٢) **صحيح**: م: (٩٨٧).

الذين قالوا بأن حلي المرأة فيه زكاة معهم الدليل وحجتهم أقوى؛ لأننا لم نر استثناءً لحلي المرأة بل قد جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ تأمر المرأة أن تخرج زكاة حليها إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول.

فيا إخوة الإسلام! من كان عنده شيء من ذهب أو فضة قد بلغ النصاب وحال عليه الحول فعليه أن يزكيه في كل عام وهذا هو الأحوط، وهذا هو الذي ينجيه من عذاب يوم القيامة، وإلا سَتُحوَّل هذه القطع من الذهب والفضة إلى صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد.

عباد الله! وانظروا إلى هذا الثالث المسكين ـ صاحب الإبل التي لم يخرج زكاتها ـ وهو في أرض المحشر. يقول ﷺ: «**ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقِّها حَلبُها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاعٍ قرقرٍ، أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رُدَّ عليه أُخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»(١).

• وانظروا إلى صاحب البقر والغنم الذي بخل بزكاتها يقول ﷺ: «**ولا صاحب بقر، ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»(٢).

أمة الإسلام! الزكاةَ الزكاةَ، إنها ركن الإسلام الثالث.

• الزكاةُ لأهميتها قرنها الله مع الصلاة في كتابه في اثنين وثمانين موضعاً.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.

● الزكاة لأهميتها حاربَ الصديقُ رضي الله عنه الذين منعوها وفرقوا بينها وبين الصلاة.

معشر الأغنياء، أخرجوا الزكاة، فإن إخراج الزكاة طُهرةٌ للنفس من أمراض الشح والبخل وطُهرةٌ للمال. كما قال رب العزة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

● أخرجوا الزكاة يا معشر الأغنياء، فإن إخراج الزكاة سبب لتمكين المسلمين في الأرض. قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

● معشر الأغنياء أخرجوا الزكاة، فإن إخراج الزكاة سبب لنزول الرحمة من الله على العباد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

● معشر الأغنياء أخرجوا الزكاة، فإن إخراج الزكاة سبب لدخول الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩].

● معشر المسلمين احذروا أن تمنعوا الزكاة فإن منع الزكاة سبب لحياة الضنك في الدنيا، ووالله إن مانع الزكاة يعيش في هذه الدنيا في أسوأ حال فتراه ينتقل دائماً بين المستشفيات بسبب حرمانه الفقراء من زكاة أمواله يقول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٨ ـ ١١].

● إياكم أن تمنعوا الزكاة، فإن منع الزكاة سبب لمنع القطر من السماء ولولا البهائم لم تمطروا. يقول صلى الله عليه وسلم: «**يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن...**» ـ وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من

هؤلاء الخمس قال: ـ «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء**»[(١)].

• احذروا أن تمنعوا الزكاة، فالذي يمنع الزكاة يصاب بمرض النفاق، وإذا أردت أن ترَ منافقاً خالصاً فاجلس مع بخيل بالزكاة لتراه يشتكي الفقر وهو غني، وتراه يشتكي المرض وهو صحيح، إنه يتقلب في حياة الضنك فهو منافقٌ لأنه كذب على الله، ومنع زكاة ماله، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٧].

• منع الزكاة سبب للهلاك: يقول ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[(٢)].

يا أمة الإسلام!

• أخرجوا الزكاة لمستحقيها كما قال رب العزة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠] الآية.

• أخرجوا الزكاة وإياكم أن تتحايلوا على الله في إخراج الزكاة، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفكسم فاحذروه.

أخرجوا الزكاة لتفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض، أخرجوا

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، هب: (٣/ ١٩٦)، حل: (٨/ ٣٣٣)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

الزكاة، وإياكم أن تمنعوها وتبخلوا بها على الفقراء والمساكين فالذي يمنع الزكاة يتحسر في دنياه بجمع المال! ويتحسر عند موته بفراق هذا المال، ويعذب يوم القيامة بمنعه لزكاة هذا المال! ويُسْأَلُ بين يدي ربه عن هذا المال من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه!

فيا أخا الإسلام، يا أيها الغني، الموت يأتي بغتة، الموت ينزل بك ويخطفك من هذه الدنيا، وعندها تتمنى أن ترجع بعد الموت لتتصدق ولتخرج هذه الزكاة، ولكن يحال بينك وبين الرجوع.

فيا معشر الأغنياء، يا من جمعتم أموالاً كثيرة، أخرجوا الزكاة، واعلموا أن الله يعلم ما في قلوبكم فإياكم أن تتحايلوا، وإياكم أن تخرجوا شيئاً قليلاً من المال وتظنوا أنكم قد أخرجتم الزكاة، واسألوا أهل العلم إن كنتم لا تعلمون، وأخرجوا الزكاة تامة، واعلموا أن الله ابتلاكم بالغنى لتخرجوا الزكاة كما ابتلي الفقير بالفقر ليصبر.

عباد الله! أما بالنسبة لزكاة الفطر فهي واجبة على كل مسلم يملك قوت يومه وليلته، وتجب على الكبير والصغير، وعلى الذكر والأنثى، وعلى العبد والحر.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط أو صاعاً من زبيب)(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (١٤٣٢)، م: (٩٨٤).
(٢) **صحيح**: خ: (١٤٣٥)، م: (٩٨٥).

عباد الله! وهذه الزكاة ـ زكاة الفطر ـ الحكمة منها أن تكون طُهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين.

يقول ابن عباس رضي الله عنه: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)(١).

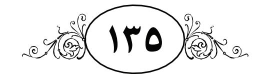
أما مقدارها: فصاع من تمر، أو صاع من شعير، أو صاع من زبيب، أو صاع من أقط، أو ما يقوم مقام ذلك كالأرز مثلاً، أو الطحين في بلدنا، فتخرج يا عبد الله عن كل شخص أنت قائم على نفقته (اثنين كيلو) من الأرز أو غيره تقريباً.

ووقت تأديه هذه الزكاة: أن توصلها إلى الفقراء قبل صلاة العيد فمن أداها قبل صلاة العيد فهي زكاة، ومن أداها بعد صلاة العيد فهي صدقة وليست بزكاة.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا وأعمالنا

❁ ❁ ❁

(١) **حسن**: د: (١٦٠٩)، هـ: (١٨٢٧)، قط: (٢/١٣٨)، ك: (١/٥٦٨)، [«ص.غ.هـ» (١٠٨٥)].



مشاهد يوم القيامة

المشهد الخامس: حال عصاة المسلمين في أرض المحشر [المصور، المتكبر، الغادر، الغالّ من الغنيمة، السارق، العاق لوالديه، الديوث، المرأة المترجلة]

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الرابع من مشاهد يوم القيامة، وتكلمنا عن حال بعض العصاة في أرض المحشر، فتكلمنا عن حال مانع الزكاة، وتبين لنا معشر المسلمين أن مانعي الزكاة يعذبون يوم القيامة بأموالهم التي بخلوا بزكاتها: فهذا ماله قد تحول إلى ثعبان كبير يأخذه بشدقيه يقول له: أنا كنزك، أنا مالك، وهذا رجل آخر تحول ماله إلى صفائح من نار يحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره. وهذا رجل آخر جاءت إبله وبقره وغنمه فأخذت تطؤه بأقدامها، وتنطحه بقرونها، وتعضه بأفواهها كل ذلك في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم بعد ذلك يرى كل منهم سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الخامس من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: (حال بعض العصاة في أرض المحشر).**

أمة الإسلام! لا زال الناس في أرض المحشر، زحام شديد، عرق غزير يلجم بعض الناس إلجاماً، الشمس فوق رؤوس الخلائق، الناس أجسادهم عارية، أقدامهم حافية، أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، ومع هذا الحال من الغم والكرب جيء بجهنم فزادت حرهم حراً، وزادت غمهم غماً، وزادت كربهم كرباً.

فيا عباد الله! انظروا معي الآن إلى هذه النار حيث يخرج منها عنق له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يبحث في أرض المحشر عن بعض الناس، أتدرون عَمَّن يبحث يا عباد الله؟ عن المصورين.

يقول ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، بكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين**»[(١)]، فيأخذ هذا العنق هذا المصور ويُقال له: أحي ما خلقت، انفخ الروح في هذه الصورة التي صورت وما هو بنافخ، فيُعَذَّبُ في هذا اليوم عذاباً أليماً، يقول ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[(٢)].

فيا عباد الله! التصوير لذوي الأرواح حرام إلا ما كان لضرورة، ويا من تزينون الجدران بصور لذوات الأرواح هذا عمل لا يجوز. أما إذا تصور الإنسان أو صَوَّر لضرورة فلا حرج في ذلك.

• واعلموا أن الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه كلب أو صورة، يقول ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[(٣)] وقال ﷺ: «**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**»[(٤)]، فاحذروا عباد الله من جريمة اتخاذ الصور والتماثيل حتى لا تكونوا من هؤلاء العصاة يوم القيامة.

إخوة الإسلام! لا زلنا ننظر في أرض المحشر من خلال الكتاب والسنة إلى بعض عصاة المسلمين، فانظروا معي إلى أرض المحشر لنرىٰ ما هذا النمل الصغير؟ إنه ليس بنملٍ بل إنهم بشر بعثهم الله ﷻ على هذه الصورة من الذل والهوان! سبحانك ربنا ما أعدلك! الجزاء من جنس

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٧٤)، حم: (٢/٣٣٦)، هب، (٥/١٩٠)، [«ص.ج» (٨٠٥١)].
(٢) **صحيح**: حم: (٢/٢٦)، [«ص.ج» (٩٩٩)].
(٣) **صحيح**: خ: (٣٠٥٣)، م: (٢١٠٦).
(٤) **صحيح**: خ: (١٩٩٩)، م: (٢١٠٧).

العمل، ولا يظلم ربك أحداً، هل تدرون من هؤلاء الذين بعثهم الله يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال؟ إنهم المتكبرون الذين تكبروا على خلق الله، الذين مشوا في الأرض وظنوا أن ما عليها إلا هم، أولئك يبعثون يوم القيامة على هذه الصورة الذليلة، يقول ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال** ـ أي: أمثال النمل الصغير ـ **يغشاهم الذل من كل مكان...**»[(١)].

سبحانك ربنا! إنهم تكبروا على الناس في الأرض، فانظروا كيف بعثهم الله يوم القيامة في صور الرجال أمثال الذر تطؤهم الأقدام، والذل يغشاهم من كل مكان.

ابن آدم! إذا أردت أن تتكبر على خلق الله بمالك فاعتبر بقارون.

ابن آدم! إذا أردت أن تتكبر على خلق الله بما عندك مِنْ عقارات ومزارع فاعتبر بصاحب الجنتين.

ابن آدم! إذا أردت أن تتكبر على خلق الله بوزارتك ومنصبك فاعتبر بفرعون وهامان.

ابن آدم! إذا أردت أن تتكبر على خلق الله بصحتك وقوتك فاعتبر بقوم عاد.

الكِبر جريمة يرتكبها الإنسان في حق نفسه، وفي حق البشر، ولذلك يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٢)].

عباد الله! لا زلنا ننظر في أرض المحشر إلى بعض العصاة، انظروا معي إلى هؤلاء البشر، انظروا معي إلى هذا الفريق من الناس لقد رفع الله لكل منهم لواءً عند إسته، أي علماً مرتفعاً ظاهراً مكتوب عليه: هذه غدرة فلان ابن فلان، فليحذر الذي يغدر! وليحذر الذي يخون العهد! فهذا

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤٩٢)، حم: (٢/ ١٧٩)، خد: (٥٥٧) [«ص.ج» (٨٠٤٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٩١).

الغادر يبعث يوم القيامة كيوم ولدته أمه عند استه من الخلف علمٌ ظاهرٌ مكتوب عليه: هذه غدرة فلان ابن فلان، إنها الفضيحة يوم تبلى السرائر، هذا رجل غدر بزوجته، وهذه امرأة غدرت بزوجها، وهذا رجل غدر بصديقه، وهذا راعٍ غدر برعيته، يُرفع لكل منهم لواءٌ يوم القيامة مكتوب عليه: هذه غدرة فلان ابن فلان.

يقول ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان**»(١)، أين يكون هذا اللواء؟ أين يعلق؟ عند أستك يا ابن آدم، يقول ﷺ: «**لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة**»(٢)، فاحذروا الغدر فإنه من شيم المنافقين.

يقول ﷺ: «**أربع مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٣).

عباد الله! ولا زلنا ننظر في أحوال عصاة المسلمين في أرض المحشر ـ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ـ فانظروا، في هذا الزحام الشديد، وفي هذا الكرب الشديد، وفي هذا العرق الغزير، انظروا فهذا رجل يحمل بعيراً على رقبته، وهذا آخر يحمل بقرة على رقبته، انظروا إلى الثالث فإنه يحمل شاة على رقبته، وانظروا إلى الرابع فإنه يحمل فرساً على رقبته، أتدرون من هؤلاء يا عباد الله؟ إنهم أصحاب الغلول، كل من يغلون من الغنيمة: السارق، الناهب، المختلس الذي يأخذ مما ائتمن عليه، الذي يسرق من الناس، والله لا أدري يا عباد الله ماذا يفعل!! أولئك الذين يختلسون من أموال المسلمين، ويسرقون، وينهبون؟ كم سيحملون على ظهورهم يوم القيامة من أحمالٍ ثقيلة؟ إن المرء يحمل أوزاره على ظهره،

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠١٦)، م: (١٧٣٥).
(٢) **صحيح**: م: (١٧٣٨).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٤)، م: (٥٨).

ويحمل أوزار من أضلهم على ظهره، ويحمل ما سرق وما أخذ من الغنيمة على ظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

يقول ﷺ في الحديث الطويل: «**لا أُلفين أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاءُ يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك...**»(١).

فتبين لنا عباد الله أن الذي يسرق يأتي يوم القيامة في أرض المحشر حاملاً لما سرق على رقبته، إنها الفضيحة، فإياك إياك أن تغل مما ائتمنت عليه، وإياك إياك أن تنهب مما تحت يدك إن كنت موظفاً عند إنسان أو موظفاً في أي مكان، إياك أن تأخذ، وتسرق وتنهب، وإن كان ما أخذت على صورة هدية.

● فأحدهم تقدم له سيارة هدية، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى يهدى إليه.

● وآخر يقدم له خمسون دونماً من الأرض هدية، هلَّا جلس في بيت أبيه وأمه حتى يهدى إليه!

● استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على الصدقة فجاء فقال: هذا لكم، وهذا أهدي إلي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي إلي؟ أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تَيْعَر**»(٢).

نعم، السارق يأتي يوم القيامة في هذا الموقف العظيم يحمل ما

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٩٠٨)، م: (١٨٣١).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٧٥٣)، م: (١٨٣٢).

سرق على رقبته إنها فضيحة يوم تبلى السرائر، يوم يكشف المستور، يوم يخرج الله ﷻ ما في الصدور، فاعمل لهذا اليوم، واجتهد لهذا اليوم حتى يسترك الله يوم تبلى السرائر.

عباد الله! هناك فريق من الناس، ومن العصاة يعذبون يوم القيامة بأن يحرموا نظر الله ﷻ إليهم.

ومن أولئك على سبيل المثال:

يقول ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة** ـ فاحذر أن تكون من هؤلاء ـ: **العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث**»(١) أتعرفون العاق لوالديه يا عباد الله؟ إنه الذي عصى الله في والديه، فالله ﷻ أمره ببر والديه بعد أن أمره بعبادته سبحانه، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

ابن آدم! الأب والأم لا يُقال لهما: أف، فكيف بالذين يضربون، أو الذين يسبون آبائهم، أولئك لا ينظر الله لهم يوم القيامة، ومن لم ينظر الله له يوم القيامة عُذب.

● فالعاق لوالديه ملعون: قال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، يقول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً قالوا: بلى يا رسول الله ـ فذكر منها ـ «**وعقوق الوالدين**»(٢). وقال ﷺ: «**من الكبائر شتمُ الرجل والديه!**»، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم يسُبُ أبا الرجل فيسُبُ أباه، ويسُبُ أمهُ**

---

(١) **صحيح**: ن: (٢٥٦٢)، حم: (٣/ ١٣٤)، طب: (١٢/ ٣٠٢)، هب: (٦/ ١٩٢)، [«ص.ج» (٣٠٧١)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

فيسُبُّ أمه»[1].

فهل في عصرنا هذا من يسب أمه ووالده مباشرة؟ أقول: إن الأمر لم يتوقف عند السب والشتم فقط، بل إنه وصل إلى الضرب والطرد، ولعل الكثير من المترفين يأخذ أمه ووالده إلى الملجأ ويدفع مبلغاً من المال ليستريح من همهما! ويحك أيها الولد، قاتل الله أمثالك، بدل أن تتقرب إلى الله، وبدل أن تسعى لتدخل الجنة ببرك لوالديك تفعل هكذا! لكن بر الوالدين فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن عق والديه فسيرى ذلك من أبنائه، ومن ضرب والديه فسيرىٰ ذلك من أبنائه؛ فالجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً.

- أما المرأة المترجلة الملعونة:

فإن المرأة تكون امرأة حقيقية بحيائها وأدبها، أما إذا ترجلت المرأة فلبست لبسة الرجل، ومشت مشية الرجل، وتكلمت كما يتكلم الرجل فهي ملعونة، ولا ينظر الله إليها يوم القيامة؛ لأنها خلقت امرأة فترجلت! وهي ملعونة؛ لأن رسول الله ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال.

- والديوث ملعون كذلك:

والديوث هو من يقر المنكر في أهله، يراها تتبرج وتتزين وتكشف عن ساقيها وعن جسمها، وتبيع لحمها في الشارع للذئاب رخيصاً لا ثمن له، وهو يقر ذلك ويرضاه، الديوث رجل يسمح لامرأته أن تجالس الرجال الأجانب، وأن تمزح مع هذا وتكلم هذا، وتذهب مع هذا وتخلو بهذا، فهذا ديوث قد أقر المنكر، ورئيس هؤلاء هو من يعلم أن امرأته تزني ويرضى بذلك.

عباد الله! العصاة يعذبون في أرض المحشر، فاعتبروا منهم قبل أن ينزل بكم ملك الموت فتندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٢٨)، م: (٩٠).

عباد الله! المعاصي شؤم على صاحبها في الدنيا والآخرة، المعاصي تسود الوجوه في الدنيا والآخرة. فالعاقل من يحدث توبة مما اقترف من المعاصي قبل أن يندم؛ لأنه إذا طلعت الشمس من مغربها وأراد أحدنا أن يتوب أغلقت أبواب التوبة في وجهه، وإذا نام أحدنا في فراش الموت وبلغت الروح الحلقوم وأراد عندها أن يتوب أغلقت أبواب التوبة في وجهه، فالعاقل هو الذي يبادر بالتوبة من المعاصي مهما كانت صغيرة أو كبيرة قبل أن يندم، وعليه أن يبادر كذلك بالأعمال الصالحة ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤]. والرسول ﷺ يقول: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»[(١)] فمن اقترف من هذه المعاصي شيئاً أو من غيرها فليبادر بالتوبة وليبادر بالأعمال الصالحة.

فيا أيها العاقل! يا من أحدثت توبة في رمضان وسارعت إلى الأعمال الصالحة في رمضان، ها هو قد انتهى رمضان أو أوشك على الانتهاء، وهكذا الأيام تمر، وهكذا العمر ينقضي، وما هي إلا لحظات ثم تنتقل إلى الدار الآخرة.

نسيرُ إلى الآجالِ في كل لحظةٍ ... وأيامُنا تُطْوَى وهنَّ مَراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطتْه الأمانيُ باطلُ
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائلُ

فمن أحدث توبة في رمضان، وبادر بالأعمال الصالحة في رمضان فلا يحرم نفسه بعد رمضان من هذه الأعمال الصالحة؛ فإنَّ الحسنات يذهبن السيئات، فمن صام رمضان فلا يحرم نفسه من صيام الست من شوال بعد رمضان لقوله ﷺ: «**من صام رمضان ثم أتبعه بستٍ من شوال فكأنما صام الدهر**»[(٢)] ويجوز لك أن تصوم هذه الأيام بعد العيد مباشرة

(١) **حسن**: ت: (١٩٨٧)، حم: (٥/ ١٥٣)، مي: (٢٧٩١)، ك: (١/ ١٢١)، طب: (٢٠/ ١٤٥)، هب: (٦/ ٢٤٤)، [«ص.ج» (٩٧)].

(٢) **صحيح**: د: (٢٤٣٣)، هـ: (١٧١٦)، حب: (٣٦٣٤)، لس: (٥٩٤)، طب: (٤/ ١٣٤)، [«ص.غ.هـ» (١٠٠٩)].

متتالية أو متفرقة إلا في الأيام التي نهى الشرع عن صيامها إلا في الفريضة كيوم السبت.

• وعليك أن تحافظ على صيام الأيام المشروعة كما بينها رسول الله ﷺ كصيام الاثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء إلى غير ذلك.

• ومن وفق لقيام رمضان فلا يحرم نفسه من قيام الليل بعد رمضان.

• ومن وفق لإطعام الطعام في رمضان فلا يحرم نفسه من إطعام الطعام بعد رمضان؛ فإنه ينجي من كربات يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١١].

• ومن وفق للإنفاق في رمضان، ولبذل المال في رمضان فلا يحرم نفسه من الصدقة بعد رمضان؛ فإن الصدقة تطفئ غضب الرب، والصدقة سبب لتطهير النفس والمال، وهي سبب لنجاة الإنسان من ميتة السوء، فلا تحرم نفسك من الطاعة بعد رمضان.

واحذر يا أخا الإسلام أن تنتكس إلى المعاصي بعد رمضان، فها هو إبليس وجنده ينتظرونكم بعد رمضان ليأخذونكم ويعيدونكم إلى حزبهم مرة ثانية، فإياك أن تذهب مع إبليس فإنه يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، ولكن كن على ما كنت عليه في رمضان، واثبت على ذلك حتى تلقى الله، لتنجو بذلك من كربات يوم القيامة.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❊ ❊ ❊



مشاهد يوم القيامة

المشهد السادس: الشفاعة العظمى

عباد الله! في الجمع الماضية تكلمنا عن أحوال الناس في أرض المحشر يوم القيامة، وتبين لنا أن الكفار والمجرمين يكونون يوم القيامة في أرض المحشر في أَسوأ حال، وأن الأتقياء من المؤمنين الصادقين يكونون يوم القيامة في أرض المحشر في أسعد حال، وتبين لنا يا عباد الله أن العصاة من المسلمين يعذبون في أرض المحشر ببعض ذنوبهم حتى يقضي الله بين العباد ثم يرى الواحد منهم سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، وقلنا: إنه يجب على العاقل أن يبتعد عن المعاصي؛ لأنها تسوِّد الوجوه في الدنيا والآخرة، ولأنها حمل ثقيل على الظهر يوم القيامة فاحذروا المعاصي عباد الله.

عباد الله! **أما موعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ فسيكون مع المشهد السادس من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «مشهد الشفاعة العظمى».**

عباد الله! الناس لا يزالون في أرض المحشر أجسادهم عارية، أقدامهم حافية، أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، الشمس على رؤوس العباد، الحر شديد، والعرق يلجم الناس إلجاماً، وكلٌّ يحمل أوزاره على ظهره، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨]. وينادي المناد: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

- في أرض المحشر في هذا الموقف الرهيب الشديد ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ

عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

وآخر يقول: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨]، وآخر يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، وآخرون يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، إلى غير ذلك من النداءات في يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم.

عباد الله! بلغ بالناس في هذا اليوم من الهم والغم والكرب ما لا يطيقون، ماج الناس بعضهم في بعض، وقال بعضهم لبعض: ألا ترون ما نحن فيه؟ ألا ترون ما قد بلغ بنا؟ ألا تنظرون إلى أحد يشفع لكم عند ربكم؟ نعم فالعذاب في أرض المحشر أليم، والموقف شديد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وقد ماج الناس بعضهم في بعض يقول بعضهم لبعض: ألا ترون ما نحن فيه؟ ألا ترون ما قد بلغ بنا ألا تنظرون إلى أحد يشفع لكم عند ربكم؟ فيقول بعضهم: اذهبوا إلى آدم.

• فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك الجنة، يا آدم ألا ترى ما قد بلغ بنا؟ ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا تشفع لنا عند ربك ليفصل بيننا إما إلى الجنة وإما إلى النار؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، وقد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

عباد الله! إذاً آدم يعتذر أن يشفع للناس عند الله لفصل الخطاب.

• فيأتون نوحاً فيعتذر نوح ويقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم.

• فيأتون إبراهيم فيعتذر إبراهيم ويقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى.

• فيأتون موسى فيعتذر موسى ويقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى.

• فيأتون عيسى فيعتذر عيسى ويقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى محمد.

أولو العزم من الرسل يعتذرون أن يتقدموا للشفاعة للناس عند ربهم لفصل الخطاب.

• فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت خاتم الأنبياء والمرسلين، عبدٌ قد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغ بنا، ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول ﷺ: أنا لها، فيأتي ﷺ ربه ويخر ساجداً تحت العرش لربه فيحمد الله ﷻ، ويثني عليه بمحامد لم يفتح الله ﷻ على أحد قبله بمثلها ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيشفع ﷺ للناس عند ربهم لفصل الخطاب وهذه هي الشفاعة العظمى، وهذا هو المقام المحمود الذي قال الله ﷻ فيه لرسوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

عباد الله! شفاعة عظيمة يتقدم بها ﷺ ولا يجرؤ عليها أحد يوم القيامة إلا هو، فيشفع للناس عند ربهم فينزل ربنا جل وعلا نزولاً يليق بجلاله لحساب الناس وليخلصهم من أهوال يوم القيامة، وظن الناس أن عذاب هذا الموقف أشد من عذاب النار وما يدرون أن النار فيها من العذاب الأليم ما لا يعلمه إلا الله.

عباد الله! ولرسولنا ﷺ يوم القيامة شفاعات أخرى غير هذه الشفاعة العظمى منها:

١ ـ يشفع ﷺ في أناس فيدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ونسأل الله أن نكون من هؤلاء.

٢ ـ يشفع ﷺ في أناس قد تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فيدخلون الجنة.

٣ ـ يشفع ﷺ في أُناس ليرتفعوا درجات في الجنة أعلى مما يستحقون.

٤ ـ يشفع ﷺ في أُناس وجبت لهم النار لكنهم ماتوا على التوحيد فلا يدخلون النار.

٥ ـ يشفع ﷺ في أُناس من أهل التوحيد دخلوا النار بمعاصي فعلوها في الدنيا، وماتوا ولم يتوبوا منها فيخرجون من النار إلى الجنة.

٦ ـ يشفع ﷺ في عمه أبي طالب فيخفف عنه العذاب في النار، فينتعل نعلين من نار يغلي منهما دماغه، يظن أنه أشد الناس عذاباً، وهو أهون الناس عذاباً.

عباد الله! الشفاعة يوم القيامة كلها لله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فإياك إياك أن تطلب الشفاعة من أحد غير الله، ولذلك يجب على كل مسلم أن يعلم أن الشفاعة المقبولة عند الله ﷻ يوم القيامة هي التي تتوفر فيها الشروط التالية:

أولاً: لا يشفع أحد يوم القيامة عند الله إلا بعد أن يأذن الله له ولو كان من أولي العزم، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: لا أحد يشفع عند الله يوم القيامة إلا بإذنه، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

فحتى رسولنا ﷺ لا يتقدَّم ليشفع لأحد يوم القيامة إلا بعد أن يسجد لله فيأذن له بذلك، ويقول ﷻ له: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع.

ثانياً: لا يشفع أحد يوم القيامة في أحد إلا إذا رضي الله عن المشفوع فيه، مثلاً لا يشفع عليٌ في أحمد إلا إذا رضي الله ﷻ عن أحمد. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

ثالثاً: لا يشفع يوم القيامة أحدٌ في أحد مات على الكفر أو على الشرك ليخرج من النار وذلك لأمور:

١ ـ لأن الله ﷻ أعد النار للكافرين والمشركين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة: ٦].

٢ ـ ولأن الله ﷻ حرم الجنة على المشركين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومثال ذلك:

ما روى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟! فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأيُّ خزي أخزى مِنْ أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ فيؤخذ بقوائمِهِ فيلقى في النار**»(١).

إذاً الشفاعة يوم القيامة تقع من أهل التوحيد لأهل التوحيد، لتعلموا يا عباد الله أنها العقيدة أولاً.

فهذا رسولنا ﷺ يشفع لعمه أبي طالب فقط ليخفف عنه من العذاب في النار ولا يخرج من النار بشفاعته ﷺ لتعلموا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٧٢).

عباد الله! الشفاعة يوم القيامة كلها لله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ورسولنا ﷺ يشفع يوم القيامة بعد أن يأذن الله له، فمن أراد أن يتحصل على شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة فعليه بما يلي:

أولاً: الإخلاص لله ﷻ في كل العبادات، فتذكروا أن الإخلاص هو سر النجاح في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال ﷺ: «... **أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**»(١).

ثانياً: أن يبتعد عن الشرك بجميع أنواعه، فالشرك وبال على صاحبه في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني ٱختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً**»(٢).

ثالثاً: الإكثار من الأعمال الصالحة، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أو غير ذلك**» قلت: هو ذاك، قال ﷺ: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»(٣).

رابعاً: أن تصلي على رسول الله ﷺ بعد الأذان، وأن تسأل الله ﷻ له الوسيلة، يقول ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**»(٤).

والصلاة على رسول الله ﷺ تكون ممن سمع الأذان وليست من

---

(١) **صحيح**: خ: (٩٩).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٩٤٥)، م: (١٩٩). (٣) **صحيح**: م: (٤٨٩).
(٤) **صحيح**: م: (٣٨٤).

المؤذن في السماعات عقب الآذان بصوت مرتفع كما نسمع من كثير من الناس، فإنما تكون ممن سمع الأذان كما قال ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول**»(١) فالخطاب هنا للسامعين، وليس للمؤذن أن يصلي على رسول الله ﷺ بصوت مرتفع بعد الآذان في السماعات.

بل لقد ظن كثير من جهلة المسلمين أن الصلاة على رسول الله ﷺ جزء من الأذان وظنوا أن من لم يفعل ذلك فهو آثم وعاصٍ لله ولرسوله!!

لا يا عباد الله، الصلاة على رسول الله ﷺ لكل من سمع الأذان، وقال بعض العلماء: ويجوز للمؤذن أيضاً أن يصلي على رسول الله ﷺ بعد الأذان، ولكن في نفسه وليس بصوت مرتفع.

اللهم شَفِّع فينا نبيك محمداً ﷺ

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (٣٨٤).



مشاهد يوم القيامة

المشهد السابع: «مشهد الأسئلة»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد السادس من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**مشهد الشفاعة العظمى**»

وتبين لنا عباد الله أن رسولنا ﷺ هو الذي يتقدم لهذا الأمر العظيم بعد أن تأخر عنه أولو العزم من الرسل، فيأتي رسولنا ﷺ فيسجد لله ﷻ تحت العرش، ويحمد الله ﷻ ويثني عليه، ثم يقال له: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيشفع ﷺ الشفاعة العظمى وهي أن يأتي الرب جل وعلا لفصل الخطاب بين الناس ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد السابع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «مشهد الأسئلة».

عباد الله! الناس لا يزالون في أرض المحشر يتطلعون، وينظرون متى يأتي الرب سبحانه وتعالى لفصل الحساب بعد أن شفع لهم رسول الله ﷺ.

إخوة الإسلام! تعالوا بنا لننظر إلى أحوال الناس في أرض المحشر في هذه اللحظة، وهم ينتظرون ويتطلعون متى يأتي الرب ﷻ لفصل الحساب، يقول الله ﷻ واصفاً أحوال الناس في هذه اللحظة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾

وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٣ ـ ٥١].

ويقول الله ﷻ في سورة أخرى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ [غافر: ١٥ ـ ٢٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١١١]، هولٌ شديد، الناس في أرض المحشر أبصارهم خاشعة، قلوبهم واجفة، أفئدتهم هواء، ينتظرون متى يأتي الرب سبحانه وتعالى، وهم في هذا الهول، وفي هذا الخوف الشديد تنزل الملائكة من السماء بعدد لا يعلمه إلا الله يحيطون بالموقف من كل جانب صفوفاً.

كما قال رب العزة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣٨]. بعد ذلك ينزل ربنا جل وعلا في ظلل من الغمام لمحاسبة الخلائق. ومجيء الرب سبحانه وتعالى لفصل الحساب يوم القيامة قد ذكر لنا في كتاب ربنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ

﴿٢١٠﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٢].

عباد الله! ومجيء الرب سبحانه يوم القيامة صفة من صفاته تبارك وتعالى لله كالاستواء على العرش، وكالنزول في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، فالمجيء صفة من صفات الله يجب على المؤمن أن يعتقد بها وبأنها صفة ثابتة تليق بجلال الله.

عباد الله! والذي يليق بجلال الله تعالى أن نثبت لله ﷿ أنه يجيء يوم القيامة مجيئاً يليق بجلاله ليس كمجيء المخلوقين بدون تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل، ولا تكييف.

وبعد أن جاء الرب سبحانه وتعالى لفصل الحساب أشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء ونصبت الموازين، إنها محكمة إلهية كتب على بابها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

عباد الله! أتدرون ما هو أول نداء هنا؟ أتدرون مِنْ مَن يكون؟ ولمن يكون؟ أول نداء يكون من الرب سبحانه وتعالى، أتدرون لمن؟ لآدم أبو البشر.

قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ﷿: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. قال: يقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟! قال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين.** قال: **فذاك حين يشيب الصغير** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم

بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾(١)» [الحج: ٢].

عباد الله! بعد ذلك تبدأ الأسئلة؟

- يسأل الله ﷿ الرسل هل بلغتم رسالات الله؟
- ويسأل الله ﷿ الأمم ماذا أجبتم المرسلين؟

الأمر خطير يا ابن آدم، الرسل تُسأل يوم القيامة أمام الخلائق: هل بلغتم الدين؟ والأمم تسأل: ماذا أجبتم المرسلين؟

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾ [الأعراف: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصافات: ٢٤].

واللهِ يا ابن آدم ستقف بين يدي الرب ﷻ ليس بينك وبينه ترجمان، ويسألك عن مالك من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ فيا أكلة الربا، اتقوا الله، ماذا عساكم تقولون لرب العزة يوم القيامة إذا سألكم عن أموال الربا من أين حصلتم عليها؟ هل تجرؤ أن تقول: يا رب حاربتك في الدنيا وأكلت الربا؟

- ***عباد الله!*** يبدأ ربنا جل وعلا وأمام الخلائق بسؤال الرسل، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ ـ من آدم إلى محمد ﷺ على جميع أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وأماكنهم وأزمانهم ـ ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ ـ فيجيبون من شدة الهول ومن شدة الخوف ـ ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

الرسل من شدة الهول وصعوبة الموقف أسندوا العلم إلى الله ﷿ لأنه لا يتكلم ـ يومئذٍ ـ أحدٌ إلَّا بإذن الله، وإذا تكلم قال صواباً، ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٦٥)، م: (٢٢٢).

[النبأ: ٣٨]، ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، يا رب أنت تعلم ماذا قالت لنا الأمم، أنت تعلم ماذا فعلوا بنا، لقد بلغناهم وأنت أعلم بما قالوا لنا، فأنت علام الغيوب.

• ثم يوجه ربنا جل وعلا سؤالاً خاصاً، لنبي معين قال عنه قومه: إنه ابن الله، وقالوا: إنه هو الله، وقالوا عنه: ثالث ثلاثة. والله يعلم أن عيسى ما قال لهم ذلك، ولكن هذا السؤال لعيسى توبيخاً للنصارى الذين قالوا ذلك..

عباد الله! اسمعوا السؤال الذي يُوجِّه إلى عيسى عليه السلام في أرض المحشر:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٩].

يا تُرى الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم صدقوا أم كذبوا؟ كذبوا والله، الذين قالوا: إن عيسى ابن الله صدقوا أم كذبوا؟ كذبوا والله. الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة صدقوا أم كذبوا؟ كذبوا والله. ويوم القيامة ينفع الصادقين صدقهم فيا ويلك أيها الكذاب، «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة**»(١).

عباد الله! بعد أن سأل الله عز وجل الرسل يتوجه إلى الأمم بالسؤال فيسأل كل أمة هل بلغكم هذا الرسول؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥]، يا معشر الأمم ـ وما من أمة إلا خلا فيها نذير ـ ماذا أجبتم المرسلين؟ ماذا قلتم لمحمد بن عبد الله ﷺ؟ هل عملت بسنته؟ هل تمسكت بسنته؟ هل سلكتم سبيله في الدنيا؟ أم أَنكم كنتم تضربون بسنته عرض الحائط؟!

قال رسول الله ﷺ: «**يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب. فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمتهُ فتشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله جل ذكره:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾»[1] [البقرة: ١٤٣].

عباد الله! ما من أمة إلا خلا فيها نذير، وستأتي كل أمة يوم القيامة مع رسولها فيسأل الله ﷻ الرُّسل ماذا أُجِبْتُم؟ ويسأل الله ﷻ الأمم ماذا أَجَبْتُم المرسلين؟ الموقف يوم القيامة عند هذه الأسئلة موقف عظيم، وموقف شديد، لا يعلمه إلا الله، وقد صور الله لنا هذا المشهد في كتابه العظيم في آخر سورة الجاثية يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: ٢٧ ـ ٣٥].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢١٧).

يا بني آدم: اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير، كلوا الربا، ضيعوا أوقاتكم على شاشات المفسديون، اقترفوا الزنا، اسمحوا لنسائكم بالتبرج، انشغلوا بالدنيا واتركوا الآخرة. قال ربنا في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[(١)].

ووالله يا ابن آدم ستقف بين يدي الله وستسأل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] فاعملوا ما شئتم، فالموت يأتي بغتة، وستندم يا ابن آدم في وقت لا ينفع فيه الندم، وتقول: يا ليتني قدمت لحياتي.

عباد الله! ثم بعد ذلك ماذا يحدث في أرض المحشر يوم القيامة؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللهم استرنا يوم تبلى السرائر

* * *

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).



مشاهد يوم القيامة

المشهد الثامن: «مشهد تطاير الصحف»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد السابع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**مشهد الأسئلة**».

وتبين لنا عباد الله أن الله ﷻ يوم القيامة يجمع الرسل فيسألهم: ماذا أُجبتم؟ ويقول للأمم التي أرسلوا فيها: ماذا أجبتم المرسلين؟ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧].

فتبين لنا عباد الله أن الأمر خطير يوم القيامة، فالله ﷻ يسأل الرسل فيقول سبحانه لكل رسول: هل بلغت ديني؟ ويقول لأمة هذا الرسول: هل بلغكم رسولي؟ كما قال رب العزة: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الثامن من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «مشهد تطاير الصحف».

عباد الله! الناس لا يزالون في أرض المحشر، زحام شديد، عرق غزير، أجساد الناس عارية، أبصار شاخصة، قلوبٌ واجفة، ينتظرون يا عباد الله متى يتقدمون للحساب وللجزاء.

عباد الله! وقبل أن يوقف الإنسان للحساب والجزاء لا بُدَّ أن يُؤْتىٰ كتابه الذي سُجِّلت فيه أعماله في هذه الحياة الدنيا.

فتعالوا بنا لننظر إلى مشهد تطاير الصحف كما صوره لنا ربنا في

كتابه، ولنستمع إلى أقوال الفريقين بعد أن أخذَ كل منهم كتابه، هذا بيمينه، وهذا بشماله من وراء ظهره، ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ١٣ ـ ٣٧].

وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: ٦ ـ ١٥].

ابن آدم!

مثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرض عُريانا ... مستوحشاً قَلِقَ الأحشاءِ حيرانا
والنار تلهبُ منْ غيظٍ ومنْ حنقٍ ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فهلْ ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأتَ ولم تُنكر قراءته ... إقرار مَنْ عرفَ الأشياءَ عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

ابن آدم! من الخطأ أن تظن أنك في هذه الدنيا تعمل ما شئت، وتقول ما شئت ثم تظن أنك تترك هكذا بلا رقابة، وبلا حساب، ولا عذاب، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]. لا والذي لا إله إلا هو، لقد وَكَّل الله بك ملائكة كراماً يعلمون ما تفعل، ويسجلون عليك ما تقول، ويكتبون عليك ما تفعل بدقة متناهية وقد أخبر الله بذلك في كتابه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٩، ٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٧ ـ ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

ابن آدم! يقول ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**»(١).

ملائكة كرام يكتبون، ويسجلون عليك ما تفعل، وما تقول بدقة متناهية لا يتركون صغيرة ولا كبيرة إلا سجلوها عليك، والله قد أخبرك بذلك في كتابه ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٠)، م: (٦٣٢).

ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾، أي في الكتب التي مع الملائكة ـ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

ابن آدم! قل ما شئت، وافعل ما شئت، فالله ﷻ يحصي عليك ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، ويوم القيامة إن وجدت خيراً فاحمد الله، وإن وجدت غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

ابن آدم! ملائكة يسجلون عليك بالليل والنهار. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، أنت تتكلم وهم يكتبون، أنت تعمل وهم يكتبون، أنت تكتب وهم يسجلون، ويوم القيامة ستندم يا من فعلت المعاصي في وقت لا ينفع فيه الندم. فاعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير.

عباد الله! لا تنسوا أننا في هذه الدنيا تحت رقابة شديدة، ملائكة كرام يسجلون علينا ما نقول وما نفعل، وهذا الكتاب الذي سجل فيه الملائكة كل ما فعلناه، إذا مات الواحد منا وانقطع عن هذه الدنيا طوي هذا الكتاب ووضع معه في عنقه في قبره ويوم القيامة يرد لك هذا الكتاب لتنظر فيه في أرض المحشر لتعلم ما عملت قبل أن توقف للحساب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، قال الحسن البصري رحمه الله وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧] يا ابْن آدم بُسِطَتْ لك صحيفةٌ، وَوُكِّلَ بكَ ملكان كريمان، أَحَدُهما عَن يمينك، والآخر عَنْ شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عَن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئتَ، أَقْلِلْ أو أَكْثِرْ، حتى إذا مِتَّ طُويت صحيفتك، وجُعلت في عنقك

معك في قبرك، حتى يخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾، ثم يقول: عدَل ـ واللهِ ـ فيك من جعلك حسيب نفسِك[١]. اقرأ يا ابن آدم ما عملت في يوم كذا، في مكان كذا، في ساعة كذا، عملت كذا، أتنكر يا ابن آدم؟! ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾ [المجادلة: ٦].

ولذلك يقول ربنا جل وعلا في الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[٢].

ابن آدم! يوم القيامة وأنت في أرض المحشر إذا أَخذت كتابك فلن تستطيع أبداً أن تغير فيه شيئاً، ولن تستطيع أن تبدل منه شيئاً ولا أن تمحو منه شيئاً لأن الله ﷻ يقول: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩]، ولكن الآن وأنت في هذه الدنيا في دار العمل تستطيع يا ابن آدم أن تبدل وأن تمحو، وأن تغير في كتابك. أتدرون كيف يكون ذلك يا عباد الله؟ يكون بالتوبة النصوح وبالرجوع إلى الله. فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة تجبُّ ما قبلها، فبالتوبة النصوح تستطيع أن تبدل في كتابك الأسود الذي ملأته بالمعاصي وأنت في هذه الدنيا، فهي دار العمل وتستطيع يا ابن آدم أن تمحو هذه السيئات بالإكثار من الأعمال الصالحة، فالحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين.

ابن آدم! أكثرْ من الأعمال الصالحة في دنياك لتمحو بها السيئات حتى لا تندم يوم القيامة على ما في صحيفتك من الأعمال السيئة، وإياك يا ابن آدم أن تملأ كتابك بالسيئات، فالصحيفة بيضاء وأنت الذي تملأها إما بالخير وإما بالشر فاعمل ما شئت.

---

(١) **صحيح**: تفسير الطبري (١١/ ٤١٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٥).

(٢) **صحيح**: صحيح: م: (٢٥٧٧).

عباد الله! حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتجهَّزوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❊ ❊ ❊



مشاهد يوم القيامة

المشهد التاسع: «مشهد الحساب والعرض على الله»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الثامن من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**مشهد تطاير الصحف**».

وتبين لنا عباد الله أن الناس في أرض المحشر إذا تطايرت الصحف انقسموا إلى قسمين: قسم يأخذ كتابه بيمينه ألا وهم السعداء ونسأل الله أن نكون منهم، وقسم يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره ألا وهم الأشقياء والمجرمون، وتبين لنا عباد الله أن كلّاً من الفريقين ينظر في كتابه، فالسعداء يفرحون بما وجدوا في كتبهم من الأعمال الصالحة، وأما الأشقياء والمجرمون إذا نظروا في كتبهم قالوا: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد التاسع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «مشهد الحساب والعرض على الله».

في هذا اليوم الذي أشرقت فيه الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء، ونصبت الموازين، والناس في أرض المحشر كلٌ قد أخذ كتابه ونظر فيه، وينتظر كل منهم الآن متى ينادى عليه للوقوف بَيْن يدي الله للحساب والجزاء قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٧﴾ [غافر: ١٧].

عباد الله! تعالوا بنا لننظر إلى مشهد الحساب والعرض على الله كما صوره لنا ربنا في كتابه ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ۖ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ١٦ ـ ٣٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١ ـ ١٥].

ويقول ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»[1].

عباد الله! قال الفضيل بن عياض لرجل: (كم مضى من عمرك؟ قال: ستون عاماً، قال الفضيل: فأنت منذ ستين عاماً تسير إلى ربك

---

(١) **صحيح**: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦).

يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟ تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فمن علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً)(١).

ابن آدم! هل تجهزت للإجابة على الأسئلة التي ستوجه إليك من قبل الجبار ﷻ يوم القيامة؟

ابن آدم! تخيل نفسك الآن في أرض المحشر، في هذا الزحام الشديد، في هذا الحر الشديد، وأنت تنتظر متى ينادى عليك للحساب وإذا بالملائكة الكرام تنادي: فلان ابن فلان فتعلم أنك أنت المطلوب، فتأخذك الملائكة للحساب، ملك عن اليمين يسوقك إلى الحساب، وآخر عن الشمال يشهد عليك أمام الله، أخذوك أيها المسكين وأنت ضعيف بين أيديهم لا حول لك ولا قوة.

كما قال ربنا: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢١، ٢٢]، عندها يقول الإنسان: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾، فيقال له: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة: ١١ - ١٤].

ابن آدم! مَثِّل نفسك الآن وأنت بين يدي الله يقال لك:

اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فهل ترىٰ فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرارَ مَنْ عرف الأشياءَ عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا

أمة الإسلام! استيقظوا فقد آن الأوان، فالموقف خطير، والسؤال دقيق، والحساب إما يسير وإما عسير.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع من خلال الكتاب والسنة إلى كيفية

---

(١) حل: (٨/ ١٣٣).

حساب المؤمن ليستبشرَ المؤمنون بذلك ويزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

يقول الله ﷻ مبشراً عباده المؤمنين في كتابه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

ويقول ﷺ: «**إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب: حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطي كتاب حسناته...**»(١)، فيرجع إلى أهل الموقف فرحاً مستبشراً مسروراً يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤].

عباد الله! وأما الكافر والمجرم فيوقفه الله ﷻ على رؤوس الأشهاد، لا يستره ولا يحجبه وذلك ليفتضح أمره ثم يقول الله ﷻ للكافر: «أي عبدي عملت يوم كذا، كذا وكذا، فيقول الكافر: وعزتك وجلالك يا رب ما عملته، ويظن المسكين أنه يستطيع أن يكذب كما كان يكذب في الدنيا ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٨﴾ [المجادلة: ١٨].

يا عبدي عملت يوم كذا، كذا وكذا؟ فيقول: وعزتك وجلالك يا رب ما عملته، فيقول الله ﷻ: عبدي من يشهد عليك؟ فيقول الكافر والمجرم: لا أرضى على نفسي شهيداً إلا منها(٢). يريد الكافر والمجرم أن يجيب هو عن نفسه، وظن المسكين أنه عندما يُسأل هل فعلت كذا؟ فسيقول: لا والله يا رب فينجو كما كان يكذب في الدنيا وحينذاك يصدر الأمر الإلهي من الجبار تبارك وتعالى للسانه بأن لا يتكلم ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾ [يس: ٦٥] فتنطق

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٣٠٩)، م: (٢٧٦٨).

(٢) يشير إلى حديث عند م: (٢٩٦٩).

الأيدي، والأفخاذ، والأرجل، والسمع، والبصر، الكل يشهد بما عمل ثم يخلي ربنا جل وعلا بين هذا الكافر والمجرم وبين جوارحه فيقول المجرم لجوارحه: لِمَ شهدتم علينا؟ قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ١٩ ـ ٢٤].

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]، وقد تبين لكم يا عباد الله كيف يحاسب ربنا جل وعلا المؤمن، وكيف يحاسب ربنا جل وعلا الكافر والمجرم.

فيا عباد الله! هنا سؤال لعله يدور في الأذهان ألا وهو، هل يُسأل الكفار وهل يحاسبون أم أَنهم سيؤخذ بهم من أرض المحشر إلى جهنم وبئس المصير؛ لأن أعمالهم حابطة ولأنه ليس بعد الكفر ذنب؟

اختلف العلماء في هذه المسألة:

● فمنهم من قال: الكفار لا يُسألون ولا يحاسبون بل يؤخذ بهم من أرض المحشر إلى النار لأنه ليس بعد الكفر ذنب، ولأن أعمالهم حابطة فلا فائدة من السؤال عنها، واستشهدوا على قولهم هذا بقول ربنا جل وعلا: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

● وفريق آخر من العلماء قالوا: الكفار يسألون ويحاسبون لأن الله ﷻ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ﴾ [غافر: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]، كما وأخبرنا ﷻ أن الإنسان يوزن في

الميزان مع أعماله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩].

والصحيح يا عباد الله أن الكفار يسألون ويحاسبون.

وهناك ثمة سؤال آخر وهو: لماذا يسألون ويحاسبون وأعمالهم حابطة؟

والإجابة على هذا السؤال هي:

أولاً: لأن الله ﷻ يريد أن يقيم الحجة على عباده في الدنيا والآخرة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

فهم إذا دخلوا النار اعترفوا بذنوبهم، قال تعالى عنهم: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

ثانياً: يكون السؤال لتوبيخهم وتقريعهم أمام الخلائق يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: ٣٠].

ثالثاً: لأن الكفار مطالبون بأصول الشريعة وبفروعها، كما قال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧]، فيحاسبهم الله ﷻ على كفرهم، وعلى تركهم للصلاة والزكاة وعلى غير ذلك.

رابعاً: يحاسبهم الله ﷻ ويسألهم لأن النار دركات بعضها تحت بعض، كما أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، فكما أن أهل الجنة يدخلون الجنة ويرتفعون فيها بأعمالهم الصالحة، فكذلك أهل النار يدخلون النار وينزلون في دركاتها بحسب أعمالهم السيئة، فهناك من هو

كافر فقط، وهناك من هو كافر وصادٌ عن سبيل الله، وهناك من كفر وتحدى دين الله، فكلٌ يوضع في درجته المناسبة من العذاب الأليم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]، فهناك من الكفار من يكون في الدرك الأسفل، وهناك من يكون دون ذلك عذاباً.

● أما معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، قالوا: لا يسألهم الله سؤال رحمة، ولا سؤال شفقة، إنما يسألهم سؤال توبيخ وتقريع.

● وقالوا: الناس في أرض المحشر ينتقلون من شدة إلى شدة، ومن موطن إلى موطن، فالله يسألهم في مكان ولا يسألهم في مكان آخر.

عباد الله! من هو أول من يقضى عليه يوم القيامة؟ هذا ما سنعرفه ـ إن شاء الله تعالى ـ في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

اللهم ثبتنا على الإيمان حتى نلقاك





مشاهد يوم القيامة

المشهد العاشر: «محاسبة المرائين»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد التاسع من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**مشهد الحساب والعرض على الله**».

وتبين لنا عباد الله أن الناس يوقَفون بيْن يدي الله للحساب والجزاء، وقلنا: بأنه ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة.

وقلنا: إن المؤمن إذا أُوقف للحساب وللجزاء فإن الله ﷻ يستره عن الخلائق حتى إذا قرره بذنوبه قال له: عبدي سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيأخذ كتاب حسناته ثم يخرج إلىٰ الناس فيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٢] .

أما الكافر يا عباد الله فقلنا: بأنه إذا أوقفه الله ﷻ للحساب لا يستره عن الخلائق حتى يفتضح أمره، فإذا حاسبه الله ﷻ قال: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٧] .

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد

العاشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «**محاسبة المرائين**»، أتدرون من هم المراءون يا عباد الله؟ إنهم أولئك الذين لم يبتغوا بأعمالهم وجه الله، إنهم أولئك الذين عملوا من أجل الناس، إنهم الذين تصدقوا ليقال عنهم: كذا وكذا، إنهم الذين صلوا ليراهم الناس، إنهم الذين تعلموا ليقال عن أحدهم: عالم، إنهم الذين قرءوا القرآن ليقال عن أحدهم: قارىء، وهم كثيرون في هذا الزمان.

عباد الله! أخبرنا ﷺ أن أول من يقضي عليه من الناس يوم القيامة هم المراءون، فهم أول من تسعَّر بهم جهنم، يقال للمرائي يوم القيامة: يا مرائي يا غادر، يا فاجر، يا خاسر، اذهب إلى الذي كنت ترائي له فخذ أجرك من عنده فلا أجر لك عندنا اليوم.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى محاسبة المرائين يوم القيامة كما أخبرنا بها رسولنا ﷺ.

يقول ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرّفه نِعمَته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار**»(١).

---

(١) صحيح: م: (١٩٠٥).

فالويل لك أيها العالم إذا تعلمت لغير الله، وويلك أيها العالم إذا عملت لغير الله، وويلك يا طالب العلم إذا حفظت القرآن ليقال عنك: قارىء، أو تعلمت ليقال عنك عالم.

عباد الله! أول من تسعر بهم النار، وأول من يقضى عليهم يوم القيامة شهيد وعالم، وكريم، عندما روى أبو هريرة ﵁ هذا الحديث أغمي عليه ثلاث مرات، كان كلما همَّ أن يحدث أغمي عليه حتى إذا أفاق ومسح عن وجهه أغمي عليه مرة أخرى من شدة ما في هذا الحديث من الهول قال أبو هريرة ﵁ عندما حدثني رسول الله ﷺ بهذا الحديث ضرب على ركبتي وقال: «**يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة**»(١).

• (ودخل رجل على معاوية ﵁ فلما حدثه بهذا الحديث بكى معاوية ﵁ بكاءً شديداً وقال: قد فُعِلَ بهؤلاء الثلاثة هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى حتى إذا أفاق مسح عن وجهه وقال صدق الله ورسوله، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾)(٢) [هود: ١٥، ١٦].

أيها المسلم! أتقرأ هذه الآية: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها، أي: من كان يريد بخُطْبته، من كان يريد بكلامه، من كان يريد بعلمه، من كان يريد بما حفظ من القرآن الدنيا، ـ وأن تكتب عنه الصحف ـ فأولئك نوف لهم أجورهم، أي: في الدنيا، أما في الآخرة: أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٨٢)، خز: (٢٤٨٢)، حب: (٤٠٨)، ك: (١/ ٥٧٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٢)].

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٨٢)، خز: (٢٤٨٢)، حب: (٤٠٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٢)].

عباد الله! الرياء جريمة عظيمة يرتكبها الإنسان في حق نفسه، وهو مرض قلبي خطير لا يسمع بالآذان، ولا يرى بالعين، ولا يحس بالأنامل، حتى إنه ليكاد يخفى على صاحبه.

● والرياء مأخوذ من الرؤية ـ أي: أن الإنسان عندما يقوم ويعمل لا يريد بعمله وجه الله، إنما يريد بعمله أن يراه الناس.

● والرياء من شيم المنافقين، قال ـ تعالى ـ: **﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾** [النساء: ١٤٢].

● الرياء من شيم الكفرة والظلمة والجبابرة والمتكبرين أيضاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

● الرياء يحبط الأعمال، قال ـ تعالى ـ: **﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ﴾** [البقرة: ٢٦٤]. من أجل ذلك حذر الإسلام من الرياء، فالله ﷻ يتوعد المرائين في كتابه، فيقول: **﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾** [الماعون: ٥ ـ ٧].

ويقول ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله** ﷻ **لهم يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟**»(١).

ويقول ﷺ: «**أيها الناس، إياكم وشرك السرائر**» قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ فقال: **يقوم الرجل فيصلي فيُزيِّن صلاته جاهداً لما يرى**

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٤٢٨)، طب: (٤/٢٥٣)، هب: (٥/٣٣٣)، [«ص.ج» (١٥٥٥)].

من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر»[١]. فإن أحدهم يقوم يصلي فيزين صلاته جاهداً، ويخشع في صلاته لما يرى من نظر الناس إليه، ويل لك أيها المسلم إن كنت تخشع في الصلاة من أجل الناس! أتنتظر الأجر منهم؟! إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، فٱبتغِ بعملك وجه لله.

ويقول ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»[٢]، ويقول ﷺ: «**ما من عبدٍ يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**»[٣]، فكونوا من الرياء على حذر.

عباد الله! المراءون أول من يقضى عليهم يوم القيامة، المراءون أول من تسعر بهم جهنم يوم القيامة، المراءون يفضحهم الله ﷻ يوم القيامة على رؤوس الخلائق، المراءون لا يجدون لهم ثواباً عند الله يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، يقال للمرائين يوم القيامة: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم هل تجدون عندهم جزاء؟ لن يجدوا لأنفسهم جزاءً عند الله ولا عند الذين راءوا لهم في الدنيا، وذلك يا عباد الله لأن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما توفر فيه شرطان اثنان.

فاحرص يا ابن آدم على أن يقبل منك العمل عند الله، واعلم أن العمل لا يقبل عند الله يوم القيامة إلا إذا توفر فيه شرطان اثنان:

الشرط الأول: الإخلاص لله في العمل:

لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]،

---

(١) **حسن**: خز: (٩٣٧)، ش: (٢/ ٢٢٧)، هب: (٣/ ١٤٤)، هق: (٢/ ٢٩٠)، [«ص.غ.هـ» (٣١)].

(٢) **حسن**: هـ: (٤٢٠٤)، [«ص.ج» (٢٦٠٧)].

(٣) **صحيح لغيره**: طب: (٢٠/ ١١٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٨)].

وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

الشرط الثاني: موافقة السنة:

لأن الله ﷻ قال: ﴿**وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ**﴾ [التغابن: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ**﴾ [الحشر: ٧]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢)، وقد جمع الله ﷻ بين هذين الشرطين في آخر سورة الكهف، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ١١٠**﴾ [الكهف: ١١٠]، أي: موافقاً لما جاء به النبي ﷺ وخالصاً لله تعالى. فيا إخوة الإسلام عليكم بالإخلاص فهو سر النجاح في الدنيا والآخرة، وإياكم والرياء فهو سبب لكل شر في الدنيا والآخرة.

واعلموا عباد الله: أن العمل من أجل الناس رياءٌ، وترك العمل من أجل الناس رياءٌ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

واعلموا عباد الله: أن هناك ميزاناً تستطيع أن تزن به المرائي، فالمرائي: يزيد في العمل إذا رأى الناس، ويقلل من العمل إذا غاب عنه الناس، فهو يعمل من أجل الناس، ولا يعمل من أجل الله، أما المخلص: فهو يعمل إذا رآه الناس، وإذا لم يروه، فهو يطلب العلم ويعمل به، ويعبد الله ﷻ سواء رآه الناس أم لم يروه، لأنه يبتغي بذلك وجه الله.

فيا إخوة الإسلام! كونوا من الرياء على حذر، وإياكم والرياء، فالمرائي يفضح يوم القيامة، ويقلب كفيه على أعماله؛ لأنه لم يجد لها

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤)، م: (١٩٠٧).

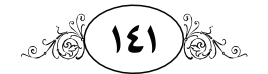
(٢) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

ثواباً، ويندم في وقت لا ينفع فيه الندم ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن ينجينا وإياكم من الرياء وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل





مشاهد يوم القيامة

المشهد الحادي عشر:
«مشهد المحاسبة على الصلاة»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد العاشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو «حساب المرائين»، وتبين لنا عباد الله أن المرائين يوم القيامة هم أول من يقضى عليهم، وأنهم أول من تسعَّر بهم جهنم.

وقلنا: إنه يجب على العاقل أن يخلص في عمله لله لأن الإخلاص هو سر النجاح في الدنيا والآخرة.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الحادي عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «مشهد المحاسبة على الصلاة»**.

عباد الله! إن أول ما يُسْأَلُ عنه العبد يوم القيامة من أعماله الصلاة. فإذا وقف العبد بين يدي الجبار، فإن أول ما يُسأَلُ عنه الصلاة، الصلاة التي ضيعها كثير من المسلمين في هذا الزمان، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، يخبرنا بذلك رسول الله ﷺ فيقول: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**»(١).

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٤١٣)، ن: (٤٦٥)، هـ(١٤٢٥)، حم: (٢/ ٤٢٥)، ك: (١/ ٣٩٤)، ش: (٧/ ٢٧٦)، هب: (٣/ ١٨٢)، [«ص.غ.هـ» (٥٤٠)].

عباد الله! إذا وقف العبد بين يدي الجبار سبحانه وتعالى ليس بينه وبينه ترجمان، فأول شيء يُسأَلُ عنه الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، أتدرون لماذا أفلح وأنجح يا أمة الإسلام؟ لأنه سيذهب بعد هذا الحساب إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ أي: قد تحقق الفلاح للمؤمنين الذين من أولى صفاتهم: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ وفي ذكر آخر هذه الصفات: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

أما إذا فسدت الصلاة فقد خاب وخسر، أتدرون لم يا أمة الإسلام؟ لأن هذا سيذهب بعد الحساب إلى نار حامية كما أخبرنا ربنا جل وعلا فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

عباد الله! هذه آية في كتاب ربنا تقرءونها وهي تُخْبِرُ أن من أسباب دخول النار ترك الصلاة وفيكم من ترك زوجته لا تصلي، وفيكم من ترك أولاده لا يصلون وانشغل: بجمع حطام الدنيا فهو يربيهم ليكونوا حطباً لجهنم.

يا من تعلمون أولادكم فن جمع المال، علموهم كيف يصلون، فلو أن النار اشتعلت في ولدك أمامك لأقمت الدنيا وأقعدتها، ولكنك تعلم علم اليقين أنه إذا مات تاركاً للصلاة فهو إلى جهنم يشتعل فيها كلما نضج جلده أُبدل غيره، ومع ذلك كم منا ترك أولاده ولم يعلمهم الصلاة، ولم يأتِ بهم حتى إلى دروس العلم ليتعلموا كيف يصلون.

واللهِ الذي لا إله غيره ولا رب سواه من مات تاركاً للصلاة فهو إلى النار، يقول عز وجل: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾، واعلموا ـ عباد الله ـ أن مَنْ تركها جحوداً لها وإنكاراً لفرضيتها فهو كافرٌ

خارج عن ملة الإسلام مخلَّدٌ في النار، أما من تركها تكاسلاً وهو يقرُّ بفرضيتها فهو على خطر عظيم، فإن مات على التوحيد فهو في مشيئة الله.

عباد الله! من أراد أن يكون من المفلحين في الدنيا والآخرة فعليه أن يحافظ على الصلاة:

١ ـ لأن الله أمره بالمحافظة عليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

٢ ـ لأن الصلاة تجارة رابحة: يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩]، يا من انشغلوا بالتجارة عن الصلاة في المسجد في جماعة، إن الصلاة هي التجارة الرابحة حقاً.

٣ ـ حافظوا على الصلاة؛ لأن الصلاة تمحو الذنوب والخطايا: يقول ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فذلك مثلُ الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»[(١)].

٤ ـ حافظوا على الصلاة؛ لأن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٥ ـ حافظوا على الصلاة، لأن الصلاة سبب للتمكين في الأرض، وسبب لنصر الأمة، وأتعجب لأمة تُريدُ نصر الله وقد ضيعت الصلاة!! اذهبوا إلى دور السينما فستجدوا الذين يخرجون منها أكثر من الذين يخرجون من الصلاة! اذهبوا إلى مناطق اللهو واللعب فستجدوا الذين يعكفون فيها على شهواتهم أكثر من الذين يحافظون على الصلاة! ثم بعد ذلك تجدهم هم أنفسهم في المجالس يقولون: متى نصر الله؟!

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠٥)، م: (٦٦٧).

أمة تركت الصلاة لا خير فيها، أمة تركت صلاة الجماعة لا نصر لها، يقول ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»(١) ويقول ربنا جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

٦ ـ حافظوا على الصلاة؛ لأنها سبب لنزول الرحمة على العباد: يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]، أما إن تركوا الصلاة والزكاة، وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الله ﷻ سيحرمهم رحمته.

٧ ـ حافظوا على الصلاة فهي سبب لزيادة الرزق، يقول الله ﷻ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

فيا من تركوا الصلاة من أجل جمع الأموال وقالوا السعي على الرزق عبادة! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، لو كان سعيك على الرزق عبادة لصدقت في ذلك ولعبدت الله الذي يرزقك لأنك إذا صليت رزقك الله بأهون الأسباب الشرعية، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فإذا كان يا أمة الإسلام ترك الصلاة تقوى لله فاتركوا الصلاة واسعوا على رزق الأولاد، وإن كانت المحافظة على الصلاة من تقوى الله ﷻ فحافظوا على الصلاة يرزقكم الله.

واعلموا عباد الله أن رسولنا ﷺ أخبرنا أن الله ﷻ أنزل المال ورزقنا المال لا لنضيع الصلاة، ولكن لنقيم الصلاة ونؤتي الزكاة. قال ﷺ:

---

(١) **صحيح**: ن: (٣١٨٧)، هق: (٣/ ٣٤٥)، حل: (٥/ ٢٦)، [«ص.غ.هـ» (٦)].

«**إن الله ﷻ قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**»(١).

٨ ـ حافظوا على الصلاة؛ لأنها تجمعكم مع رسول الله في الجنة: عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال ﷺ: «**فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود**»(٢)، أي: عليك بكثرة الصلاة.

٩ ـ حافظوا على الصلاة لتكونوا من أهل الجنة: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١]، وقال ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً، كلما غدا أو راح**»(٣).

ويقول ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(٤).

عباد الله! أول ما نُسأَل عنه يوم القيامة أمام الله الصلاة؛ فإن صلحت فقد أفلحنا وأنجحنا.

وهنا سؤال مهم:

ما هي هذه الصلاة التي من صلاها أفلح وأنجح في الدنيا والآخرة؟

هل هي التي نراها من كثير من الناس ينقرونها نقر الدِّيكة؟

هل هي صلاة الذين لا يصلون إلا في يوم الجمعة؟

هل هي صلاة الذين تركوا صلاة الجماعة؟ هل هي صلاة الذين يصلون بوضوء عجيب؟

هل هي تلك الصلاة التي يصليها أحدهم بسرعة متناهية؟

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٢١٨)، طب: (٣/٢٤٧)، طس: (٣/٥١)، هب: (٧/ ٢٧٢)، [«ص.ج» (١٧٨١)].

(٢) **صحيح**: م: (٤٨٩).

(٣) **صحيح**: خ: (٦٣١)، م: (٦٦٩).

(٤) **صحيح**: ت: (٢٤٨٥)، هـ (٣٢٥١)، حم: (٥/٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ش: (٧/٢٥٧)، ك: (٤/١٧٦)، [«ص.غ.هـ» (٦١٦)].

لا يا عباد الله، الصلاة التي تجعلك من المفلحين، والتي يجبُ عليك أن تتعلمها هي:

أولاً: ما كنت صليتها ابتغاء مرضاة الله؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ويقول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»(١).

أما الذين يصلون حتى تُصورهم الكاميرات وكأنهم يقولون للناس: ها نحن نصلي، ها نحن نحافظ على الصلاة، ولا يبتغون إلا وجه الناس ولا يريدون بذلك وجه الله بل وربما صلوا بدون وضوء، فهؤلاء قد اتصفوا بصفات المنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً، فهؤلاء مع أنهم صلوا إلَّا أنهم في الدرك الأسفل من النار. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

ثانياً: هي الصلاة التي تصليها بوضوء صحيح، وبخشوع لله ﷻ. يقول ﷺ: «**ما من امرئٍ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها، ورُكوعها، إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم يَأْتِ كبيرة وذلك الدهر كله**»(٢). أما إن صلاها بوضوء باطل فصلاته باطلة، يقول ﷺ: «**لا صلاة لمن لا وضوء له**»(٣)، وكم من الناس يصلون بوضوء عجيب!

فعن عمر بن الخطاب: (أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي ﷺ فقال: «**ارجع فأحسن وضوءك**» فرجع ثم صلى)(٤)، فكم من الناس من عَرَضَ وضوءه على العلماء حتى يعلم أنه يتوضأ وضوءاً

---

(١) **صحيح**: خ: (١)، م: (١٩٠٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٢٨).

(٣) **صحيح**: د: (١٠١)، هـ: (٣٩٨)، حم: (٢/٤١٨)، ك: (١/٢٤٥)، قط: (١/٧٢)، طب: (٦/١٢١)، ع: (١١/٢٩٣)، ش: (١/١٢)، [«ص.ج» (٧٥١٤)].

(٤) **صحيح**: م: (٢٤٣).

صحيحاً؟ هل تعلمتم اليوم من المفسديون كيف تصلون؟ أم هل تعلمتم من المفسديون يوماً كيف تتوضئون؟ هل تعلمتم يوماً من المفسديون أحكام الحيض والنفاس؟ لا، إذاً لا بد أن تأتي إلى المسجد مهما كنت وزيراً أو حاكماً، أو كبيراً أو صغيراً، وعليك أن تتواضع لله ﷻ وتتعلم لتعبد الله على علم.

ثالثاً: أن تكون أديت الصلاة بالكيفية التي أداها الرسول ﷺ لقوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١).

رابعاً: أن تصلى الصلاة بطمأنينة في ركوعها وسجودها وقيامها؛ لأن الرسول ﷺ قال للرجل الذي أسرع في صلاته: «**ارجع فصلِ فإنك لم تصل**»(٢).

خامساً: أن تصلى الصلاة في وقتها، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، فيا من يؤخرون الصلاة عن وقتها اعلموا عباد الله كما أنه لا يجوز لك أن تصلي الصلاة قبل دخول وقتها، فلا يجوز لك أن تؤخر الصلاة حتى يخرج وقتها إلا من عذر شرعي. فلما سُئل ﷺ عن أفضل الأعمال قال: «**الصلاة لوقتها...**»(٣).

سادساً: الصلاة التي تصليها في المسجد في جماعة، فصلاة الجماعة واجبة والمتخلف عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعي آثِمٌ مرتكب لكبيرة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣] وقال ﷺ: «**من سمع النداء فلم يأتِهِ فلا صلاة له إلا من عذر**»(٤)، والتخلف عن صلاة الجماعة من شيم المنافقين قال ﷺ: «**ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٦٢).
(٢) **صحيح**: خ: (٧٢٤)، م: (٣٩٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٧٠٩٦)، م: (٨٥).
(٤) **صحيح**: هـ: (٧٩٣)، حب: (٢٠٦٤)، ك: (١/ ٣٧٣)، قط: (١/ ٤٢٠)، طب: (١١/ ٤٤٦)، هق: (٣/ ١٧٤)، [«ص.غ.هـ» (٤٢٦)].

لأتوهما ولو حبواً»(١).

ويقول ابن مسعود: (من سرَّهُ أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنه ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف)(٢).

فاحذروا يا من ضيعتم صلاة الجماعة، واحذروا يا من ضيعتم صلاة الفجر، كيف تستقبلون الله ﷻ بيوم ضيعتم فيه صلاة الجماعة؟!

عباد الله! الصلاة هي أول شيء نُسْأَل عنه يوم القيامة أمام الجبار، فاستعدوا لهذا السؤال وأعدوا له جواباً.

واعلموا يا عباد الله أن من صلحت صلاته فقد أفلح وأنجح، وأن من فسدت صلاته فقد خاب وخسر، وذلك هو الخسران المبين.

والله ﷻ يحذر الذين انشغلوا بالدنيا عن الصلاة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

وحذر ربنا جل وعلا الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون: ٤، ٥].

عباد الله! حافظوا على الصلاة استجابةً لأَمر الله ولأمر رسوله ﷺ.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يجعلني وإياكم من المحافظين على الصلاة

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٢٦)، م: (٦٥١). (٢) **صحيح**: م: (٦٥٤).



مشاهد يوم القيامة

المشهد الثاني عشر: «مشهد السؤال عن النعم»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الحادي عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «مشهد السؤال عن الصلاة».

وتبين لنا عباد الله أن العبد إذا عُرض على ربه للحساب ووقف بين يديه، ليس بينه وبينه ترجمان فإن أول ما يُسأل العبد عنه هو الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر.

● وقلنا يا عباد الله: إنه أفلح وأنجح لأنه خرج من الحساب إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض كما أخبرنا ربنا جل وعلا في كتاب، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ إلى أن قال رب العزة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١]، أما الذين ضيعوا الصلاة، أما الذين تركوا الصلاة فقد خابوا وخسروا، وذلك يا عباد الله لأنهم يخرجون من الحساب إلى نار حامية كما أخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه.

قال تعالى عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٣].

● واعلموا عباد الله أن تارك الصلاة الجاحد لها المنكر لفرضيتها كافر خارج عن ملة الإسلام، إذا مات لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في قبور المسلمين، بل يسحب من رجليه ويدفن في الصحراء كما يُفْعل بالدواب.

• أما من ترك الصلاة وهو مؤمن بها، ومعتقد بأنها فرض من الله ولكنه تركها تكاسلاً فهو على خطر عظيم، وهو على شفا جرف هار، فإن لم يتب فسيندم في وقت لا ينفع فيه الندم، هذا الذي يقر بالصلاة وتركها كسلاً إِنْ مات على التوحيد فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الثاني عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «مشهد السؤال عن النعم».**

عباد الله! اعلموا أن النعم التي تتقلبون فيها بالليل والنهار هي من الله وحده كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

• واعلموا عباد الله أن نعم الله عليكم كثيرة وكثيرة جداً، كما قال رب العزة: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

• واعلموا أن الله أنعم عليكم هذه النعم، وأمركم أن تشكروه عليها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل: ١١٤].

• واعلموا عباد الله أن الله عز وجل وعدكم في كتابه بأنكم إذا شكرتم هذه النعم زادكم منها وأبقاها لكم، وإن كفرتم بهذه النعم أبادها من أيديكم وعذبكم عذاباً شديداً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَـٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

فالجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً.

ابن آدم:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعْهَا ... فإنَّ المَعَاصي تُزيلُ النِّعَمْ

وحافظْ عليها بشكرِ الإلٰهِ   فإنَّ الإلهَ شديدُ النِّقَمْ

عباد الله! إعلموا أنكم إذا رجعتم ووقفتم بين يدي الله يوم القيامة للحساب والجزاء فسيسألكم ربكم عن كل هذه النعم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٤]، أي: عن كل شيء، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر: ٩٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ١ ـ ٨].

ويقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عُمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[1].

عباد الله! الفراغ والعمر نعمة تُسأل عنها يوم القيامة، الصحة نعمة تُسأل عنها يوم القيامة، المال الذي بين أيدكم نعمة تسألون عنه يوم القيامة، العلم نعمة تُسأل عنه يوم القيامة.

ابن آدم! إذا علمت أنك لله عبد، وأنك إليه راجع فاعلم أنك موقوف ـ أي بين يدي الله للحساب وللجزاء ـ وإذا علمت أنك موقوف فاعلم أَنك مسئول وإذا علمت أنك مسئول فأعدَّ للسؤال جواباً، عباد الله فليتصور كلٌ منا نفسه الآن وهو في أرض المحشر، وقد نودي عليه للحساب وللجزاء وكأني بالملائكة وقد أخذتك وقدمتك للوقوف بين يدي الله فسألك ربك يا ابن آدم عن عمرك في هذه الدنيا أين قضيته؟ أيستطيع كل منا أن يجيب يا عباد الله؟ كل منا يعرف أين يقضي وقته: أمام شاشات المفسديون أم في القيل والقال، أم في دور السينما، أم في

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، طب: (٢٠/ ٦٠)، ع: (١٣/ ٣٥١)، بز: (٤/ ٢٦٦)، ش: (٧/ ١٢٥)، [«ص.غ.هـ» (١٢٦)].

أماكن اللهو واللعب، أم في الغيبة والنميمة، أم في الإفساد بين الناس، أم في الذهاب إلى بلاد الكفر، أم في الليالي الحمراء، كل منا يعرف أين يقضي وقته.

• ***عباد الله!*** مر رجل من الصالحين على مقهى فرأى مَنْ جلسوا بها وهم يلعبون ويلهون، فقال: لو كانت الأوقات تُشترى بالذهب لاشتريت أوقات هؤلاء. الوقت، العمر، الشباب سنُسأل عن العمر عامة، وعن فترة الشباب خاصة، لأنها هي الفترة الذهبية في عمر الإنسان.

فانظروا إلى شباب المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ كيف يقضون أوقاتهم وشبابهم، شباب تشبهوا في لباسهم وأشكالهم بالكفار وتراهم يضيعون أوقاتهم على نواصي الشوارع وفي الأزقة يطاردون النساء هنا وهناك، فهل هؤلاء هم الشباب الذين تنتظرون أن يحرروا الأقصى؟! هل هذا هو الشاب المسلم يا عبادَ الله؟ هل فيهم أحد كأسامة بن زيد الذي قاد جيشاً حين كان عمره سبعة عشر عاماً؟ تصور أيها الشاب أنك قد وقفت بين يدي ربك يسألك عن هذا العمر، وعن هذا الشباب أين قضيته؟ أجب يا ابن آدم، كلٌّ منا سيموت ويسأل عن عمره فيما أبلاه، فيما أفناه، أجب! أيها المسلمون أعدوا للسؤال جواباً، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، استيقظوا قبل أن تندموا، الوقت، العمر، الصحة هذا رأس مالك فإذا ضاع الوقت في معصية الله، وذهبت الصحة في معصية الله فمتى تعبد ربك؟ متى تصلي؟ متى تصوم؟ متى تقرأ القرآن؟ متى تتعلم؟ متى تصلح بين الناس، متى تأمر بالمعروف ومتى تنهى عن المنكر؟ متى؟ بعد الموت!؟ لا عمل بعد الموت فقد انتهى وقت العمل وجاء وقت الحساب، أنت الآن في دار العمل ولذلك فالعاقل من ٱتعظ بغيره، والله ﷻ ـ حتى لا يكون للناس عليه حجة يوم القيامة ـ بيَّن لنا حال المفرِّطين، فهذا مفرط يندم عند الموت، ومفرط يندم يوم القيامة، ومفرط يندم على أبواب جهنم، ومفرط يندم داخل جهنم ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

● فاسمعوا ماذا يقول هذا المفرط الذي ضيع وقته في القيل والقال، وفي معصية الله حتى نزل به الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩]، انظروا إلى هذا الذي بلغت روحه الحلقوم، وكأنكم تسمعونه يقول: رب ارجعون، رب ارجعون، رب ارجعون، لم يا عبد الله؟ لعلي اعمل صالحاً فيما تركت، كلا، أتريد أن ترجع إلى الدنيا! إنك منها جئت أيها الكذاب، ثم تقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً، لعلي أقول: سبحان الله، لعلي أصلي ركعتين، لعلي أحافظ على صلاة الجماعة، لعلي أحضر درساً علمياً، لعلي أحفظ آية من كتاب الله، واللهِ كل مفرط سيقول ذلك عند الموت، فاتعظ يا عبد الله واعتَبر نفسَك الآن في فراش الموت تقول: رب ارجعون، ويقال لك: كلا، ثم أحمد الله أنك ما زلت في دار الدنيا تستطيع أن تستعتب، وأن تتوب، تستطيع أن ترجع إلى ربك قبل أن ينزل بك ملك الموت، فسارع بالتوبة يا عبد الله.

● وهذا مفرط يندم يوم القيامة في وقت لا ينفع فيه الندم: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، فحياتنا هذه ليست هذه هي الحياة! الحياة الحقيقية في الآخرة إما في دار النعيم، وإما أبدية في دار الجحيم، إما جنة وإما نار.

ابن آدم: يقول الإنسان يوم القيامة: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، فتخيل أن هذا حالك في أرض المحشر، تقول: يا ليتني قدمت لحياتي، واتعظ اليوم وأنت في دار العمل وتب إلى الله.

● وهذا مفرط على أبواب جهنم يتمنى أن يرجع إلى الدنيا: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧].

● وهذا مفرط بل كل أهل النار ممن قد فرطوا في جنب الله، اسمع ماذا يقولون، قال تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ

عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

أي: لقد جاءتكم الرسل وسمعتم المواعظ، ثم أنتم اليوم تريدون الخروج مِنَ النار لتعملوا صالحاً!! هيهات، هيهات قد فات الأوان.

فهل لا يزال كثير من الناس يسمعون وكأنهم لا يسمعون، وكأن هذا الكلام ليس لهم؟!.

ابن آدم! الموت يأتي بغتة، وأنت في هذه الدنيا خلقت لعبادة الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

أنت اليوم أقرب للموت من الجمعة الماضية، وفي الجمعة القادمة ستكون أقرب إلى الموت من هذه الجمعة، لذلك فانتبه، استيقظ، وتزود من عمرك للمعاد، تزود واْجمع خير زاد.

تَزَوَّدْ مِنْ مَعَاشِكَ لِلْمَعَادِ   وَقُمْ للهِ وَاجْمَعْ خَيْرَ زَادِ
ولا تجمعْ مِنَ الدنيا كثيراً   فإنَّ المالَ يُجْمَعُ للنفادِ
أترضىٰ أن تكون رفيقَ قومٍ   لهم زاد وأنتَ بغيرِ زادِ

ابن آدم!

العمر ينقضي والأيام تمر، والموت يأتي بغتة فمتى تتزود؟

نسير إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ   وأيامُنا تُطوى وهنَّ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقا كأنه   إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ
ترحل من الدنيا بزادٍ منَ التقى   فعمرُكَ أيامٌ وهنَّ قلائِلُ

ابن آدم!

تزودْ منَ التقوى فإنك لا تدري   إذا جَن ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ

فكمْ منْ صحيح ماتَ منْ غير علةٍ وكمْ من عليل عاشَ حيناً منَ الدهرِ
وكم من صغار يُرتجى طولُ عمرهم وقد أدخلت أجسادُهم ظلمةَ القبرِ
وكم من فتىً يُمسي ويصبحُ ضاحكاً وقد نُسِجَتْ أكفانَه وهوَ لا يدري
وكم منْ عروسٍ زينوها لزوجها وقدْ قُبضَت أرواحُهُم ليلةَ القدرِ

ابن آدم! يقول لك رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(١). اليوم حياة، وغداً موت، اليوم صحة وغداً مرض، اليوم فراغ وغداً شغل، اليوم شباب وغداً شيخوخة، اليوم غنىً وغداً فقر، لذلك يقول ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(٢)، ويقول ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(٣)، ويقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(٤).

فيا عباد الله، بادروا بالأعمال الصالحة، فالله سائلكم يوم القيامة عن هذا العمر فيم أفنيتموه وعن شبابكم فيم أبليتموه.

ابن آدم! ولا تزول قدمك يوم القيامة حتى تُسئل عن المال من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته، المال يا أصحاب الأموال من أين؟ وفيم؟ وليتصور كل منا الآن نفسه واقفاً بين يدي ربه يسأله عن ماله: من أين اكتسبته؟ أجب يا ابن آدم من أين اكتسبت هذا المال؟ إن كان من الرشوة فستقول: يا رب من الرشوة، فيقول لك: أما تعلم أني لعنت الراشي والمرتشي.

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ٣٤١)، ش: (٧/ ٧٧)، هب: (٧/ ٢٦٣)، حل: (٤/ ١٤٨)، [«ص.ج» (١٠٧٧)].
(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٠٤٩).
(٤) **صحيح**: م: (١١٨).

إذا كان من المعاملات الربوية ـ وكثير من أصحاب الألوف والملايين يُرابون بأموالهم في هذا الزمان ـ فستقول: من الربا، فيقول لك: أما علمت أني أعلنت الحرب على آكل الربا؟ أو ستقول: من الغش والكذب والسرقة، ماذا تقول لربك؟! فليعرف كل منا كيف يجمع ماله، فهناك من الناس من لا يجمع ماله إلا بالكذب، والحلف الكاذب.

وستسأل أيضاً فيم أنفقت هذا المال؟ فهل ستقول: في (شمَّات الهواء) في بلاد أوربا!؟ أو ستقول: اشتريت بهذا المال (ستالايت)، اشتريت بهذا المال مفسديون، دخنت بهذا المال، اشتريت ألبسة خليعة لزوجتي وابنتي، شربت به الخمر؟! إياك أن تظن أن أحداً غيرك سيسأل عن مالك لا، أنت وحدك ستسأل عن هذا المال من أين وفيم؟ فإياك أن تكون عبداً للمال تتعب في جمعه وتندم عند فراقه وتُسئل عنه يوم القيامة.

• ويسأل العبد كذلك عن علمه الشرعي ماذا عمل فيه؟ والعلم الشرعي نعمة عظيمة. وإذا تعلم العبد علم الكتاب والسنة، وعمل بما تعلم وعَلَّم الناس ذلك ابتغاء مرضاة الله فإن هذا العلم يرفعه في الدنيا والآخرة قال ـ تعالى ـ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

• وهذا العلم سيورثه الخشية لله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

• ثم هذا العلم ينوِّر لك الطريق، فبالعلم الشرعي تستطيع أن تميز بين الكفر والإيمان، وبين التوحيد والشرك، وبين السنة والبدعة، وبين الحلال والحرام، أما من كان جاهلاً فهو أعمى يقع في معصية الله وهو يظن أنه يحسن صنعاً.

• أما من تعلم العلم ابتغاء الدنيا ومناصبها، ومن تعلم علم الكتاب والسنة ليقال له: عالم، أو ليشار إليه بالبنان فياويح أمه يوم القيامة لأنه

سيقال له يومها: كذبت ثم يسحبُ على وجهه إلى نار جهنم.

يقول ﷺ: «**من تعلم علماً مما يُبتغى به وجهَ الله ﷻ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة**»(١) يعني: ريحها.

عباد الله! نِعَمُ الله علينا كثيرةٌ وكثيرة جداً، والله ﷻ قد وعدنا بأن من شكر هذه النعم زاده، ومن كفر بها عذبه عذاباً أليماً، والعبد إذا علم أنه سيسأل عن هذه النعم فلا بد له أن يتقي الله ﷻ، وأن يستخدم هذه النعم في طاعة الله، وأن يتقرب إلى الله بهذه النعم، وأن يكون شاكراً لله على هذه النعم، والعبد لا يكون شاكراً لله ﷻ إلا إذا أقام شكره على أربعة أركان، فإن كثيراً من الناس يظن أنه إذا قال: الحمد لله، وقَبَّل يديه باطناً وظاهراً يكون بذلك قد شكر الله، لا يا عبد الله، الله ﷻ لا يريد منك ذلك إنما يريد منك أن تقيم شكرك على هذه الأركان الأربعة التالية:

الركن الأول: أن تعتقد في قلبك أن ما بك من نعمة فهي من الله وحده، وأن تَدين لله ﷻ بأن ما بك من نعمة من سمع وبصر وزوجة وأولاد ومال، وغيرها من نعم فهي من الله وحده، والفضل فيها لله وحده، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

الركن الثاني: أن تُحدِّثَ بنعم الله عليك، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١].

الركن الثالث: أنْ تستخدمَ هذه النعم في طاعة الله، وأن تتقرب بها إلى الله؛ فهو سبحانه أعطاك البصر ـ وهو نعمة عظيمة ـ فتقرب بها إلى الله، وأعطاك نعمة السمع فتقرب بها إلى الله، وأعطاك نعمة اللسان والكلام فتقرب بها إلى الله، وأعطاك نعمة المال فقل به هكذا وهكذا في سبيل الله.

---

(١) **صحيح لغيره**: د: (٣٦٦٤)، هـ(٢٥٢)، حم: (٢/٣٣٨)، حب: (٧٨)، ع: (١١/ ٢٦٠)، ش: (٥/ ٢٨٥)، ك: (١/ ١٦٠)، [«ص.غ.هـ» (١٠٥)].

الركن الرابع: أن تشكر الله على هذه النعم بالعمل لأنَّ الله قال لآلِ داود ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]، ما قال لهم: قولوا آل داود شكراً، فشكر النعم يا عباد الله يكون بأن تحافظ على الصلاة في المسجد في جماعة، وأن تتعلم علم الكتاب والسنة، وأن تخرج الزكاة، وأن تتصدق على الفقراء والمساكين، وأن تصل الرحم، وأن تقوم بنعم الله لشكر الله عز وجل، عندها يدخلك الله سبحانه وتعالى الجنة بهذه النعم فتكون حجة لك لا عليك، وإلا فستقف بين يدي الله سبحانه وتعالى ويسألك يوم القيامة عما ٱسترعاك من النعم.

«اللهم إني أسألك رضاك والجنة
وأعوذ بك من سخطك والنار»





مشاهد يوم القيامة

المشهد الثالث عشر:
«اقتصاص المظالم بَيْنَ الخلق»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الثاني عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «السؤال عن النعيم»، وتبين لنا عباد الله، أن الله ﷻ وحده هو الذي أنعم علينا بهذه النعم، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقد وعدنا الله ﷻ بأن من شكر هذه النعم زاده، ومن كفر بها عذبه عذاباً أليماً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

وتبين لنا عباد الله بأن الله ﷻ سائلنا يوم القيامة عن هذه النعم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨]. وكما قال ﷺ: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عُمُره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»**(١).

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الثالث عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد «اقتصاص المظالم بين الخلق»**.

عباد الله! إذا فرغ الله ﷻ من محاسبة العباد فيما يتعلق بحقه عليهم

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٢٠١.

أذن الله ﷻ لدواوين المظالم أن تنصب، وأن تنشر ليقتص الله ﷻ للمظلوم مِنْ ظالمه، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]، حتى أن ربنا جل وعلا يقتص يوم القيامة للبهائم، يقتص للشاة الجلحاء التي لا قرون لها من الشاة القرناء، قال ﷺ: «**لَتُؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[(١)].

يوم القيامة ترد الحقوق إلى أهلها، ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾، فيا أيها الظالم ستدفع الثمن غالياً يوم القيامة.

عباد الله! أتدرون كيف تؤدى الحقوق يوم القيامة عند الله؟ أتدرون كيف يأخذ المظلوم حقه من الظالم يوم القيامة؟ إنها الحسنات والسيئات؛ يأتي المظلوم يوم القيامة فيأخذ بتلابيب الظالم، فيأخذ حقه من الظالم حسنات، فإن فنيت حسنات الظالم أُخِذَ مِنْ سيئات المظلوم فطرحت على الظالم، ولذلك قال ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه، أو شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فَحُمِلَ عليه**»[(٢)].

عباد الله! تخيلوا معي الآن أن دواوين المظالم قد نُصبت وكل إنسان ظلم يعرف في أي شيء ظلم، وكل إنسان مظلوم يعرف ظالمه يوم القيامة.

وتصوروا معي عباد الله هذا الظالم، وقد وقف بين يدي ربه ووقف المظلومون حوله يأخذون بتلابيبه أمام الجبار ﷻ، فيأخذ هذا المظلوم من حسنات هذا الظالم، ويأخذ هذا المظلوم من حسنات هذا الظالم... وهكذا فإن فنيت حسنات هذا الظالم أُخذ من سيئات أولئك المظلومين فطرحت عليه ثم طرح في النار، يقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا:

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٢).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٣١٧).

المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(١).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

ويقول ﷺ محذراً من الظلم: «**من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة**»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «**وإن قضيبٌ من أراك**»(٢)، أي: وإن كان عود سواك. ويلك أيها الظالم! ويلك يا من تعتدي على جارك! ويلك أيها الظالم يا من حرمت الإناث وأعطيت الذكور! ويحك أيها الظالم يا من تضع المسلمين في السجون وتضربهم على ظهورهم! ويلك أيها الظالم يا من تأكل مال اليتيم! ويلك أيها الظالم يا من تزوجت بأكثر من امرأة وملت إلى إحداهن دون الأخرى ويلك يوم القيامة!

يقول ﷺ لأصحابه يوماً: «**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار**»(٣).

فليحذر الذين يذهبون إلى المحاكم، ويشهدون الزور، ويحلفون أيماناً كاذبة لاقتطاع حق امرىء مسلم فيا ويلهم يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١). (٢) **صحيح**: م: (١٣٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٧٤٨)، م: (١٧١٣).

عباد الله! وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»[(١)]، فهذه نصيحتي وأقدمها لكل ظالم، لعله ينتهي عن ظلمه، وأقدمها لكل مظلوم ليعلم أن الله معه، وأن الله ناصرُه في الدنيا والآخرة، فأقول: أيها الظالم إني لك ناصح أمين:

- إعلم أن هذه الدنيا لا تدوم لأحد، وأن هذا المال لا يدوم لأحد، وأن هذه الصحة لا تدوم لأحد، وأن هذا المنصب لا يدوم لأحد، ولو دام لأحد قبلك ما وصل إليك.

- واعلم أيها الظالم أنك ستموت وأنك ستترك كل هذه الدنيا وستقف يوم القيامة أمام الجبار.

أيها الظالم!

لا شيءَ مما ترى تَبْقَى بشاشتُهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغنِ عنْ هُرْمُزٍ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قدْ حاولتْ عادٌ فما خَلدُوا
ولا سليمانَ إذْ تجري الرياحُ لهُ ... والأنسُ والجنُ فيما بينها ترد
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها ... منْ كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

- ثم اعلم أيها الظالم أن الظلم سبب للعذاب عند الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

- واعلم أيها الظالم أن الظلم سبب للهلاك، وسبب لخراب الديار، يقول ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[(٢)] [هود: ١٠٢]».

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٣١١).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).

• واعلم أيها الظالم أنك إن تنام فإن المظلوم لا ينام فهو قائمٌ يدعو عليك، يقول ﷺ: «**واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(١).

ابن آدم!

لا تَظْلِمنَّ إذا ما كنتَ مقتَدِراً   فالظلمُ يرجعُ عقباهُ إلى الندمِ
تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ   يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تَنَمِ

• ثم اعلم أيها الظالم أنك ستندم ندماً لا يندمه أحد يوم القيامة، ستندم إذا أخذ المظلومون من حسناتك، وستندم عندما يحملونك من سيئاتهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] ـ من شدة الندم، ومن شدة الحسرة على حسناته التي ذهبت لغيره، وعلى سيئاته التي حملها على ظهره، وحمل فوقها سيئات من ظلمهم، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

فيا أيها الظالم، تب إلى الله، والقَ الله مظلوماً، ولا تلق الله ظالماً، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

• أما أنت أيها المظلوم فاصبر وما صبرك إلا بالله، اصبر على من ظلمك واحتسب ذلك عند الله.

فقد جاء الناس على عهد الحجاج يشكون لأنس بن مالك ما يلقون من الحجاج من ظلمه، فما كان مِنْ أنس بن مالك إلا أن قال لهم: (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ)(٢).

• فيا أيها المظلوم اصبر على ظلم من ظلمك وتذكر أنك يوم القيامة ستأخذ حقك أمام الله مِنْ حسناته.

• ثم أيها المظلوم، تذكر أن الله ﷻ يستجيب لك، فقم في جوف

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٣١٦)، م: (١٩).   (٢) **صحيح**: خ: (٦٦٥٧).

الليل وادعُ الله ﷻ أن ينتقم لك ممن ظلمك أينما كان، فالله ﷻ يقول في الحديث القدسي: «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»(١)، أو ادع الله أن يحول بينك وبين ظلمه، فالله ﷻ يستجيب للمظلوم إن دعا على الظالم ولو كان هذا المظلوم كافراً، فكونوا من دعوة المظلوم على حذر.

• أيها المظلوم، احتسب هذا الظلم الذي نزل بك عند الله يوم القيامة لتأخذ من حسنات الظالم، ففي يوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يتمنى الإنسان يوم القيامة ليفتدي بملء الأرض ذهباً ليتحصل على حسنة واحدة ينجو بها من عذاب الله ويدخل الجنة، ولكن الله ﷻ لا يقبل منه ذلك يوم القيامة، فاصبر أيها المظلوم، لتأخذ من حسنات الظالم يوم القيامة، اصبر أيها المظلوم لتُحَمِّل الظالمَ على ظهره من سيئاتك يوم القيامة.

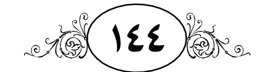
فيا إخوة الإسلام! إياكم والظلم، وتذكروا الرجوع إلى الله! والوقوف بين يدي الله، «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(٢).

فكم من الناس في هذه الدنيا بقوته وماله تعدى على الآخرين، فهذا يظلم جاره، هذا يظلم ولده، وهذا يظلم والده، وهذا رجل يظلم زوجته، وهذا رجل يظلم من تحته في العمل، وهذا راعٍ يظلم رعيته... ... إلى غير ذلك، لكن يوم القيامة ترد الحقوق إلى أهلها.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحفظنا وإياكم من الظلم وأن يباعد بيننا وبين الظلم كما باعد بين المشرق والمغرب

---

(١) **حسن لغيره**: طب: (٤/٤٨)، هب: (٥/٤٠٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٣٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٢).



مشاهد يوم القيامة

المشهد الرابع عشر:
مشهد الاقتصاص بين الناس في الدماء

عباد الله: في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الثالث عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «**اقتصاص المظالم بين الخلق**».

وتبين لنا عباد الله أن المظالم كلها ترد إلى أصحابها يوم القيامة أمام الجبار ﷻ قال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غافر: ١٧]. فيقتص الله ﷻ للمظلوم من الظالم حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، وتبين لنا عباد الله أن المظالم التي ترد إلى أصحابها يوم القيامة ستكون بالحسنات والسيئات لا بالدراهم والدنانير.

وقلنا: من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار.

عباد الله! أتدرون ما هي أول المظالم التي يقضى فيها يوم القيامة بين الناس؟ إنها الدماء، إنه القتل، ولذلك **فموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الرابع عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد «الاقتصاص بين الناس في الدماء»**.

يقول ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب، سَلْ هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٧١)، م: (١٦٧٨).

من العرش»[١].

ويقول ﷺ: «**يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل، فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له: لِمَ قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذاً بيد الرجل، فيقول: أي ربِّ! إن هذا قتلني، فيقول الله: لِمَ قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه»**[٢].

فإياكم والدماء يا عباد الله، إياكم والقتل يا عباد الله.

فها قد دبت الفوضى في صفوف المسلمين، فهذا يقتل زوجته، وهذا يقتل أولاده وهذا يقتل أخاه، وهذا يقتل نفسه، إن الله ﷻ حرم القتل.

والقتل جريمة نكراء في حق هذا الإنسان؛ لأن الله كرمه وأوجدهُ في هذه الدنيا لعبادته، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

• نعم، القتل جريمة نكراء في حق هذا الإنسان لأن الله عز وجل حرم القتل إلا بالحق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ويقول ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»**[٣].

وقد فسر لنا رسول الله ﷺ هذا الحق الذي يبيح قتل النفس التي حرم الله، فقال ﷺ: «**لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانِ والنفس بالنفس، والمفارق لدينه التارك للجماعة»**[٤].

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٠٢٩)، ن: (٤٠٠٥)، هـ: (٢٦٢١)، [«ص.ج» (٨٠٣١)].
(٢) **صحيح**: ن: (٣٩٩٧)، طب: (٩٦/١٠)، هب: (٣٤١/٤)، حل: (١٤٧/٤)، [«ص.ج» (٨٠٢٩)].
(٣) **صحيح**: خ: (٢٥)، م: (٢٢).
(٤) **صحيح**: خ: (٦٤٨٤)، م: (١٦٧٦).

عباد الله! وقد جاء الإسلام يحذر من جريمة القتل تحذيراً شديداً حتى ينزجر كثير من الناس الذين تهاونوا بأرواح البشر، فما إن يغضب أحدهم حتى يخرج مسدسه ويطلق النار على مؤمن يقول: لا إله إلا الله.

فحذر الإسلام من القتل بجميع صوره تحذيراً شديداً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ**﴾ [المائدة: ٣٢].

ويقول ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»(١)، وقال ﷺ في حجة الوداع: «**ـ أيها الناس ـ إن دماءكم، وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد**»(٢)، وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه**»(٣)، ويقول ﷺ: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»(٤).

عباد الله! جاء الإسلام وفرض القصاص حفاظاً على أرواح البشر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمْ فِى

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٦٩).
(٢) **صحيح**: خ: (١٦٥٤)، م: (١٦٧٩).
(٣) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).
(٤) **صحيح لغيره**: ت: (١٣٩٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٤٢)].

ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقد بيَّن ربنا جل وعلا أن الذي يقوم بهذا القصاص إنما هو السلطان وإلا دبت الفوضى في مجتمعات المسلمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقد حرم الإسلام على أحدٍ أن يشفع لأحدٍ في حد من حدود الله.

فإياك إياك أن تشفع لأحدٍ في حد من حدود الله، إنها جريمة نكراء قال ﷺ لأُسامة بن زيد «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» ثم قام ﷺ فاختطب ثم قال: «**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[(١)].

لكن أين الحدود والقصاص؟ فيوم أن غابت الحدود وغاب القصاص، وغاب حكم الله دبت الفوضى في مجتمعات المسلمين، فهل من عودة يا أمة الإسلام ويا حكام المسلمين إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ؟ فلكم في القصاص حياة يا أولي الألباب.

عباد الله! ديننا يحافظ على أرواح البشر، ويحرم على الإنسان أن يقتل غيره ويحرم على الإنسان أن يقتل نفسه، ولسنا في حاجة إلى أن يأتي الكفار وإخوة القردة والخنازير ليقولوا لنا: نحن نحافظ على حقوق الإنسان ويشكلون لنا لجاناً وهيئاتٍ للدفاع عن حقوق الإنسان، فهذا ديننا يحافظ على حقوق الإنسان، ويحرم على كل إنسان أن يقتل إنساناً بغير حق.

عباد الله! القتل جريمة نكراء فاحذروا أن تتورطوا فيها.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٨٨)، م: (١٦٨٨).

ابن آدم! احذر أن تتورط في القتل العمد، القَ الله مقتولاً ولا تلقَ الله قاتلاً، إياك إياك أن تقتل إنساناً يقول: (لا إله إلا الله) متعمداً؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]. ويقول ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**»[(٢)].

واحذر يا ابن آدم أن تتورط في القتل الخطأ كذلك، والقتل الخطأ هو أن تقتل إنساناً بدون قصدٍ منك في قتله وإنْ قتلت إنساناً خطأً، فإنَّ عليك الدية والكفارة، فالدِّيةُ من حق ورثة المقتول، والكفارة حق الله ﷻ وهي عتق رقبة، فإن لم تجد فصيام شهرين متتابعين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢].

فإياك يا عبد الله أن تقتل مؤمناً متعمداً، وإياك يا عبد الله أن تتورط في قتل مؤمن خطأ، وإياك يا عبد الله أن تقتل نفسك منتحراً، فالله ﷻ قال لنا في كتابه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فحرم الله على الإنسان أن

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٦١٩)، بز: (٦/ ٣٧٥)، هب: (٤/ ٣٤٥)، [«ص.ج» (٥٠٧٨)].

(٢) **صحيح لغيره**: د: (٤٢٧٠)، ن: (٣٩٨٤)، حم: (٤/ ٩٩)، حب، (٥٩٨٠)، ك: (٤/ ٣٩١)، طب: (١٩/ ٣٦٥)، هق: (٨/ ٢١)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٤٥)].

يقتل نفسه، وحرم الله على الإنسان أن يقتل ولده، وحرم الله على الإنسان أن يقتل غيره إلا بالحق.

فإياك إياك أن تقتل نفسك، فهذه النفس ليست ملكاً لك إنما هي لله، إياك إياك أن تبادر بنفسك إلى الله فتُحْرم الجنة، فالله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال ﷺ: «**من تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردَّى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سُمّاً فقتل نفسه فسمُّهُ في يده يتحساهُ في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدةٍ فحديدته في يده يَجَأُ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[(١)]. يُجمع على المنتحر عذاب جهنم وعذاب الآلة التي قتل بها نفسه، قال ﷺ: («**كان فيمن كان قبلكم رجل به جُرح، فجزع فأخذ سكيناً، فحزَّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات**»، **قال الله تعالى**: «**بادرني عبدي بنفسه حرَّمت عليه الجنة**»)[(٢)].

عباد الله! إياكم أن تتورطوا في القتل فقد علمتم أن القاتل يأتي يوم القيامة والمقتول آخذ بتلابيبه ويحمل رأسه وناصيته بيده، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب هذا قتلني فَلِمَ قتلني؟ وإياك إياك أن تتورط في إطلاق النيران فكثير من الناس اليوم ـ والله ـ لا يبالون بأرواح من حولهم، فتراهم يعطون مسدساتهم لأولادهم، ويعطون سيارتهم لأبنائهم فيسيرون بها في الشوارع بسرعة جنونية ويتسببون في حوادث السير، وتأتي عائلاتهم (الجاهات) التي فيها الكثير ممن لا يخافون الله، فينهون القضية بفنجان من القهوة بعد أن ذهب دم الرجل، وترملت المرأة، وتيتم الأولاد، ويأتي الخال والعم فيتساهل في دية المقتول بل ويتسامح فيها، بل ويترك هؤلاء الأيتام لا مال لهم إذ يتنازل عن الدية ليقال عنه إنه صاحب كلمة، لا يا عبد الله، الدية من حق أولاد المقتول ولا دخل لك أيها الخال والعم

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٤٢)، م: (١٠٩). (٢) **صحيح**: خ: (٣٢٧٦).

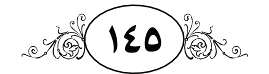
فيها، ولا يحق لك أن تتنازل عنها، أما إذا أراد أهل المقتول وأولاده وزوجته أن يسامحوا القاتل فلهم ذلك وإلا فلهم أن يُطالبوا بالدية، والدِّية التي يجب أن تعطى هي خمسون ألف دينار قيمة مائة من الإبل. فيا من يضيعون الدية بفنجان من القهوة اعلموا أن الله سائلكم عن هؤلاء الأيتام يوم القيامة، فإياك إياك أن تشفع في حد من حدود الله.

وأنا أحملكم المسؤولية أمام الله يوم القيامة عن هؤلاء الأيتام.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد اللهم قد بلغت اللهم فاشهد

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه





مشاهد يوم القيامة

المشهد الخامس عشر: «الميزان»

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن مشاهد السؤال والحساب وتبيَّن لنا عباد الله أن العبد سيقف بين يدي ربه يوم القيامة فيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان وتبين لنا أن الإنسان يُسأل عن حقوق الله ﷻ، وأول ما يُسأل عنه من حقوق الله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، ويُسأل الإنسان بعد ذلك عن حقوق العباد وأول ما يُسأل عنه من حقوق العباد الدماء.

ابن آدم! إذا عرفت أنك إلى ربك راجع، فاعلم أنك بين يدي ربك موقوف، وإذا علمت أنك موقوف فاعلم أنك مسئول، فتجهز للإجابة من الآن.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الخامس عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «الميزان».**

عباد الله! بعد إتمام الحساب والسؤال يُوضع الميزان، وعند الميزان تعلن النتائج، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

وهذا الميزان الذي ينصب يوم القيامة لوزن أعمال العباد له كفتان حسيتان مشاهدتان أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ.

وهذا الميزان دقيق جداً لا يُزيد ولا يُنقص، كما قال رب العزة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

عباد الله! وهذا الميزان ووزن الأعمال يوم القيامة كلاهما ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولا ينكر ذلك إلا جاحد أو ضال، فالله ﷻ أخبرنا في كتابه عن الميزان وعن وزن الأعمال يوم القيامة فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١]، كما قد أخبرنا النبي ﷺ في سنته عن الميزان، فقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان العظيم**»[١]. وقال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأُ الميزان..**»[٢]، وقد أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على ثبوت الميزان وعلى ثبوت الوزن يوم القيامة لأعمال العباد، فلا ينكر ذلك إلا جاحد أو ضال.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٠٤)، م: (٢٦٩٤).

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).

عباد الله! **وهنا سؤال لعله يدور في الأذهان، ألا وهو: ما الذي يوزن في هذا الميزان يوم القيامة هل هي الأعمال نفسها؟ أم هي صحائف الأعمال؟ أم يوزن العامل أي: العبد نفسه؟**

للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: قالوا إن الذي يوضع في الميزان يوم القيامة هو الأعمال نفسها، واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان..**»[(١)]، واستدلوا بقوله ﷺ: «**أثقل شيءٍ في ميزان المؤمن خلقٌ حسن**»[(٢)].

فإن قال قائل: كيف توزن الأعمال في الميزان وهي أعراض لا أجسام؟ قلنا له: الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وهو قادر على أن يحول هذه الأعمال من أعراض إلى أجسام توزن في الميزان يوم القيامة.

وأظنكم جميعاً تعلمون أن الله يوم القيامة يختم على الأفواه وتتكلم الأيدي والأرجل، كيف تتكلم الأيدي والأرجل والجلود؟ فالله على كل شيء قدير، وقد علمتم أن الإنسان إذا وضع في قبره تحول عمله إذا كان صالحاً إلى شاب جميل المنظر، طيب الرائحة، يدخل على صاحبه في قبره فيقول الميت له: من أنت فوجهك الذي يبشر بالخير؟ فيقول له: أنا عملك الصالح، والعمل السيء كذلك يتحول إلى رجل أسود الوجه، منتن الرائحة، يقول له صاحبه: من أنت فوجهك الذي يبشر بالشر؟ فيقول له: أنا عملك السيء، إذن فالله عز وجل على كل شيء قدير قادر على أن يحول هذه الأعمال إلى أجسام توزن في الميزان يوم القيامة.

القول الثاني: قالوا إن الذي يوزن في الميزان يوم القيامة هو العبد نفسه.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٠٤)، م: (٢٩٦٤).

(٢) **صحيح**: حم: (٦/ ٤٥١)، حب: (٥٦٩٣)، عب: (١١/ ١٤٦)، هب: (٦/ ٢٣٨)، هق: (١٠/ ١٩٣)، [«ص.ج» (١٣٥)].

واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضةٍ، اقرءوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾»[١] [الكهف: ١٠٥]، وقال ﷺ في حق ابن مسعود رضي الله عنه عندما صعد يوماً على شجرة ورأى الصحابةُ ساقيه فضحكوا من دقتهما، قال ﷺ: «**ما يضحككم من دقة ساقيه! والذي نفسي بيده إنهما** ـ أي: ساقيه ـ **أثقل في الميزان من أحد**»[٢].

فهؤلاء قالوا: إن الذي يوزن في الميزان هو العبد نفسه.

القول الثالث: قول من قالوا: إن الذي يوزن في الميزان هي صحائف الأعمال واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء**»[٣].

فقالوا: بناءً على هذا إن الذي يوزن في الميزان هي صحائف الأعمال، والقول الراجح والصحيح يا عباد الله أن جميع ما ذكر يوزن في الميزان يوم القيامة: الأعمال وصحائف الأعمال والعبد نفسه، كل ذلك يوضع في الميزان ثم تعلن النتيجة، والناس يا عباد الله عند الميزان على ثلاثة أقسام:

---

(١) **صحيح**: خ:(٤٤٥٢)، م: (٢٧٨٥).

(٢) **صحيح**: حم: (١/ ٤٢٠)، حب، (٧٠٦٩)، لس: (٣٥٥)، طب: (٩/ ٧٨)، ع: (٩/ ٢٤٧)، بز: (٥/ ٢٢١)، [«س.ص» (٢٧٥٠)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٦٣٩)، هـ: (٤٣٠٠)، حم: (٢/ ٢١٣)، حب: (٢٢٥)، ك: (١/ ٤٦)، طس: (٥/ ٧٩)، هب: (١/ ٢٦٤)، [«ص.ج» (١٧٧٦)].

القسم الأول: من ثقلت موازينهم بكثرة الحسنات، فأولئك هم المفلحون، الذين نسأل الله أن نكون منهم.

القسم الثاني: من خفت موازينهم بكثرة السيئات، فأولئك هم الخاسرون.

القسم الثالث: من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فتمنعهم حسناتهم من دخول النار، وتمنعهم سيئاتهم من دخول الجنة، فيوقفون على جبل الأعراف بين الجنة والنار، ثم بعد ذلك ينظر الله إليهم ويرحمهم ويدخلهم الجنة.

عباد الله! الميزان يوم القيامة حق، ووزن الأعمال يوم القيامة حق، كما قال ربنا: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

ابن آدم! رُبَّ حسنة واحدة تدفع بك إلى جنة عرضها السموات والأرض، ورُبَّ سيئة واحدة تدفع بك إلى نار حامية!

ابن آدم! يا من زهدت في الحسنات، يا من نقول لهم: صلوا في المسجد في جماعة فيقولون: نصلي في البيت وتكفينا حسنة واحدة! يا من زهدتم في الحسنات، رُبَّ حسنة واحدة تدفع بكم إلى جنة عرضها السموات والأرض وإلى خلود أبدي، ورُبَّ سيئة واحدة ـ يا من تهاونتم في المعاصي والسيئات ـ تدفع بكم إلى نار حامية.

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

ابن آدم! تصور نفسك الآن وأنت واقف على الميزان برجحان حسنةٍ واحدةٍ فزت فوزاً عظيماً وبسيئةٍ واحدةٍ خِبْتَ وخسرت الدنيا والآخرة.

هذه ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين.

● ومن الأعمال التي تثقل في الميزان يوم القيامة: ذكر الله، فأكثروا من ذكر الله ومن تلاوة القرآن، فكما سمعتم ـ يا من تضيعون الأوقات في

الغيبة والنميمة وأمام المفسديون ـ، «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(١)، فأكثروا من هاتين الكلمتين. ويقول ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأُ الميزان**»(٢).

• ومن الأعمال الصالحة التي تثَّقل الميزان أيضاً: حسن الخلق.

يقول ﷺ: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»(٣) فعامل الناس بخلق حسن.

• ومن الأعمال الصالحة التي تثَّقل الميزان يوم القيامة: العقيدة الصحيحة، والإيمان الصادق.

فقد سمعتم عن ابن مسعود أن قدميه في الميزان أثقل من جبل أحد، وقد سمعتم عن هذا العظيم السمين الذي مات على عقيدة فاسدة فيؤتى به يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة.

فأكثروا من الأعمال الصالحة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وها نحن في هذه الأيام ـ العشر الأولى من ذي الحجة ـ، والأعمال الصالحة فيها لها أجر عظيم فأكثروا فيها من الأعمال الصالحة، ولا تحرموا أنفسكم من صيام يوم عرفة فإن صيامه يكفر ذنوب سنتين.

فيا أيها البخيل على نفسك، يا أيها المسكين، يا من تدعي المرض وأنت لست بمريض، لا تحرم نفسك من صيام هذا اليوم، فقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ فقال: «**صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده...**»(٤)، ولا تحرموا أنفسكم كذلك من

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٠٤)، م: (٢٦٩٤). (٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).
(٣) **صحيح**: د: (٤٧٩٩)، حم: (٦/ ٤٤٢)، خد: (٢٧٠)، حب: (٤٨١)، طص: (١/ ٣٣١)، هب: (٦/ ٢٣٨)، [«ص.ج» (٥٧٢١)].
(٤) **صحيح**: م: (١١٦٢).

ذبح الأضاحي في يوم العيد بعد صلاة العيد أو في أيام التشريق، فهي واجبة على المستطيع وفيها أجر عظيم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يثقِّل موازيننا يوم القيامة

❃ ❃ ❃



مشاهد يوم القيامة

المشهد السادس عشر: «المرور على الصراط»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الخامس عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «الميزان»، وتبين لنا عباد الله أن من ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، وأن من خفت موازينه فأولئك هم الخاسرون.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد السادس عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «المرور على الصراط».

يقول الله ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٦٦، ٧٢].

عباد الله! بعد محاسبة العباد ووزن أعمالهم، فالمصير إما إلى الجنة

وأولئك هم الفائزون، وإما إلى النار وأولئك هم الخاسرون.

عباد الله! وليس هناك طريق إلى الجنة إلا بالمرور على الصراط الذي نصب على ظهراني جهنم.

أتدرون ما هو الصراط يا عباد الله؟

الصراط: جسر منصوب على متن جهنم، أدق من الشعرة، وأحدُّ من السيف.

الصراط: مدحضة مزلة على جانبيه خطاطيف وكلاليب وحسك كشوك السعدان لا تثبت الأقدام على هذا الصراط إلا أقدام من ثبته الله في الدنيا والآخرة.

عباد الله! الرحم والأمانة تقوم على جانبي هذا الصراط تشهد الأمانة لمن أداها وتشهد على من خانها، وتشهد الرحم لمن وصلها وتشهد على من قطعها، الرحم والأمانة تقفان على جانبي الصراط، كلما مر رجل قالت الأمانة: هذا أدى الأمانة، وهذا خان الأمانة، وكلما مر رجل قالت الرحم: هذا وصلني، وهذا قطعني، فاتقوا الله في أرحامكم، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١]، واتقوا الله في الأمانات وأدوها إلى أهلها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

عباد الله! وعند المرور على الصراط لا يتكلم أحد إلا الرسل، أتدرون ماذا يقولون! يقولون: «**اللهم سلِّم سلِّم**»(١).

عباد الله! عند المرور على الصراط لا يعرف أحدُ أحداً، تقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أتعرفنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحد؛ عند الميزان؛ حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف؛ حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في**

(١) **صحيح**: خ: (٧٧٣)، م: (١٨٢).

شماله أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم؛ حتى يجوز»[(١)].

أمة الإسلام! في أرض المحشر وعند الانتهاء من وزن الأعمال يجمع الله تبارك وتعالى الناس في مكان واحد، وفي ساحة واحدة ثم ينادي منادٍ: أيها الناس، أليس عدلاً من الله تعالى أن يولي كل إنسان إلهه الذي كان يعبده في الدنيا؟ فيقولون: بلى وربنا.

فينادي المنادي: لتَتَّبِع كل أمةٍ إلٰهها الذي كانت تعبد في الدنيا، فيتصور لكل قوم ما عبدوا فيتبعونه، فيتبع عَبَدَةُ الشمس الشمسَ، ويتبع عبدةُ القمر القمرَ، وعبدةُ الأصنامِ الأصنامَ، وهكذا تتميز كل أمة مع إلهها الذي كانت تعبد ـ من دون الله ـ.

فتؤخذ هذه الآلهة المزعومة مع الذين عبدوهم في الدنيا فيتساقطون جميعاً في جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَاخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ ـ يقال لهم ـ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٧ ـ ١٠٠].

بعد ذلك لا يبقى في هذه الساحة إلا الذين عبدوا الله من بر وفاجر وبقية من أهل الكتاب فيُدْعىٰ اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عُزَير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله مِنْ صاحبةٍ ولا ولد فيقال لهم؟ ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في جهنم جميعاً.

● ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن مريم؟ فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا

---

(١) **ضعيف**: د: (٤٧٥٥)، ك: (٤/ ٦٢٢)، [«ض.غ.هـ» (٢١٠٨)].

ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعض فيتساقطون فيها جميعاً.

عباد الله! ثم لا يبقى في الساحة إلا الذين عبدوا الله من برٍ وفاجر فيأتيهم ربنا جل وعلا في صورة لا يعرفونه، فيقول لهم: يا عبادي ألم تتبع كل أمة إلٰهها الذي كانت تعبده في الدنيا؟ فيقولون: بلى، فيقول لهم: فلم لم تتبعوا إلٰهكم؟ فيقولون له وهم لا يعرفونه: نعوذ بالله منك ما عبدنا غير الله وما نحن بمنصرفين من هنا حتى يأتينا ربنا فنعرفه فنتبعه، فيقول الرب تبارك وتعالى لهم: وهل بينكم وبين ربكم علامة تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم «الساق»، فيكشف ربنا جل وعلا عن ساقه.

والساق صفة لله كصفة القدم والوجه، والعين، وهي صفات تليق بجلال الله ليست كصفات المخلوقين، لأن الله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والواجب على المسلم أن يثبت لله ﷻ هذه الصفات بدون تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تأويل.

فيكشف ربنا عن ساقه فيخر المؤمنون لله سجداً، أما المنافقون وتاركوا الصلاة فإنهم إذا أرادوا السجود صارت ظهورهم طبقاً واحداً كلما أرادوا أن يسجدوا خروا على أقفيتهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]. فيا من تركتم الصلاة، تلك حال الذين كانوا يدعون إلى السجود ـ أي: في الدنيا ـ وهم سالمون فكانوا لا يستجيبون لداعي الله فاعتبروا بهم.

ثم يأمر الله عز وجل الناس أن يجوزوا الصراط، فتوزع الأنوار على الناس على قدر أعمالهم، فهذا رجل يأخذ من النور كالجبل، وهذا يأخذ من النور كالنخلة، وهذا يأخذ من النور على إبهام قدمه يضيء تارة ويطفيء أخرى كلّ على قدر عمله.

فإذا بدأ الناس بمجاوزة الصراط فإن منهم من يمر كطرف العين،

ومنهم من يمر على الصراط كالبرق، ومنهم من يمر كالطير، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر يمشي مشياً بطيئاً، ومنهم من يتلبط، أي: يمشي على يديه وعلى قدميه يحبو فيرفع يداً ويضع أخرى، ويرفع رأسه فإذا الناس يمرون على الصراط إلى الجنة فيقول هذا المسكين: يا رب، لِمَ أبطأت بي؟ فيقول: يا عبدي ما أبطأتُ بك، إنما أبطأ بك عملك.

والناس يمرون على الصراط، وإذا بأنوار المنافقين قد ٱنقطعت وعندها صاروا في ظلمة ما بعدها ظلمة، يقفون في هذه الظلمة فإذا نظروا تحت أقدامهم وجدوا النار يحطم بعضها بعضاً فيخاف المؤمنون من أن تذهب أنوارهم فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]، وعندها يأخذ المنافقون في النداء على المؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الحديد: ١٣]، قال تعالى واصفاً هذا الموقف الحرج في سورة الحديد: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٢ ـ ١٥].

المؤمنون يا عباد الله هم وحدهم الذين يمرون على الصراط إلى جنات النعيم، وأما المنافقون والكفار واليهود والنصارى فيسقطون في جهنم وبئس المصير[١].

عباد الله! والناس عند المرور على الصراط على ثلاثة أقسام:

● قسم يمرون على الصراط سالمين، لا تخدشهم الخطاطيف، ولا الكلاليب، ولا تمسهم النار ونسأل الله أن نكون منهم.

---

(١) انظر: كتاب «رحلة إلى الدار الآخرة» لأخي وشيخي عبد العظيم بن بدوي ـ حفظه الله ـ.

• وقسم آخر يمرون على الصراط فتخطفهم الكلاليب والخطاطيف فيخدشون ولكنهم ينجون إلى الجنة.

• وقسم تتخطفهم الكلاليب والخطاطيف فيكبون على رؤوسهم في نار جهنم.

ابن آدم! تخيل نفسك الآن وأنت على الصراط، وقد انقطع النور فوقفت مكانك، فإذا نظرت تحت قدميك وجدت النار السوداء كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، قد اشتعل لهيبها حتى اسودت فهي كالليل المظلم.

• تخيل نفسك الآن على الصراط الذي هو أدق من الشعر، وأحدُّ من السيف، كيف ستمشي على هذا الصراط؟

قل لنفسك: يا نفسي هل ستكونين ممن ينجو من تلك الخطاطيف والكلاليب إلى الجنة، أم أنك ممن تتخطفه الكلاليب ثم ينجو بعد ذلك، أم أنت يا نفسُ ممن سيكبون على رؤوسهم في نار جهنم؟

عباد الله! من أراد أن يثبت على الصراط الذي نصب على نار جهنم وينجو إلى جنات النعيم فعليه أن يثبت على الصراط المستقيم في هذه الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هذه وصية الله لكم فعلى من أراد أن ينجو على الصراط يوم القيامة أن يتبع صراط الله المستقيم ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١]. ورسولنا الكريم ﷺ: (يخط خطّاً ثم يقول: «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»)(١).

عباد الله! والثبات على الصراط المستقيم في الدنيا يكون بتمسككم

---

(١) **حسن**: حم: (١/ ٤٣٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٣٢٨)، لس: (٢٤٤)، بز: (٥/ ٢٥١)، [«الموسوعة الحديثية»].

بالقرآن والسنة حتى لا تضلوا، يقول ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»(١).

● ولكن على أي منهج نسير في هذا التمسك؟ على منهج صحابة رسول الله، لم؟ لأن الرسول ﷺ قال: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٢) وقال ﷺ: «**فعليكم بسنتي** ـ أي: بطريقتي ـ **وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**»(٣).

والله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه رضي عن الذين سلكوا هذا الصراط وعن الذين اتبعوا سبيلهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فيا إخوة الإسلام! هذا صراط الله المستقيم: كتاب وسنة، قال الله وقال رسول الله ﷺ على نهج صحابة رسول الله، ولكن إذا تفرقنا شيعاً وأحزاباً وغدونا كل حزب بما لديهم فرحون واتبعنا تلك السبل القصيرة التي على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ضللنا.

فإذا أردتم أن تثبتوا على الصراط يوم القيامة فاثبتوا على الصراط المستقيم في هذه الدنيا، واعبدوا الله وحده، وابتعدوا عن المعاصي، ومن اقترف منكم معصية فليبادر بالتوبة قبل أن يندم في يوم لا ينفع فيه الندم.

اللهم ثبت أقدامنا على الصراط

❋ ❋ ❋

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، هق: (١٠/ ١١٤)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، ك: (١/ ١٧٤)، طب: (١٨/ ٢٤٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٧)].



١٤٧

الجنة دار النعيم

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن مشاهد يوم القيامة، وتبين لنا يا عباد الله أن الناس بعد الحساب والسؤال والميزان والصراط ينقسمون إلى فريقين: فريق إلى الجنة، وفريق إلى السعير؛ فريق سعداء، وفريق أشقياء، أخبرنا بذلك ربنا في كتابه:

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٣ ـ ١٠٨].

ولذلك ابتداءً من اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنقومُ بالحديث عن الجنة دار النعيم، وعن صفات أهلها الذين فازوا بها، وعن الأسباب التي تؤدي إلى الجنة. ثم نتكلم عن النار دار البوار، وعن صفات أهلها، وعن الأسباب التي توصل إليها ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولا يظلم ربك أحداً.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن الجنة دار النعيم، دار السعداء، وما أعد الله فيها من النعيم المقيم سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

الجنة: دار السلام، أعد الله فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والله ﷻ يدعو عباده إلى هذه الدار فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فمن استجاب لرسل الله، وسلك سبيلهم دخل هذه الدار، دار السلام، ومن عصى الرسل وسلك سبيل الشياطين دخل النار، دار البوار، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، فبالله عليكم إذا دعيتم إلى طعام في الدنيا من إنسان تحبونه أما تجيبونه وتهرولون إليه؟! فما بالكم والذي يدعوكم هو ربكم؟! وإلى أي شيء يدعوكم؟ إلى دار السلام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: ١٢٦، ١٢٧]، الله ﷻ يدعوكم إلى دار السلام بل ويأمر ربنا جل وعلا عباده أن يسارعوا وأن يسابقوا إلى دار السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

عباد الله! كلنا قد أيقن بالجنة، ويعلم أنه ليس بعد هذه الدار إلَّا الجنة أو النار ومع ذلك فإننا لا نكاد نرى مستعداً لهذه الجنة، أو نرى مشمراً لهذه الجنة، كلنا يسارع ويتسابق من أجل الدنيا، أما الجنة فقد نمنا عنها وطال نومنا!.

عباد الله! يدعوكم ربكم إلى دار السلام، ويأمركم بالمسارعة إليها

لأن من دخل هذه الجنة كان هو الفائز حقاً. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فإياك أن تظن أن من فاز في الامتحانات، أو من فاز في الانتخابات أو من فاز باستلام منصب من مناصب الدنيا، أو باستلام رئاسة أو وزارة بأنه هو الفائز، لا يا عباد الله بل إن الفائز هو من فاز بالجنة.

أمة الإسلام! أتدرون من هو أول من يدخل الجنة؟ إنه هو رسولنا محمد ﷺ، يقول ﷺ: «**أنا أول من يقرع باب الجنة**»(١)، وقال ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمِرتُ أن لا أفتح لأحد قبلك**»(٢).

عباد الله! أتدرون من هي أول الأمم دخولاً إلى الجنة؟ إنها أمة محمد ﷺ، أنتم يا معشر المسلمين، يقول ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة**»(٣).

أي نحن آخر الأمم في هذه الدنيا، والأولون دخولاً للجنة يوم القيامة.

فيا أمة محمد! يا من تسارعون إلى الدنيا، أنسيتم الجنة؟! أزهدتم في الجنة؟! أترضى لنفسك يا عبد الله أن تكون عبداً للشيطان فتكون مع الشيطان وحزبه في نار جهنم؟! فتندم يومها في وقت لا ينفع فيه الندم! الله يدعوكم إلى دار السلام، ويأمركم بالمسارعة إلى دار السلام، ويبين لكم أن من دخلها هو الفائز، وأخبركم رسولكم أنه أول من يدخل الجنة، وأن أمته هي أول الأمم دخولاً إلى الجنة. فماذا تريدون يا أمة الإسلام؟ أرضيتم بالدنيا من الآخرة، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٦).
(٢) **صحيح**: م: (١٩٧).
(٣) **صحيح**: م: (٨٥٥).

عباد الله! اعلموا أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، يقول ﷺ: «**إن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام**»(١).

وقال ﷺ: «**قمت على باب الجنة فكان عامَّة من دخلها المساكين، وأصحابُ الجدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**»(٢)، أصحاب الجد: هم الأغنياء من المسلمين.

عباد الله! تعالوا بنا لننظر إلى الجنة كَمَا وصفها الذي خلقها، وكما وصفها الذي دخلها ليلة المعراج وهو رسولنا ﷺ.

الجنة لها أبواب، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وأبواب الجنة ثمانية:

قال ﷺ: «**في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون**»(٣) ويقول ﷺ: «**إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**»(٤).

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضأ فَيُبلغ (أو فيسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»(٥).

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٥٣)، هـ: (٤١٢٣)، حم: (٢/٢٩٦)، طس: (١/٣٣)، ش: (٧/٨٦)، هب: (٧/٣٠١)، حل: (٧/٩١)، [«ص.ج» (٤٢٢٨)].
(٢) **صحيح**: خ: (٤٩٠٠)، م: (٢٧٣٩). (٣) **صحيح**: خ: (٣٠٨٤).
(٤) **صحيح**: خ: (١٧٩٧)، م: (١١٥٢). (٥) **صحيح**: م: (٢٣٤).

عباد الله! الجنة درجات بعضها فوق بعض، أعلاها الفردوس وفوق الجنة عرش الرحمن، يقول ربنا جل وعلا: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

ويقول ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجَتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمٰن ومنه تفجر أنهار الجنة**»(١).

الجنة واسعة جداً، يقول ربنا جل وعلا: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، فما بالكم بطولها؟! ولا يعلم سعة الجنة إلا الذي خلقها سبحانه وتعالى.

عباد الله! أما بناء الجنة، وأما تربة الجنة، فقد سُئل ﷺ عن بناء الجنة وقصورها، فقال ﷺ: «**لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها ـ أي: ما يوضع بين اللبنتين ـ المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم**»(٢).

عباد الله! أما أنهار الجنة، فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥]، وفي آية أخرى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف: ٣١].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٩٨٧).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٥٢٦)، حم: (٢/ ٤٤٥)، مي: (٢٨٢١)، حب: (٧٣٨٧)، هب: (٥/ ٤٠٩)، لس: (٢٥٨٣)، طس: (٧/ ١٤٤)، [«ص.ج» (٣١١٦)].

هذه الأنهار: نهر من ماء، ونهر من عسل، ونهر من لبن، ونهر من خمر كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

هذه هي الجنة سلعة الله الغالية فهل من مشمر لها يا عباد الله؟!

جنة الله سلعة غالية، فإن جنة الله من دخلها فقد فاز، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، جنة الله فيها مِنَ النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عباد الله! أما عيون الجنة، فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن: ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦]. فتخيل نفسك في أرض الجنة على سرر من الذهب، وهذه العيون تتفجر أمامك.

عباد الله! أما بساتين الجنة، وثمار الجنة، وأشجار الجنة، فيقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ [النبأ: ٣١، ٣٢].

وقال تعالى مبيناً أن في الجنة الفاكهة وكل ما تشتهيه الأنفس: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨]، فالإنسان في الجنة على سرير من ذهب لا يقوم ليقطف من هذه الثمار بل تتدلى فوقه ليأكل منها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

فيا عبد الله: تخيل أنك في الجنة الآن وانظر إلى هذا النعيم المقيم: أنهار تجري من تحتك، عيون تتفجر من كل مكان، ثمار كما تريد وتشتهي، بساتين كما تحب وترضى. فيا أصحاب المزارع والحدائق

والبساتين، يا من تضيعون صلاة الجمعة وتذهبون إلى مزارعكم لتشربوا الخمر هناك وتعصوا الله ﷻ، أما تريدون أن تتوبوا إلى الله؟! أما تريدون أن تعودوا إلى الله؟! أما تحبون أن تخرجوا من مزارعكم هذه إلى بساتين الجنة؟! أم تريدون أن تخرجوا من بساتينكم إلى نار حامية؟! اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

عباد الله! أما صفة أهل الجنة الذين سكنوا الجنة ـ ونسأل الله أن نكون منهم ـ وما هو لباسهم؟ وما هو شرابهم؟ وما هو طعامهم؟ وما هي نساؤهم؟ وما هو مسكنهم؟ فهذا الذي سنعيش معه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة





نعيم أهل الجنة

عباد الله! في الجمعة الماضية بدأنا في الحديث عن الجنة دار النعيم، وتبين لنا عباد الله أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، أعلاها هو الفردوس الأعلى، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها. وتبين لنا عباد الله أن رسولنا ﷺ هو أول من يقرع باب الجنة، وأن أمته هي أول الأمم دخولاً إلى الجنة.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن نعيم أهل الجنة.**

الجنة وما فيها من النعيم لا مثيل لها، سُئل ﷺ عن الجنة فقال ﷺ: «**لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**»(١) اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ [الإنسان: ٢٠].

ويقول ﷺ: «قال الله ـ تعالى ـ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾»(٢) [السجدة: ١٧].

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى وصف نعيم أهل الجنة كما وصفه لنا ربنا في كتابه، ووصفه لنا رسولنا ﷺ في سنته.

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٢٤٠.

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٧٢)، م: (٢٨٢٤).

عباد الله! لباس أهل الجنة في الجنة حرير، يلبسون الحرير والسندس والإستبرق، ويحلون فيها بالذهب والفضة واللؤلؤ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج: ٢٣].

● أما بالنسبة لطعام أهل الجنة، فقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١].

● أما بالنسبة لشراب أهل الجنة، فيقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ [محمد: ١٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَفِيهَا﴾ ـ أي: في الجنة ـ ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ [الزخرف: ٧١]، ويقول الله ﷻ لأهل الجنة: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]، ويقول الله ﷻ لأهل الجنة: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المرسلات: ٤٣، ٤٤].

عباد الله! أتدرون من يطوف عليهم بهذا الطعام وهذا الشراب؟ يقول الله ﷻ: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩].

أما بالنسبة لمساكنهم، فإنهم يسكنون في القصور والغرفات والخيام، يقول الله ﷻ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ [الفرقان: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

ويصف لنا رسولنا ﷺ هذه الغرف في الجنة، فيقول ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله** ﷻ **لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»(١).

أما بالنسبة لخيام الجنة فهي عجيبة، يقول الله ﷻ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢].

ويصف لنا رسولنا ﷺ هذه الخيام، فيقول ﷺ: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً**»(٢).

مساكنهم هذه فيها من الفرش ما لا يخطر لك على بال، يقول الله ﷻ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ [الرحمن: ٥٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]، وقال: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣]، وقال: ﴿سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: ٧٦] وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١].

- أما بالنسبة لنساء الجنة فقل ولا حرج، وصف ولا حرج.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ

---

(١) **حسن**: ت: (٢٥٢٧)، حم: (٥/٣٤٣)، خز: (٢١٣٧)، حب: (٥٠٩)، ك: (١/٤٦٦)، طب: (٣/٣٠١)، عب: (١١/٤١٨)، هب: (٣/٤٠٤)، [«ص.ج» (٢١٢٣)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٨٣٨).

مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٨].

ويقول ﷺ: «**ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها يعني: الخمار خير من الدنيا وما فيها**»(١)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، وهذه الزوجة من الحور العين تغار على زوجها وهو في الدنيا يقول ﷺ: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»(٢).

واعلموا عباد الله أن الزوجة الصالحة المؤمنة في الدنيا تكون مع زوجها يوم القيامة في الجنة، كما قال رب العزة: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد: ٢٣].

وتعالوا بنا لنستمع من كتاب ربنا إلى وصف الجنة كما وصفها الذي خلقها، فمهما وصفنا عجزنا عن وصف الجنة، ولكن تعالوا بنا لنستمع إلى كلام ربنا وهو يصف لنا الجنة، وما فيها من النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لعلنا نشتاق إلى الجنة، لعلنا نعمل من أجل الجنة، فكلنا أيقن بالجنة لكننا لا نكاد نرى لها عاملاً!!

يقول الله ﷻ في وصف الجنة: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٩٩).

(٢) **صحيح**: ت: (١١٧٤)، هـ: (٢٠١٤)، حم: (٥/٢٤٢)، طب: (٢٠/١١٣)، حل: (٥/٢٢٠)، [«ص.ج» (٧١٩٢)].

﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا
وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟
مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ
سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ
ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ
وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾
[الإنسان: ٥ ـ ٢٢].

ويقول ربنا جل وعلا في موضع آخر: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن
دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا
فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَىِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ
رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى
ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٤٦ ـ ٧٨].

يا أمة الإسلام! أبعد هذا الوصف من رب العالمين للجنة تتركون الصلاة وتأكلون الربا؟ أبعد هذا تتبرج نساؤكم!؟ أزهدتم في سلعة الله الغالية؟! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟! فوالله من حُرِمَ هذه الجنة فهو الشقي، ومن دخلها فهو السعيد.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى أهل الجنة وماذا سيقولون بعد أن دخلوا الجنة، ووجدوا فيها من النعيم ما لم يخطر لهم على بال.

قال تعالى على لسان أهل الجنة: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

عباد الله! وبعد هذا النعيم قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**»(١)، وعن النبي ﷺ ـ أيضاً ـ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟! قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ**»(٢).

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ـ وهي الجنة ـ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. والزيادة هي النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى في جنات النعيم.

اللهم اجعلنا من أهل الجنة ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم

* * *

(١) **صحيح**: خ: (٦١٨٣)، م: (٢٨٢٩).

(٢) **صحيح**: م: (١٨١).

١٤٩

الفرق بين نعيم الدنيا ونعيم الجنة

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عنْ نعيمِ الجنةِ، وتبينَ لنا عبادَ اللهِ أنَّ اللهَ ﷻ أعدَّ لعبادِهِ الصالحينَ في الجنةِ من النعيمَ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن «الفرق بين نعيم الدنيا ونعيم الجنة».**

والذي دفعني لذلك يا عباد الله أن كثيراً من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ يعملون ليلاً نهاراً من أجل نعيم الدنيا، ولكنهم نسوا نعيم الجنة، فأردت أن أكون لهم ناصحاً أميناً.

أولاً: اعلموا عباد الله أن الله ﷻ الذي خلق هذه الدنيا قد وصفها لنا في كتابه فذمها لنا وحذَّر عباده منها، والله ﷻ الذي خلق الجنة وصفها لعباده في كتابه ومدحها ودعا عباده إليها.

فيقول ربنا جل وعلا واصفاً الدنيا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد: ٢٠]، وصف ربنا الحياة الدنيا بأنها: لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد، إذاً فهذه هي الدنيا متاع الغرور، ثم قال تعالى محذراً عباده من هذه الدنيا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: ٥]، ويقول ﷺ محذراً من هذه الدنيا: **«فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما**

بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»(١).

ويقول ﷺ: «**إن الدنيا حلوةٌ خضرة، وإن الله ـ تعالى ـ مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»(٢).

• ويقول ربنا جل وعلا واصفاً للجنة مادحاً لنعيمها، وداعياً عباده إليها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٣، ٢٤].

عباد الله! والله ﷻ يقول في الحديث القدسي كما سمعتم: «**أعددت لعبادي الصالحين** ـ أي: في الجنة ـ **ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم**: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾»(٣) [السجدة: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

ثم دعا عباده إليها، فقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

عباد الله! الله ﷻ هو الذي خلق الدنيا وخلق الجنة، وقد وصف لنا الدنيا وذمها وحذر منها، ووصف لنا الجنة ومدحها ودعانا إليها.

فانظروا إلى أحوالنا اليوم، لمن نعمل؟ وعلى أي نعيم أقبلنا؟ كُلنا ـ إلا من رحم ربي ـ أقبل على نعيم الدنيا الزائل الذي وصفه الله ﷻ لنا في كتابه فذمه وحذرنا منه، لكننا للدنيا نعيش، وللدنيا نتعلم، وللدنيا

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٧٩١)، م: (٢٩٦١).
(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٠٧٢)، م: (٢٨٢٤).

نسافر، وللدنيا نفكر، فلا هم لنا إلا نعيم الدنيا، ونسينا الآخرة! فاستيقظوا عباد الله.

ثانياً: اعلموا يا معشر المسلمين أن نعيم الجنة خير وأبقى من نعيم الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾ [طه: ١٣١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضۡوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

ثالثاً: اعلموا عباد الله أن متاع الدنيا قليل بالنسبة لمتاع الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، ورسولنا ﷺ يقول: «**والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليَمِّ فلينظر أحدكم بم ترجع**»(١).

هذه هي قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة إذا وضع أحدنا أصبعه في اليم وأخرجه، فكم سيأخذ هذا الأصبع من البحر؟ هذه النقطة الصغيرة التي علقت بالأصبع هذه هي قيمة الدنيا، فانظر إلى قيمة هذه النقطة بالنسبة للبحر الواسع الكبير. ولذلك يقول ﷺ: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»(٢)، ولذلك عاب ربنا جل وعلا على الذين رضوا بمتاع الدنيا عن الآخرة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٥٨). (٢) **صحيح**: خ: (٣٠٧٨).

ٱلْـَٔاخِـرَةِۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِـرَةِ إِلَّا قَلِيـلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

رابعاً: اعلموا عباد الله أن متاع الدنيا زائل، وأن متاع الجنة باقٍ، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، المصيبة أننا انشغلنا بالذي ينفد ويزول، وتركنا الذي يبقى ويدوم، ولذلك يضرب لنا ربنا جل وعلا مثلاً لسرعة زوال الدنيا من أيدي أصحابها، فيقول ـ تعالى ـ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

هذه هي حقيقة الدنيا فإما أن تزول من أيدي أصحابها بسرعة هائلة، وإما أن يخرج الناس من الدنيا وقد تركوا نعيمها خلف ظهورهم، فمن منا يا عباد الله إذا مات ووضع في قبره أخذ شيئاً من أشياء الدنيا؟ لذلك قال ربنا جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ابن آدم! اعتبر بنفسك فأنت عندما جئت إلى هذه الدنيا جئت عريانَ، ثم أنت تخرج منها عريانَ، ابن آدم وكما أنهم يتصدقون عليك إذا جئت إلى الدنيا بقطعة من القماش يسترون بها عورتك، فكذلك يتصدقون عليك إذا خرجت من الدنيا بقطعة من القماش يسترون بها عورتك، هذا كل ما تأخذه من الدنيا يا عبد الله، وستترك المال والمنصب والجاه والسلطان وراء ظهرك.

ابن آدم! تذكر أن الدنيا زائلة، وانظر إلى ما ترى من الدنيا:

لا شيءَ مما ترى يبقَى بشاشتُه ... يبقى الإلٰهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغن عنْ هرمزٍ يوماً خزائِنهُ ... والخلدَ قدْ حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمَانَ إذ تجري الرياحُ له ... والإنسُ والجنُ فيما بينها تردُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بدَّ من ورده يوماً كما وردوا

الدنيا متاعها زائل، لكن انظر إلى كثير من الناس في هذا الزمان

تراهم قد عكفوا على نعيم الدنيا ونسوا الآخرة، ونسوا الجنة ونعيمها، وقد أخبرنا الله ﷻ أن نعيم الجنة باقٍ دائم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أي: لهي الباقية الخالدة الأبدية.

عباد الله! فليسأل كلٌ منا نفسه أيعمل لنعيم الدنيا أم لنعيم الجنة؟ والصادق مع نفسه يقول: أعمل الليل والنهار، وأحرص على نعيم الدنيا، لكن تذكر أن العاقل هو الذي يعلم أن نعيم الآخرة خالدٌ، باقٍ فهو يعملُ ليلاً نهاراً ليفوز بنعيم الآخرة، وتراه قد طلق هذه الدنيا الفانية:

إنَّ للهِ عباداً فُطنَا ... طلَّقُوا الدنيا وخافوا الفِتَنَا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليسَتْ لحَيٍّ وَطَنَا
جعلوها لجةً واتخذوا ... صَالِحَ الأَعمالِ فيها سُفُنَا

واعلموا عباد الله أنه لا تشابه بَيْنَ نعيم الدنيا ونعيم الجنة إلا تشابه الأسماء فقط، فعلى سبيل المثال: فكروا معي عباد الله في خمر الدنيا، وفي خمر الجنة ليتبين لكم الفارق.

• خمر الدنيا: حرَّمها اللهُ ورسولُه، كريهةُ الرائحةِ، خبيثةُ الطعمِ، تُذْهِبُ العقل، تضر بالجسم، بل هي أم الخبائث، من شرب خمر الدنيا وقع على أمه، أي: زنا بأمه وأخته وعمته وخالته، أي: أصبح كالحيوان بل أضل، أصبح لا يفرق بين الحلال والحرام.

• أما بالنسبة لخمر الجنة: فهي حلالٌ طيبةُ الرائحة، لذيذة الطعم، لا تذهب العقل ولا تضر بجسم الإنسان، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ ـ أي: في الجنة ـ ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن

مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٧].

عباد الله! وانظروا إلى نساء الدنيا ونساء الآخرة ليتبين لكم الفارق، نساء الدنيا يصيبها الحيض والنفاس، والحيض أذى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، المرأة في الدنيا تصاب بالحيض والنفاس، والمرأة في الدنيا أحياناً لا تطيع زوجها، وأحياناً تخرج من البيت بدون إذنه، وأحياناً إذا نظر إليها لا تسره، إلى غير ذلك مما نعلمه من نساء الدنيا.

● أما نساء الجنة فَهُنَّ: مطهرات، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]. مطهرات من الحيض والنفاس، مطهرات من الكلام الخبيث، مطهرات من منكر القول، فلا تسمع في الجنة إلا قيلاً: سلاماً سلاماً.

نساء الجنة حور مقصورات في الخيام، لا تخرج الواحدة منهن من خيمتها، ولا تنظر إلا إلى زوجها، لا تنظر يميناً وشمالاً إلى غير زوجها، قال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] وقال ـ تعالى ـ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢]، ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧]، يقول ﷺ: «**ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها**»(١).

فيا بائع هذا النعيم بنعيم الدنيا الزائل، أما تسمع قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]، أيها المشغول بالدنيا عن الآخرة اسمع عن نساء الجنة:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٩٩).

ولو تَفَلَتْ في البحرِ والبحرُ مالحٌ لأصبحَ ماءُ البحر منْ ريقها عَذْبا
فيا بائعاً هذا بنجس مُعَجَّلٍ كأنكَ لا تدري، بلى سوفَ تعلمُ
فإنْ كنتَ لا تدري فتلك مصيبة وإنْ كنت تدري فالمصيبةُ أعظم

إخوة الإسلام! تبين لنا بعد المقارنة بين نعيم الدنيا ونعيم الجنة، أن نعيم الدنيا زائل وقليل، ونعيم الجنة باقٍ وكثير.

عباد الله! الذي يعمل من أجل نعيم الدنيا سيخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، والذي يعمل من أجل نعيم الجنة سيفوز بنعيم الدنيا والآخرة وذلك هو الفوز المبين.

وبعد أن بيَّن الله لنا نعيم الدنيا، ووصفه وذمه وحذرنا منه، وبعد أن بيَّن الله لنا نعيم الجنة ووصفه ومدحه، ودعانا إليه، بيَّن لنا في كتابه مصير الذين أرادوا نعيم الدنيا، ومصير الذين أرادوا نعيم الآخرة، فاسمع يا عبد الله وانظر إلى حالك، ماذا تعمل وأيّ شيءٍ تريد؟ يقول الله ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، ويكفي أن الله ﷻ سماها العاجلة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فانظروا عباد الله، لا يريد إلا الدنيا؛ فهو حتى إذا دعا لا يطلب من الله إلا الدنيا﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

ويقول ربنا محذراً: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ١ ـ ٨]، ويقول ﷺ: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا**

إلا ما قدر له»[١].

أبعد هذا يا عباد الله تريدون الدنيا؟! لا. نقول لكم اعملوا للآخرة أكثر مما تعملون للدنيا، فإن الشرع والعقل يقول ذلك.

عباد الله! بعد أن تبين لنا أن نعيم الجنة دائم باقٍ أفلا يحتاج منا أن نعمل له بالليل والنهار؟! ونقول يا عباد الله: اعملوا للجنة أكثر مما تعملون للدنيا، واجتهدوا للجنة أكثر مما تجتهدون للدنيا، واحرصوا على الجنة أكثر مما تحرصون على الدنيا.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد اللهم قد بلغت اللهم فاشهد
اللهم قد بلغت اللهم فاشهد

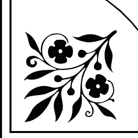
اللهم إنا نسألك رضاك والجنة

❁ ❁ ❁

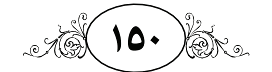
(١) **صحيح**: ت: (٢٤٦٥)، هـ: (٤١٠٥)، حم: (٥/ ١٨٣)، مي: (٢٢٩)، حب: (٦٨٠)، طب: (١١/ ٢٦٦)، [«ص.ج» (٦٥١٠)].



صفات أهل الجنة







صفات أهل الجنة

١ ـ الخوف من الله

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الفرق بين نعيم الجنة ونعيم الدنيا، وتبيَّن لنا عباد الله أن نعيم الجنة أفضل بكثير من نعيم الدنيا، وأن نعيم الجنة لا مثيل له كما أخبرنا جل وعلا في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[(١)].

وتبيَّن لنا عباد الله أن من دخل الجنة يوم القيامة كان هو الفائز، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع بداية الحديث عن صفات أهل الجنة.

ونحن في هذا اليوم سنتحدث عن الصفة الأولى من صفات أهل الجنة ألا وهي:

«الخوف من الله»

عباد الله! أهل الجنة دخلوا الجنة لأنهم كانوا في الدنيا يخافون من الله، فتعالوا بنا لنستمع إلى كلام ربنا وهو يخبرنا في كتابه أن أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يخافون من الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٧٢)، م: (٢٨٢٤).

رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم
بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ
﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا
تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾
[الطور: ١٧ ـ ٢٨].

يخبرنا ربنا جل وعلا عن مشهد من مشاهد أهل الجنة عندما دخلوا الجنة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ـ أقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون ـ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾.

عباد الله! إن الخوف من الله عز وجل سبب لدخول الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، ويقول ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»(١).

عباد الله! إذا قرأنا كتاب ربنا نجد أنَّ الله عز وجل يخوِّف عباده:

- فتارة يخوفهم من عذابه وعقابه وبطشه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٩٨].

- وتارة يخوِّف الله عباده من عذاب يوم القيامة، فيقول الله عز وجل:

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤٥٠)، ك: (٤/ ٣٤٣)، هب: (١/ ٥١٢)، حل: (٨/ ٣٧٧)، [«ص. ج» (٦٢٢٢)].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١]، ويقول الله ﷻ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل: ١٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢].

● وتارة يخوِّف الله عباده من عذاب جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

● وتارة يخوّف الله عباده بالموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

عباد الله! وتارة يخبر الله في كتابه أن الملائكة ـ وهم خلقٌ لا يعصون الله أبداً، ويعبدون الله بالليل والنهار ـ يخافون من الله! فيا بني آدم ألا تستحيوا من الله ﷻ فتخافوه؟!

قال تعالى في وصف الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

● ويخبر ربنا جل وعلا في كتابه عن الأنبياء، الذين هم صفوة الخلق لكنهم مع ذلك يخافون من الله.

قال تعالى بعد أن ذكر الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

● ويخبر ربنا جل وعلا في كتابه عن محمد ﷺ وهو أفضل الخلق عند الله ﷻ، عبدٌ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك يخاف

من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥].

ابن آدم! أيها العبد المتجرِّئ على معصية الله، اسمع ماذا يقول رسول الله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

● ويخبرنا ربنا جل وعلا عن الصحابة والصالحين أنهم يخافون من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦].

● وهذا رسولنا ﷺ يُخَوِّف أمته، فيقول ﷺ: «**أتسمعون ما أسمع**»؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال: «**إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم**»(١)، ويقول ﷺ: «**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش**»(٢)، ويقول ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله** ـ يعني: يوم القيامة ـ **ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ـ ولو بكلمة طيبة ـ**»(٣).

● الله ﷻ يخوِّف عباده، والرسول ﷺ يخوِّف أمته أتدرون لم؟ لأن الخوف من الله يدفع إلى الاستقامة، ويدفع إلى الطاعة والعمل الصالح، ويمنع من المعاصي.

عباد الله! إن الخائف من الله يحافظ على الصلاة في المسجد، والخائف من الله يُخْرِج زكاة ماله، والخائف من الله يصل الأرحام، والخائف من الله يبر والديه، والخائف من الله لا يقع في المعصية،

---

(١) **صحيح**: طب: (٣/ ٢٠١)، حل: (٢/ ٢١٧)، [«ص. ج» (٩٥)].
(٢) **حسن**: ت: (٢٣١٢)، هـ: (٤١٩٠)، حم: (٥/ ١٧٣)، ك: (٢/ ٥٥٤)، هب: (١/ ٤٨٤)، هق: (٧/ ٥٢)، حل: (٢/ ٢٣٦)، [«ص. ج» (٢٤٤٩)].
(٣) **صحيح**: خ: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦).

والخائف من الله لا يظلم، والخائف من الله لا يقطع الرحم، والخائف من الله لا يزني، والخائف من الله لا يأكل الربا، والخائف من الله لا يكون نماماً، والخائف من الله لا يأكل لحوم الأبرياء. الخوف من الله يدفع صاحبه إلى الطاعة ويمنعه عن المعصية، وبالمثال يتضح البيان:

الله ﷻ لما خوَّف عباده من الموت استقاموا على طاعة الله حتى الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

● ولما خوَّف الله عباده من يوم القيامة استعدوا لهذا اليوم، وتجهزوا وتزودوا له، واسمع ماذا يقول الله عنهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

● ولما خوَّف الله عباده من عذاب النار، قاموا طوال الليل يذكرون الله، ويصلون لله قياماً وركوعاً وسجوداً، يدعون الله أن يصرف عنهم عذاب جهنم، قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤]، فيا معشر المسلمين، هؤلاء هم أصحاب الجنة، ترى كيف ينامون؟ وكيف يبيتون؟ على شاشات المفسديون! أم على أفلام الفيديو الساقطة! أم في دور السينما والملاهي! أم في مجالس الغيبة والنميمة! فلينظر كل منا أين يقضي ليله؟ وعلى ماذا يسهر بعد العشاء، ابن آدم انظر إلى أهل الجنة كيف باتوا، واسمع إليهم ماذا يطلبون من الله؟ إنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ

عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

الخوف من الله يدفع إلى الطاعة، الخوف من الله يمنع من المعاصي، واللهِ الذي لا إله غيره ولا رب سواه، لو أن آكل الربا يخاف من الله ما أكل الربا، ولو أن المرأة المتبرجة التي باعت لحمها في الشوارع تخاف الله لاستحت أن تبيع لحمها للذئاب في الشوارع.

عباد الله! الخوف من الله يمنع من المعاصي، وبالمثال يتضح البيان:

الخوف من الله يمنعك من الزنا؛ لأن الزاني لا يخاف من الله، أما من ترك الزنا فهو الخائف من الله.

● هذا الذي دخل في الغار مع أولئك الثلاثة الذين دخلوا الغار يقول: «اللهم إنه كانت لي ابنة عم، وكنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمَّت بها سَنَةٌ من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلي بيني وبين نفسها ففعلت، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، يقول: اللهم إن كنت تركت الزنا من مخافتك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة»(١).

● وهذا يوسف عليه السلام وهو في بيت امرأة العزيز عندما راودته عن نفسه وغلقت الأبواب، وقالت: هيت لك، قال: معاذ الله، أي: إني أخاف من الله ـ حتى أنه قال: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه. ويقول ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله أن منهم: «**رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**»(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٥٢)، م: (٢٧٤٣)، انظر الخبر بتمامه.

(٢) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

• الخوف من الله يمنعك يا ابن آدم من ارتكاب جريمة القتل، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ﴾ الذي لا يخاف من الله ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ﴾ الذي يخاف من الله ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ [المائدة: ٢٨].

فماذا كانت النتيجة عند الذي لم يخف من الله؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة: ٣٠].

عباد الله! الخوف من الله سبب لسكنى الجنة، فالذين خافوا الله في هذه الدنيا، أَبدلهم الله أمناً يوم القيامة، وأدخلهم الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣].

عباد الله! وبهذا يتبين لنا أن من صفات أهل الجنة، أنهم في هذه الدنيا يخافون من الله، فيدفعهم هذا الخوف من الله إلى الطاعة وإلى الاستقامة، وإلى المسارعة بالأعمال الصالحة، ومنعهم خوفهم من الله من ارتكاب المعاصي.

فيا عبد الله، رَبِّ نفسك على الخوف من الله، واعلم بأن الله يراك، واعلم بأن الله مطلع عليك، واعلم بأن الله ﷻ ناظر إليك أينما كنت.

عباد الله! أما أهل النار فإنهم كانوا لا يخافون من الله، ولقد عاشوا في هذه الدنيا واتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا، وكانوا في هذه الدنيا مترفين، وكانوا يسخرون من المؤمنين، وكانوا يُصِرون على الحنث العظيم ـ أي: كانوا يصرون على المعاصي ـ، قال تعالى عن أصحاب النار: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا

بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧٥، ٧٦].

فأهل النار أمِنوا في هذه الدنيا فخافوا يوم القيامة، وأهل الجنة خافوا في الدنيا فأمِنوا يوم القيامة، ومن أراد أن يخشى الله ﷻ فعليه أن يتعلم العلم الشرعي علم الكتاب والسنة، وأن يبتغي بذلك وجه الله، وعليه أن يحفظ شيئاً من كتاب الله، فقد أخبرنا الله ﷻ بأن أشد الناس خشيةً لربهم هم العلماء، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

نسأل الله العظيم، رب العرش العظيم،
أن يرزقنا خشيته في السر والعلن





صفات أهل الجنة

٢ ـ إتباع سبيل المؤمنين

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الأولى من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الخوف من الله**»، وتبيَّن لنا عباد الله أن أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يخافون من الله، فدفعهم هذا الخوف من الله ﷷ إلى الاستقامة على طاعة الله، وإلى الابتعاد عن معصية الله.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثانية من صفات أهل الجنة ألا وهي: «اتباع سبيل المؤمنين».

عباد الله! إن للمؤمنين سبيل يوصل إلى رضا الله وإلى الجنة، وكذلك فإن للمجرمين سبيل يوصل إلى رضا الشيطان وإلى النار، والله ﷷ في كتابه بيَّن لنا سبيل المؤمنين بياناً واضحاً، ودعا عباده أن يسلكوه، وأخبرهم أن من سلكه وصل إلى الجنة، وبيَّن ربنا جل وعلا سبيل المجرمين كذلك بياناً واضحاً، وحذر عباده من أن يسلكوه، وأخبرهم أن من سلك سبيل المجرمين وصل إلى رضا الشيطان وإلى النار، كل ذلك عباد الله ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، كل ذلك عباد الله حتى لا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة.

عباد الله! أهل الجنة هم الذين استجابوا لربهم فسلكوا سبيل المؤمنين، واستقاموا عليه حتى ماتوا، ففازوا بجنة عرضها السماوات والأرض.

والسؤال الذي يرد علينا الآن هو:

من هم المؤمنون الذين أمرنا الله ﷷ أن نسلك سبيلهم؟

الجواب: إنهم صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوا سبيلهم بإحسان، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فتبيَّن لنا عباد الله من هذه الآية أن الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن سلك سبيلهم قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار، وأما من سلك سبيل المجرمين، وسلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين فمصيره إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

عباد الله! الصحابة ﷺ من المهاجرين والأنصار أخذوا من النبع الصافي، تعلموا هذا الدين العظيم من رسول الله ﷺ، فتعلموا القرآن من فيّ رسول الله ﷺ، وأخذوا السنة منه قولاً وعملاً وتقريراً، إنهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، قوم اختارهم الله لنصرة دينه، ولذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان مستناً فليستن بمن مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[1].

قال ـ تعالى ـ في وصف المهاجرين، والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ

(١) انظر: كتاب «لماذا اخترت المنهج السلفي» ص١٠٠.

أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠].

ورسولنا ﷺ يثني على أصحابه، ويحذر من الاعتداء عليهم، فيقول ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدِهم ولا نصيفه**»(١). ويقول ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يجيءُ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»(٢). بل لقد أمرنا ﷺ أن نسلك سبيلهم؛ لأنهم كانوا على الحق المبين، فقد وعظ ﷺ أصحابه يوماً موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً** ـ فماذا نفعل يا رسول الله إذا رأينا اختلافاً كثيراً؟ ـ **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٣)، ويقول ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٤).

عباد الله! من أراد الجنة فعليه بسبيل أصحاب رسول الله لأنهم كانوا على الحق المبين، إنهم قوم عبدوا الله ﷻ بدون إفراط ولا تفريط، كانوا يقفون مع الدليل وهو (قال الله) و(قال رسوله ﷺ) وأما منهجهم في

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤٧٠)، م: (٢٥٤٠).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٥٠٩)، م: (٢٥٣٣).

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (١٢٦/٤)، هق: (١١٤/١٠) [«ص. غ. هـ» (٣٧)].

(٤) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (٢١٨/١)، [«ص. ج» (٥٣٤٣)].

العقيدة، فإنهم كانوا يعتقدون أن الله ﷻ واحد في ربوبيته لا رب سواه، وواحد في ألوهيته فلا معبود بحق إلا الله، ويعتقدون أن الله ﷻ له أسماء وصفات تليق بجلاله، ويعتقدون أنها ليست كأسماء أو صفات المخلوقين، فهم يثبتون لله ﷻ من الأسماء والصفات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تأويل، ولا تكييف، ويعتقدون أن الله ﷻ استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله، استواءً ليس كاستواء المخلوقين، ويعتقدون أنه ﷻ غني عن العرش وما دون العرش، ويعتقدون أن الله ﷻ ينزل في كل ليلة في الثلث الأخير من الليل نزولاً يليق بجلاله، ويعتقدون أن أهل الجنة يرون ربهم يوم القيامة في الجنة، وهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بكل ذنب ما لم يستحله.

وأما ما يعتقدون في القضاء والقدر، فإنهم يعتقدون بأن علم الله ﷻ محيط بكل شيء، ويعتقدون أن الله ﷻ قد كتب مقادير الخلائق في كتاب عنده قبل خلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، ويعتقدون أن مشيئة الله نافذة في العباد فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ويعتقدون أن الله ﷻ هو خالق كل شيء.

• وأما منهجهم في العبادة فإنهم يعبدون الله ﷻ بما شرع في كتابه، وعلى لسان نبيه بدون إفراط ولا تفريط، ويعبدون الله ﷻ على علم، وهم يحبون السنة ويتمسكون بها بل ويحيونها بين الناس، ويحبون كل من أحب السنة وكل من أحياها، ويبغضون البدعة ويحذرون الناس من البدع ويبغضون أهل البدع والأهواء.

• وأما منهجهم في الدعوة إلى الله، فإنهم يدعون الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، يدعون الناس ببصيرة وعلم، فلا يكفرون أهل المعاصي ولا يقتلونهم، ويجادلون بالتي هي أحسن، ويبشرون الناس ويحذرونهم من عقاب الله انطلاقاً من قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

• وأما منهجهم في الجهاد: فإنهم إذا جاهدوا، جاهدوا في سبيل الله فهم يجاهدون فقط لإعلاء كلمة لا إله إلا الله، فهم يعلمون أن رسول الله ﷺ قد سُئِلَ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١)، فهم لا يجاهدون من أجل المناصب، ولا يجاهدون من أجل هذه الدنيا الفانية، إنما يريدون بجهادهم إعلاء كلمة (لا إله إلا الله).

عباد الله! وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا خرجوا للجهاد في سبيل الله عملوا بما أمرهم به رسول الله ﷺ بأن يدعوا الكفار أولاً إلى الإسلام، وبدون إكراه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فيكفر، وها هو تاريخ الإسلام وما سمعنا فيه أن أحداً دخل في الإسلام مكرهاً، لأنه لا إكراه في الدين، فالجيش المجاهد في سبيل الله إذا دخل بلاد الكفار دعاهم أولاً إلى الإسلام، فإن أسلموا وأصبحوا من المسلمين فقد عصموا دماءَهم وأموالهم وأصبحوا من المسلمين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فإن رفضوا الإسلام طالبوهم بالجزية وأن يدفعوها عن يدٍ وهم صاغرون، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]. فإن أعطوا الجزية كفوا عنهم ولم يقاتلوهم، فإن رفضوا الإسلام ورفضوا أن يدفعوا الجزية فقد قال ﷺ لأمير هذا الجيش: «**فاستعن بالله وقاتلهم**»(٢).

• فانظروا عباد الله إلى منهج الإسلام في الجهاد في سبيل الله وكيف يدعو الكفار أولاً إلى الإسلام، وهذا ما نبغي، نريد من الناس جميعاً أن يدخلوا في دين الله أفواجاً لينجوا من عذاب الله في الدنيا

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦٥٥)، م: (١٩٠٤).

(٢) **صحيح**: م: (١٧٣١).

والآخرة، فإن أبوا الإسلام، فعليهم أن يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فإن رفضوا الإسلام والجزية يقول ﷺ: «**فاستعن بالله وقاتلهم**»(١).

• وانظروا عباد الله إلى منهج الإسلام في قتال الكفار، يقول ﷺ للجيش الذي ذهب لقتال الكفار: «**قاتلوا من كفر بالله اغزو فلا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً**»(٢)، وكذلك لا تقتلوا النساء، ولا تحرّقوا أحداً بالنار، ولا تضربوا أحداً على وجهه.

• انظروا إلى المسلمين في أرض المعركة مع الكفار مع أعداء الإسلام، والنبيُّ ﷺ يقول لهم: لا تغدروا، ولا تمثلوا، أي: لا تمثلوا بجثث الموتى من الكفار بعد موتهم، ولا تقتلوا الولدان، ولا تقتلوا النساء وهؤلاء ما يسمون بلغة العصر (المدنيين)، أي: على الجيش المسلم إذا قاتل في سبيل الله أن لا يقتل إلا من قاتله، وعليه أن لا يقتل ولداً ولا امرأة لأنهم لا يدخلون في القتال، هذا هو الإسلام، وقد رأى رسول الله ﷺ في غزوة من الغزوات امرأة مقتولة فنهى أصحابه أن يقتلوا النساء، هذا هو الإسلام الذي يرحم الصبيان والولدان والنساء ولا يرضى بقتل (المدنيين) في المعارك، إنما يقتل من قاتله لإعلاء كلمة (لا إله إلا الله)، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: «**إن وجدتم فلاناً وفلاناً** ـ لرجلين من قريش سمّاهما ـ **فأحرقوهما بالنار**» ثم قال رسول الله ﷺ، حين أردنا الخروج: «**إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما**»)(٣)، وقال ﷺ: «ولا تضربوا أحداً على وجهه»، أي: على المسلم المجاهد في المعركة أَلَّا يضرب الكافر على وجهه، إنما يضربه في عنقه أو في بطنه أو في أي مكان؛ لأن هذا الوجه قد جعله الله ﷻ مكرماً لكل الناس فلا يجوز للإنسان أن يضرب إنساناً على وجهه، هذا هو الإسلام، هذا هو منهج

---

(١) المصدر السابق. (٢) المصدر السابق.

(٣) **صحيح**: خ: (٢٨٥٣).

الصحابة في عقيدتهم، وفي عبادتهم ودعوتهم، وفي جهادهم في سبيل الله، وسط بلا إفراط ولا تفريط، فعليكم ـ عبادَ الله ـ بمنهج الصحابة ﭫ لأنَّ الله أمرنا بذلك، والرسول ﷺ أوصانا بذلك قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥] وقال ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»(١).

عباد الله! اتباع سبيل المؤمنين سبب لدخول الجنة، ولكن اعلموا عباد الله أن هناك أعداء لهذا المنهج، ولهذا الطريق، ولهذا السبيل الذي يوصل إلى رضا الله والجنة، أحدثكم عن هؤلاء لتكونوا منهم على حذر:

العدو الأول: الكفار: فهم يريدون أن يصدوا الناس عن هذا السبيل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، الكفار ينفقون أموالهم بالليل والنهار لصد الناس عن سبيل الله، أخبرنا الله ﻷ بذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾ [العنكبوت: ١٢].

العدو الثاني: الكبراء والسادة من أئمة الضلال: قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾ [الأحزاب: ٦٦، ٦٧]. أئمة الضلال يدعون الناس إلى سبيل المجرمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٢٦٨.

كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

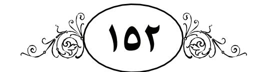
العدو الثالث: الشيطان: فالله ﷻ قال على لسان الشيطان: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، فالشيطان يصد الناس عن سبيل الله وعن هذا المنهج.

العدو الرابع: الهوى: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص: ٢٦].

العدو الخامس: قرين السوء وصاحب السوء، يقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]، فكونوا يا عباد الله من أعداء الإسلام ومن أعداء سبيل المؤمنين على حذر، وخذوا حذركم، وتعلّموا دينكم، واعتقدوا بالعقيدة الصحيحة، واسلكوا منهج صحابة رسول الله وكونوا على علم، وإذا فعل إنسان ـ أياً كان ـ عملاً مخالفاً للكتاب والسنة أو ابتدع سبيلاً غير سبيل المؤمنين فلنضرب بعمله هذا عرض الحائط.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة

❁ ❁ ❁



صفات أهل الجنة

٣ ـ عدم الاستجابة لقرناء السوء

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الثانية من صفات أهل الجنة ألا وهي «**اتباع سبيل المؤمنين**»، وتبين لنا عباد الله أن للمؤمنين سبيلاً يوصل إلى رضا الله والجنة، وللمجرمين سبيلاً يوصل إلى رضا الشيطان والنار. وتبين لنا أن أهل الجنة في الدنيا استجابوا لربهم، وسلكوا سبيل المؤمنين ظاهراً وباطناً وعقيدةً ومنهجاً، ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض، أخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ بذلك فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وأخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ أن كل من سلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين مصيره إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثالثة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «عدم الاستجابة لقرناء السوء».

عباد الله! أهل الجنة هم ممن كانوا في هذه الدنيا لا يستجيبون لقرناء السوء ولا لجلساء السوء إذا دعوهم إلى الكفر والعصيان، أو إلى مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ، فتعالوا بنا عباد الله لنسمع إلى كلام ربنا وهو يخبرنا عن أهل الجنة بأنهم كانوا في هذه الدنيا لا يستجيبون لقرناء السوء، ولا لجلساء السوء، يقول الله ﷻ: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الصافات: ٣٣ ـ ٣٩].

فهذا خطاب من الله ﷻ للمجرمين الذين كانوا في هذه الدنيا إذا قيل لهم: (لا إله إلا الله) يستكبرون، ثم استثنى ربنا ـ جل وعلا ـ من هذا العذاب عباده المخلصين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٤٠ ـ ٦١].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾، أي: أهل الجنة، وهم على السرر في جنات النعيم يخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ بأنهم قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، فقال رجل منهم: إني كان لي قرين، أي: إني كان لي صديق، إني كان لي صاحب ملحدٌ كافر لا يؤمن بالبعث ولا بالنشور، ولا بالجنة ولا بالنار، نعم لقد كان هذا القرين الكافر يشكك صاحبه بالبعث والنشور فيقول له ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾، أيّ أَإنا لمبعوثون مرة ثانية؟ لكن لم يستجب هذا المؤمن لهذا الكافر، وثبت على إيمانه وابتعد عنه، فكان مصير هذا المؤمن في جنات النعيم حيث سأل عن هذا القرين ـ أي: عن ذاك الصديق الكافر الذي كان لا يؤمن بالبعث ولا بالحساب ـ ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾

مخاطباً أهل الجنة؟ فاطلع هذا المؤمن فرأى ذاك القرين والصديق الكافر هناك في سواء الجحيم، هناك حيث جماجم تغلي، ولحم يحرق، وزقوم يُؤْكل، وحميم يصب على الرؤوس، فنظر في وسط هذا العذاب فرأى صاحبه هناك فقال هذا المؤمن: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

عباد الله! قص الله علينا ذلك لنكون على بينة وعلى علم بأن كل من استجاب لقرناء السوء فمصيره سيكون إلى النار، ومن لم يستجب لقرناء السوء ويثبت على عبادة ربه وعلى منهجه القويم حتى يلقى الله فمصيره إلى الجنة.

● ولذلك أخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ أيضاً عن صاحب استجاب لقرينه السيء، فأضله عن سواء السبيل، فانظروا إلى هذا المسكين الذي استجاب لقرينه الذي دعاه إلى الكفر بعد الإيمان، وإلى المعاصي بعد الأعمال الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]. وهذا ندم في وقت لا ينفع فيه الندم، عبادَ الله! لقد استجاب هذا الرجل لقرين السوء فٱنتكس على أم رأسه إلى المعاصي، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾ سواء كان من شياطين الإنس أو من شياطين الجن ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٩].

عباد الله! إن الاستجابة لقرناء السوء سبب لكل شر، وعدم الاستجابة لقرناء السوء وجلساء السوء سبب لكل خير، لذلك جاء الإسلام يأمر المسلمين بالاهتمام باختيار الأصدقاء، فلعل لكل منا صديق فلينظر أحدنا هل استجاب لربه في اختيار الصديق أم أنه يصاحب كل من هب ودب ولا هم له إلا الدنيا! فالصداقة والرابطة بين كثير من الناس إنما هي

من أجل مصالح الدنيا فقط، أما الصداقة والمحبة في الله ولله فهي نادرةٌ بين الناس إلا من رحم ربي.

يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨] أي: أصبر نفسك مع الصالحين، واجلس معهم، وعَلِّم من يريدون وجه الله، أي: لا تجالس قرناء السوء، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: إذا جلست مع قوم فألفيتهم يستهزئون بالدين، ويستهزئون بسنة رسولِ اللهِ ﷺ ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ أيْ: لا تجالسْهُمْ ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ورسولنا ﷺ يقول لكل مسلم: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(١)، ويقول ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢)، فانظر يا عبد الله من تخالل.

ويبين لنا ﷺ كيف يجب أن تكون العلاقة بَيْنَ المسلمين، فيقول ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(٣)، ويقول ﷺ: «**أوثق عُرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله ﷻ**»(٤).

● وهذا لقمان الحكيم يقول لابنه وهو يعظه: (يا بني تخير المجالس

---

(١) **حسن**: د: (٤٨٣٢)، ت: (٢٣٩٥)، حم: (٣/ ٣٨)، مي: (٢٠٥٧)، حب: (٥٥٤)، ك: (٤/ ١٤٣)، [«ص. ج» (٧٣٤١)].

(٢) **حسن**: د: (٤٨٣٣)، ت: (٢٣٨٧)، حم: (٢/ ٣٠٣)، ك: (٤/ ١٨٨)، لس: (٢٥٧٣)، هب: (٧/ ٥٥)، ، [«ص. ج» (٣٥٤٥)].

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/ ١٣٤)، ش: (٧/ ١٣٠)، هب: (٦/ ٤٩٢)، حل: (٦/ ٣١)، [«ص. ج» (٥٩٦٥)].

(٤) **صحيح**: طص: (١/ ٣٧٢)، [«ص. ج» (٢٥٣٩)].

على عينك، فإنْ وجدت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن كنت عالماً نفعك علمك، وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم، وإن وجدت قوماً يلهون ويلعبون ولا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً زادوك غياً، ولعل الله أن يطلع عليهم بنقمة فتصيبك معهم).

فهل ينصح أحدنا ولده أو ابنته بذلك؟! هل يقول له: تخير المجالس يا ولدي على عينك؟! هل كل منا يراقب ولده؟ هل كل منا يراقب ابنته؟ هل يا عبد الله يا من تصلِي هل تعلم أين يذهب ولدك؟ هل تعلم أين تذهب ابنتك وأختك؟ فتاة لم تبلغ بعد تدخن! تسكر! تقرأ كتب الجنس! تكتب رسائل الغرام والحب ولها علاقات مع الشباب وتقول: أفعل ذلك وأنا في السنة الرابعة من المدرسة! فأين أبوها؟ أين أخوها؟ هل تعلم أين تذهب ابنتك عندما تقول لك: أنا ذاهبة إلى صديقتي؟ هل سألت عن هذه الصديقة؟ عن صلاتها وأخلاقها ودينها، أين يذهب ولدك أسألت عن الذين يمشي معهم؟ انتبه؛ فإن كانوا يدخنون فإنه سيدخن، وإن كانوا لا يصلون فإنه لن يصلي، وما خفي كان أعظم؟ ولعل المقام لا يليق أن أذكر كل ما أسمع عبر الهاتف، فلينظر أحدكم من يخالل، لنتعلم من لقمان إذ يقول: يا بني تخير المجالس على عينك؟

ولعل البنت تخرج من البيت فلا تذهب إلى المدرسة! بل إلى لقاءات مع الشباب في الأزقة والطرقات وكلنا يرى ذلك! لعلك ترى الفتاة في المرحلة الابتدائية تقف مع شاب!! فيا عبادَ الله، ما لنا نسمع المواعظ وكل منا يرى بأن هذا الكلام ليس له، لا يا عباد الله، هذا كلام نوجهه للجميع فلينظر كلّ منكم من يخالل ولده، فلينظر أحدكم من تخالل ابنته، عباد الله، أما نتعلم من لقمان وهو يعظ ابنه، ويربيه وقد سجل الله مواعظه في القرآن لنعمل بها.

عباد الله! إلى متى ونحن طوال نهارنا وليلنا للدنيا!؟ ألا يلتفت أحدنا إلى تربية أولاده؟! كيف نرمي بهم في الشوارع؟!، إن الأولاد قبل

البلوغ يعرفون أشياءً واللهِ نحن في هذا السن الذي نحن فيه ما نعرفها، والسبب قرناء السوء، فهذه الفتاة التي لم تبلغ من أين عرفت هذه الكتب التي تُقْرَأُ فيها عن الجنس؟ كيف تعلمت الدخان؟ كيف تشتري هذه الحبوب التي يغيب بها عَقلُها؟ وهذه الفتاة التي تغلق على نفسها الباب وأبوها وأمها يظنان بأنها تدرس، وما يدرون ماذا تفعل إنها تكتب رسائل الغرام! فهل منكم من فتح حقيبة ابنته يوماً وتفقدها؟ هل منكم من حاول أن يخرج يوماً وراء ابنته لينظر أين تذهب؟ إنها تذهب في وقت المدرسة وتعود في وقت المدرسة، لكن أين كانت؟ مع الشباب في الأزقة والطرقات؟! إن الواحد لا ينتبه إلا بعد أن تحمل ابنته ويظهرُ حملها وعندها يقتلها، أهنا تظهر الرجولة؟! لا يا عبد الله استيقظ قبل فوات الأوان، استيقظوا يا عباد الله، واستجيبوا لأمر ربكم ولأمر رسولكم ﷺ، يقول القائل:

عن المرءِ لا تَسَلْ وسَلْ عَنْ قرينِهِ
فكلُ قرينٍ بالمقَارَن يَقْتَدِي

اسأل عنْ صاحب ٱبنِكَ لتعرفَ ولدك؛ فإن جليس السوء يضر ولا ينفع وضرره محقق في الدنيا الآخرة، أما الجليس الصالح فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، ولذلك يضرب لنا ﷺ مثلاً يبين فيه لكل إنسان مع من يجلس، ويوضح أنك إذا كنت تجلس مع الصالحين فستنتفع وستستفيد، وإذا كنت تجلس مع الطالحين فستندم، يقول ﷺ: «**إنما مَثَلُ الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»(١).

الجليس الصالح ينفعك على كل حال لِمَ؟ لأنه مرآة لك، ولذلك يقول ﷺ: «**المؤمن مرآة المؤمن**»(٢)، المؤمن يأمر صاحبه بالمعروف

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٢١٤)، م: (٢٦٢٨).

(٢) **حسن**: د: (٤٩١٨)، حم: (٢/ ٣٠٠)، خد: (٢٣٩)، هب: (٦/ ١١٣)، هق: (٨/ ١٦٧)، [«ص. ج» (٦٦٥٦)].

وينهاه عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

كم من إنسان كان تاركاً للصلاة ثم حافظ عليها بمجالسة الصالحين؟! كم من إنسان كان آكلاً للربا فتاب من أكل الربا بمجالسة الصالحين؟! كم من امرأة متبرجة تحجبت بمجالسة الصالحات؟ كم من إنسان قتل فتاب عن القتل بمجالسة الصالحين؟، أتذكرون ذلك الذي قتل مائة نفس ثم جلس مع العالِم جلسة واحدة فسأله عن التوبة فقال له: ومَنْ يحول بينك وبينها؟ وأمره ونصحه أن يترك بيئته السيئة ويرتحل إلى بيئة صالحة، فمات الرجل في الطريق ولم يسجد لله سجدة واحدة فدخل الجنة، واستفاد من مجالسة الصالحين.

إن الصديق الصالح إذا جلس معك وذكرتَ اللهَ أعانك، وإذا نسيت ذكَّرك، وإذا غبت عنه دعا لك بظهر الغيب ولم يأكل لحمك، وإذا مرضت عادك، وإذا احتجت ووقعت في كربة ساعدك، وقدم لك ما يملك من مساعدة لأنه يعرف أن من فرَّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

• الصديق الصالح إذا جلس عندك، وأنت في فراش الموت نفعك، لأنه سيقول لك: قل (لا إله إلا الله)، فتقول: (لا إله إلا الله) فتخرج من الدنيا على (لا إله إلا الله) فتدخل الجنة.

• وينفعك كذلك بعد الموت لأنه سيدعو لك ولن ينساك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

• ويوم القيامة الجليس الصالح والقرين الصالح لن ينساك أبداً! في يوم القيامة حيث تنقلب الصداقة إلى عداوة ولكن الصديق الصالح المؤمن لا ينقلب عليك عدواً يومها ولا ينساك ولا يتخلى عنك، يقول رب العزة:

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧]، ويقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ـ وذكر ﷺ: ـ «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»(١).

عباد الله! وبيَّن ﷺ أن جليس السوء كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة.

فالجليس السيىء يضرك في الدنيا والآخرة:

أما في الدنيا: فهو يأمرك دائماً بالمنكر، وينهاك عن المعروف، وإذا رأى فيك عيباً فلا يصلحه. ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ واصفاً المنافقين: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٍۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، كم من امرأة متحجبة جلست مع قرينة السوء فأمرتها بالتبرج؟ الكثير، كم من إنسان يخاف من الربا فجلس مع قرين السوء فأوهمه حِلَّ الربا بل وتكفل له بأن يكفله في البنك فورطه في الربا؟ كم من إنسان لم يعرف الزنا فوقع في الزنا وأصبح متعلقاً به بسبب قرناء السوء؟ كم من فتاة لا تعرف الحب والغرام فإذا صاحبت قرينات السوء علمنها كيف تكتب رسائل الحب والغرام؟ وكيف تأخذ الحبوب التي تجعلها تغيب عن الوجود، وكيف تدخن في خفية، وكيف تلتقي مع أحبتها وعشاقها، تدريب من قرناء السوء بالليل والنهار، والأمثلة كثيرة...

فرُبَّ شاب لم يعرف الدخان أصبح من المدمنين على الدخان بسبب جلساء السوء! ورُبَّ شاب كان يحافظ على صلاة الجماعة ويحضر دروس العلم فما هي إلَّا أيام وقد انقلب على أم رأسه بسبب قرناء السوء! قرين السوء يأمر صاحبه بالمنكر وينهاه عن المعروف، فيضر صاحبه في الدنيا، وعند الموت، والعاقل من اتعظ بغيره.

- هذا عم رسول الله ﷺ ينام في فراش الموت ويجلس ﷺ عنده

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٢٩)، م: (١٠٣١).

ويقول له: «**يا عم، قل (لا إله إلا الله) كلمة أشهد لك بها عند الله**»[١]، ولكن كان عنده أبو جهل فقال له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟[٢] أترغب عن ملة الأجداد؟ مت على ملتهم، فمات على ملتهم كافراً، فضره قرين السوء عند الموت. ويوم القيامة سيقول: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين.

فيا إخوة الإسلام! كلٌّ منا يراجع نفسه ليرى من يخالل، من يصاحب، من يجالس؟ كل منكم يعرف أصدقاءه وجلساءَه فإن كانوا صالحين فهو على خير، وإن كانوا طالحين فهو على خطر عظيم، فانظر أمع المدخنين تجلس؟ أمع الذين يستهزئون بكتاب الله وسنة رسوله تجلس؟ أمع الذين يدعون إلى التبرج وإلى الرجعية تجلس؟ مع من تجلس؟ إن كانوا عصاة فسيأمرونك بالمنكر وينهونك عن المعروف، وإن كانوا صالحين فسيأمرونك بالمعروف وينهونك عن المنكر.

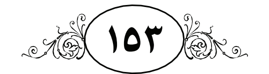
فيا إخوة الإسلام! من أراد الجنة فعليه أن يعلم أن أهل الجنة لا يستجيبون لجلساء السوء وقرناء السوء.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يباعد بيننا وبين قرناء السوء



---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٩٤)، م: (٢٤).
(٢) المصدر السابق.



صفات أهل الجنة

٤ ـ الدعاء

عباد الله! قال ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، لذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة، سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

ومودعنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الرابعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الدعاء».

عباد الله! إن أهل الجنة كانوا في الدنيا لا يدعون إلا الله، ولا يطلبون إلا من الله، ولا يرفعون أيديهم إلا إلى الله، فتعالوا بنا عباد الله لنستمع إلى أهل الجنة وهم يخبروننا عن ذلك، يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

عباد الله! أهل الجنة كانوا لا يتجهون بقلوبهم إلى عبد، ولا إلى صنم، ولا إلى ميت، إنما يتجهون بقلوبهم إلى الحي الذي لا يموت، فيطلبون منه كل ما أرادوا، فانظروا عباد الله إلى حالهم في الدنيا كما وصفهم رب العزة قال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦].

***عباد الله!* ولعل سؤالاً يدور في الأذهان وهو:**

لماذا أهل الجنة ـ وهم في الدنيا في دار العمل ـ كانوا لا يدعون إلا الله ولا يطلبون إلا من الله؟ ولا يرفعون أيديهم إلا إلى الله؟

الجواب: على ذلك يا عباد الله ـ لمن أراد أن يتصف بصفاتهم ليكون معهم في جنات النعيم ـ:

أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بدعائه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

ويقول ﷺ آمراً أمته بدعاء الله وحده: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»(٢).

ثانياً: لأن الله وعدهم بالإجابة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، يا ابن آدم، يخبرك رب العزة بأنك إذا دعوته استجاب لك ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

● ومن الأمثلة على الأدعية التي استجابها الله ﷻ لعباده هذا الدعاء العظيم الذي جاء في آخر سورة البقرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال الله ﷻ: نعم، أي: قد استجبت لكم.

● وهذا الدعاء الآخر الذي جاء في سورة آل عمران، قال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ

---

(١) **حسن لغيره**: ت(٣٤٧٩)، ك: (١/ ٦٧٠)، طس: (٥/ ٢١١) [«ص. غ، هـ» (١٦٥٣)].

(٢) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٨)، ك: (١/ ٦٧٠)، [«ص. غ. هـ» (١٦٣٤)].

عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾، يقول الله بعدها: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٢ ـ ١٩٥].

ثالثاً: لأن الدعاء من أعظم العبادات، يقول ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»(١)، ثم تلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]. فجعل الله ﷻ الدعاء عبادة. ويقول ﷺ: «**أفضل العبادة الدعاء**»(٢)، ويقول ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**»(٣)، ويقول ﷺ: «**أعجز الناس** ـ أي: المقصر ـ **من عجز عن الدعاء**»(٤).

رابعاً: أهل الجنة يدعون الله ﷻ وحده؛ لأن الله ﷻ يغضب على من لا يدعوه، ولذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ويقول ﷺ: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»(٥).

ابن آدم!

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجةً ... وسل الذي أبوابُهُ لا تُحْجَبُ
الله يغضبُ إنْ تركتَ سؤالَهُ ... وبُنَيُّ آدمَ حينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

إنك إن تطلب من الله بالليل والنهار لا يغضب عليك، وإذا طلبت من ابن آدم مرة تراه إذا أعطاك في المرة الأولى هرب منك واعتذر في

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٧٩)، ت: (٢٩٦٩)، هـ: (٣٨٢٨)، حم: (٤/٢٦٧)، حب: (٨٩٠)، ك: (١/٦٧٧)، خد: (٧١٤)، [«ص. ج» (٣٤٠٧)].

(٢) **صحيح**: ك: (١/٦٦٧)، [«ص. ج» (١١٢٢)].

(٣) **حسن**: ت: (٣٣٧٠)، هـ: (٣٨٢٩)، حم: (٢/٣٦٢)، حب: (٨٧٠)، ك: (١/٦٦٦)، خد: (٧١٢)، طس: (٣/٧٣)، [«ص. غ. هـ» (١٦٢٩)].

(٤) **حسن**: حب: (٤٤٩٨)، ع: (١٢/٥)، هب: (٦/٤٢٩)، [«س. ص» (٦٠١)].

(٥) **صحيح**: ت: (٣٣٧٣)، حم: (٢/٤٤٢)، ك: (١/٦٦٧)، خد: (٦٥٨)، طس: (٣/٤٧)، ع: (١٢/١٠)، [«ص. ج» (٢٤١٨)].

المرة الثانية، وفي المرة الثالثة أغلق بابه دونك، وفي المرة الرابعة عبس في وجهك، وفي المرة الخامسة اشتكى لك الفقر، فإياك أن تسأل بني آدم فإنهم فقراء، وسل الذي أبوابه لا تحجب، وتذكر أن الله يغضب عليك إذا تركت سؤاله، وبني آدم حين يسأل يغضب.

خامساً: أهل الجنة يسألون الله ﷻ وحده لأن الله هو الغني، ولأن الله هو الذي يسمع مَنْ دعاه؛ لأن الله هو الذي يعطي من سأله؛ لأن الله هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

يقول الله ﷻ مبيناً أنه هو الغني: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢]، الجواب من المؤمن الصادق: لا إله إلا الله.

فيا عباد الله! أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يدعون الله وحده، لِمَ؟ لأن الله أمرهم بذلك، ووعدهم بالإجابة، ولأن الدعاء من أعظم العبادات، ولأن الله إذا لم تسأله يغضب عليك، ولأن الله هو الغني، وهو السميع، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

فيا عباد الله! من أراد أن يكون من أهل الجنة فعليه أن يطلب من الله ﷻ، فتعالوا بنا لنتعلم من أهل الجنة، فإنهم كانوا يسألون الله الجنة، ويستعيذون بالله من النار، ويطلبون من الله أن ينجيهم من عذاب النار، يقول الله ﷻ واصفاً عباده الصالحين أنهم في دعائهم يقولون: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۝٦٦﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

ويقول ﷺ: «**من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار**»(١)، فإذا أردت الجنة فعليك أن تدعو بدعاء أهلها، وإذا أردت أن تنجو من النار فعليك أن تدعو بدعاء أهل الجنة، فتعلموا منهم واتصفوا بصفاتهم، ومن أراد الذرية الصالحة فلا يذهب إلى السحرة والمشعوذين، ولا يدعو الأموات وأصحاب القبور، إنما عليه أن يتعلم من أهل الجنة كيف كانوا يدعون الله ﷻ إذا أرادوا الذرية الصالحة يقول الله ﷻ عنهم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١]، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وإذا أعطاك الله الذرية وأردت أن يكونوا من الصالحين فادعُ بدعاء أهل الجنة وقل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤]، وادعُ بدعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠].

• وإذا وقعت في كرب وهَمٍّ فعليك بدعاء ذي النون عندما دعا وقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

• وإذا وقعت في فقر في هذه الدنيا وتخلَّىٰ عنك القريب والبعيد فادْعُ بدعاء موسى عليه السلام عندما ذهب إلى ماء مدين، وجلس في الظل توجه بدعاء حزين إلى رب العالمين فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ فانظروا عباد الله قد استجاب الله له بسرعة ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٤، ٢٥]، ففي الحال يا عباد الله تحصل موسى عليه السلام بهذا الدعاء على: زوجة صالحة وعمل صالح، وأمن وأمان لأنه طلب من الله ﷻ.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٧٢)، ن: (٥٥٢١)، هـ: (٤٣٤٠)، حم: (٣/ ٢٠٨)، حب: (١٠٣٤)، [«ص. ج» (٦٢٧٥)].

ابن آدم! إذا أثقل الدَّين ظهرك فعليك بهذا الدعاء: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عما سواك**»[١]، فلو كانت عليك ديون كالجبال قضاها الله تبارك وتعالى عنك.

ابنَ آدمَ! قم من الليل وقف بين يدي الله ﷻ وادْعُه فإن الله ﷻ يستجيب الدعاء، والله يعطيك سؤالك، ولكن لا تستعجل فإن الله ﷻ عاجلاً أو آجلاً سيستجيب الله لك، ٱبن آدم وأنت ساجد اطلب ما تريد، وإياك أن تتجه بقلبك إلى غير الله، إياك أن تعتقد أن المشعوذين والسحرة يعطون أو يمنعون، إياك أن تدعو الأموات من دون الله، وعليك بالحي الذي لا يموت.

عباد الله! ومن أراد منكم أن يستجيب الله لدعائه فعليه بما يلي:

أولاً: عليك أن تدعو الله ﷻ في الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات**»[٢].

فيا عبد الله، قم في هذا الوقت الذي ينام فيه الناس، وتوضأ وصلِ ركعتين؛ واطلب من الله ما تريد، إن أردت ذرية صالحة فاطلب من الله، وإن أردت صلاح الذرية فاطلب من الله، وإذا أردت علماً نافعاً فاطلب من الله، وإن أردت صحة ومالاً فاطلب من الله، فإن الله أمرك بدعائه ووعدك بالإجابة وهو قادر على أن يعطيك كل ما سألت.

● ادعُ الله ﷻ بين الأذان والإقامة. يقول ﷺ: «**الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة فادعوا**»[٣].

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٥٦٣)، حم: (١/ ١٥٣)، ك: (١/ ٧٢١)، بز: (٢/ ١٨٥) [«ص. ج» (٢٦٢٥)].

(٢) **صحيح لغيره**: ت: (٣٤٩٩)، [«ص. غ. هـ» (١٦٤٨)].

(٣) **صحيح لغيره**: د: (٥٢١)، ت: (٢١٢)، حم: (٣/ ١٥٥)، خز: (٤٢٥)، حب: (١٦٩٦)، [«ص. غ. هـ» (٢٦٥)].

• ادْعُ الله ﷻ في السجود، يقول ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»(١).

ثانياً: توسل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

سمع ﷺ رجلاً يدعو ويقول: اللهم إني أسألك يا الله (وفي رواية: بالله) (الواحد) الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله ﷺ عندما سمع ذلك: «**قد غُفر له، قد غفر له**»، ثلاثاً(٢).

ثالثاً: توسل إلى الله بالأعمال الصالحة، كما فعل أولئك الثلاثة الذين دخلوا الغار وأُغلق عليهم بالصخرة، فتوسل كل منهم بعمله الصالح فتوسل أحدهم ببره لوالديه فقال: «اللهم إن كنت تعلم أن هذا العمل ابتغاء وجهك الكريم ففرج عنا ما نحن فيه فتحركت الصخرة ولكن لم يستطيعوا الخروج، وتوسل الثاني بتركه الزنا مخافة من الله ﷻ فقال: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة ولكن لم يستطيعوا الخروج.

وقال الثالث: متوسلاً برد الحقوق إلى أصحابها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك الكريم ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون ونجوا من الموت المحقق لأنهم دعوا الله ﷻ وتوسلوا بالأعمال الصالحة»(٣).

رابعاً: إذا أردت أن يستجيب الله لك فعليك أن تأكل من الحلال وأن تشرب من الحلال، وأن تلبس من الحلال، فكثير من الناس في هذا

---

(١) **صحيح**: م: (٤٨٢).

(٢) **صحيح**: د: (٩٨٥)، ن: (١٣٠١)، حم: (٤/٣٣٨)، خز: (٧٢٤)، ك: (١/٤٠٠)، طب: (٢٠/٢٩٦)، [«ص. د» (٨٦٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢١٥٢)، م: (٢٧٤٣)، انظر الخبر بتمامه.

الزمان يملئون بطونهم من الحرام، ويشربون من الحرام، ويلبسون من الحرام، ويعيشون على الغش، ويعيشون على الرشوة والظلم والكذب ومع ذلك يرفعون أيديهم ويقولون: يا رب! ورسولنا ﷺ ذكر «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!**»[1].

فيا إخوة الإسلام! من أراد منكم أن يكون من أهل الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، وإذا أردت أن يستجيب الله لك فعليك بالأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، وتوسل بأسماء الله الحسنى، وتوسل بالأعمال الصالحة، وابتعد عن أكل وشرب الحرام، واتقِ الله في كل ما يدخل في بطنك وبطون أولادك، واعلم أن الجسم الذي ينبت من الحرام فالنار أولى به.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار



---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).



صفات أهل الجنة

٥ ـ التقوى

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الرابعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الدعاء**»، وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة في هذه الدنيا لا يدعون إلا الله، ولا يطلبون إلا من الله، ولا يرفعون أيديهم إلا لله؛ لأنهم علموا واعتقدوا أن الله وحده هو الذي يستجيب الدعاء، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾**﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الخامسة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «التقوى».

عباد الله! يخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة ـ وهم في الدنيا في دار العمل ـ كانوا يتقون الله ﷻ سراً وعلانية، بالليل والنهار، ففازوا بسبب ذلك بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الطور: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ [المرسلات: ٤١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ

وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦١ ـ ٦٣].

عباد الله! من خلال هذه الآيات يتبين لنا أن الذين يتقون الله ﷻ في هذه الدنيا سيسكنون الجنة في الآخرة، أما الذين لا يتقون الله ولا يعرفون التقوى، وأما الذين إذا قيل لهم: اتقوا الله أخذتهم العزة بالإثم، فهؤلاء يسكنون النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

عباد الله! أهل الجنة ـ وهم في هذه الدنيا ـ أمرهم الله ﷻ بالتقوى فقالوا: سمعنا وأطعنا واستجابوا لأمر ربهم، وأخذوا يتزودون بالتقوى في دنياهم، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨]، فلما أمرهم الله ﷻ بالتقوى والاستعداد ليوم القيامة نظر كل منهم في نفسه، وعلم بأن هذا اليوم يحتاج إلى زاد، كما قال رب العزة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ولكنهم عرفوا أن الزاد الذي ينفع عند الرحيل من هذه الدنيا إلى الآخرة هو زاد التقوى، كما قال رب العزة: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فأهل الجنة في دنياهم تزودوا بالتقوى بالليل والنهار سراً وعلانية، لكن لماذا فعلوا ذلك؟

أولاً: لعلمهم أن هذا الزاد هو الذي ينفعهم في سفرهم إلى الدار الآخرة.

ابن آدم:

تـزودْ مـنْ مـعـاشِـكَ لـلـمـعـادِ   وقـمْ للهِ واجـمـعْ خـيـرَ زادِ
ولا تـجـمعْ مـنَ الـدنيا كثيراً   فـإن الـمـالَ يُـجْـمَـعُ لـلـنـفـادِ
أتـرضـى أنْ تـكـونَ رفيـقَ قـومٍ   لـهـمْ زادٌ وأنـتَ بـغـيـرِ زادِ؟!

ثانياً: تزود أهل الجنة بالتقوى لأنهم يعلمون أن العمر قصير وأنهم يقتربون في كل لحظة من الأجل.

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ   وأيامُنَا تُطْوَىٰ وهنَّ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنَّهُ   إذا ما تخطتْه الأمانيُّ باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا   فكيفَ بهِ والشيبُ للرأس شاعلُ
ترحَّلْ منَ الدنيا بزادٍ منَ التقى   فعمرُكَ أيامٌ وهنَّ قلائلُ

ثالثاً: أهل الجنة تزودوا بزاد التقوى لعلمهم أن الموت يأتي بغتة.

تزودْ منَ التقوى فإنكَ لا تدري   إذا جَنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ من صحيحٍ ماتَ منْ غيرِ علةٍ   وكم من عليلٍ عاش حيناً من الدهرِ

عباد الله! أهل الجنة عندما قال الله لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨] استجابوا لأمر ربهم، وتزودوا لهذا اليوم بزاد التقوى.

● وعندما قال الله ﷻ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] استجابوا لأمر ربهم، وأخذوا يتزودون بزاد التقوى، بالصدق في دنياهم، وبمجالسة الصادقين؛ لأنهم علموا أن الصدق طريق إلى الجنة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤].

ويقول ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً..**»(١).

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

• وعندما قال الله ﷻ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠] فأمسكوا بألسنتهم عن الغيبة، وعن النميمة، وعن الكذب، وعن شهادة الزور، وعن الخوض في الباطل، وأطلقوا ألسنتهم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن، وفي ذكر الله ﷻ لأنهم علموا أن ذلك من القول السديد الذي أمرهم الله تعالى به.

• وعندما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، عبدوا الله ﷻ حق عبادته، وذكروا الله ولم ينسوه، فخرجوا من هذه الدنيا على أحسن حال.

عباد الله! أهل الجنة في الدنيا أمرهم الله بالتقوى فعملوا بها واستجابوا لأمر ربهم، أوصاهم الله بالتقوى فأخذوا بوصية الله وعضوا عليها بالنواجذ، ولذلك قطفوا الثمار في الدنيا والآخرة، فللتقوى ثمار في الدنيا، وثمار في الآخرة.

*** فمن ثمار التقوى في الدنيا:**

١ ـ إحياء القلوب: فعندما يتقِي الإنسان ربه يحيي الله ﷻ قلبه، وإذا أحيا الله قلبه فرق بين الحلال والحرام، وفرق بين الإيمان والكفر وبين التوحيد والشرك، وبين السنة والبدعة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]. والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، الذي ينقصنا اليوم هو أن نتقي الله ﷻ لنميز بين الحلال والحرام، والطيب والخبيث، لنميز بين التوحيد والشرك، فكثير من المسلمين اليوم لا يتقون الله فتراهم يأكلون الربا، ويظنون إنهم يحسنون صنعاً، وتراهم يسمحون لنسائهم بالتبرج، ويظنون أن ذلك هو التقدم والحرية، وتراهم يعصون الله ﷻ، والله ﷻ وضع لنا الحل في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾.

٢ ـ أن يجعل الله ﷻ للمتقي في هذه الدنيا مخرجاً من كل ضيق،

وأن يرزقه من حيث لا يحتسب: كما قال رب العزة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، نريد أن نجعل من هذه الآية عقيدة في قلوبنا، لا أن نكتبها على الجدران ولكن لنعمل بها لتكن عقيدة نموت عليها.

٣ ـ أن ييسر الله أمر المتقي له في الدنيا: فما من طريق يسلكه إلا وييسره الله له كما قال رب العزة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

٤ ـ التقوى تدفع صاحبها إلى الطاعة: ولذلك إذا وجدتم إنساناً يقبل على طاعة ربه بالليل والنهار، وعلى طلب العلم، وعلى حفظ القرآن فاعلموا بأن في قلبه تقوى.

٥ ـ التقوى تحول بينك وبين المعاصي: فالتقوى تمنعك من المعصية بل وتمنعك من أن تفكر في المعصية، فالتقي في هذه الدنيا إذا فكر في المعصية تذكر الوقوف بين يدي الله يوم القيامة فابتعد عن المعصية.

كما قال رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ومن ثمرات التقوى أنك إذا وقعت في المعصية أو اقترفت المعصية دفعتك التقوى إلى التوبة وإلى الرجوع إلى الله ﷻ قبل الموت، قال تعالى في وصفه للمتقين: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وذكر من صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وانظروا إلى هذا الذي همَّ أن يزني بابنة عمه فلما قدر عليها، وجلس بين رجليها كما يجلس الرجل مِنْ زوجته، قالت له الفتاة: اتقِ الله

ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فلما ذكرته بالتقوى قام ولم يزنِ بها، وترك لها العشرين ومائة دينار وقال: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فاستجاب الله له لأنه ترك الزنا مخافة من الله.

*** ومن ثمرات التقوى في الآخرة:**

١ ـ أنك تتحصل بالتقوى على رحمة الله: فالله ﷻ يوم القيامة لا يرحم إلا المتقين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أيها العاصي، أيها المجرم، أيها المفرط في جنب الله، أيها الآمن من مكر الله، اعلم بأن الله الذي أخبر عن نفسه بأنه غفور رحيم، أخبر كذلك بأنه شديد العقاب.

٢ ـ تكون يوم القيامة من أكرم الناس عند الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣ ـ التقوى تنجيك على الصراط من نار جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢].

٤ ـ التقوى تجعلك من أهل الجنة: كما قال رب العزة: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

عباد الله! التقوى لا تباع ولا تشترى، ولكن من أراد أن يتحصل على التقوى فعليه بما يلي:

أولاً: على الإنسان أن يجتهد بالليل والنهار، للتمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، أي: تمسكوا بما آتيناكم، أي: تمسكوا بالكتاب والسنة، واعملوا بما فيهما لعلكم تتقون، فكلما تمسكت بالكتاب والسنة تحصلت على التقوى.

ثانياً: عليك بالاجتهاد في عبادة الله ﷻ، فبالعبادة تتحصل على التقوى كما قال رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

والعبادة التي تتحصل منها على التقوى هي العبادة التي يتوفر فيها شرطان اثنان:

الشرط الأول: الإخلاص لله ﷻ في هذه العبادة.

الشرط الثاني: موافقة هذه العبادة لسنة رسول الله ﷺ؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1]، وقد جمع الله ﷻ بين هذين الشرطين في آخر آية من سورة الكهف: فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

ثالثاً ـ من أراد أن يتحصل على التقوى: فعليه بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً بما فيه، فالقرآن تجارة رابحة، يقول الله ﷻ مبيناً أن من تمسك بالقرآن وعمل بما فيه أورثه الله التقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

رابعاً ـ من الأمور التي يتحصل بها الإنسان على التقوى: إقامة حدود الله في الأرض، إقامة الحد على القاتل، إقامة الحد على السارق، إقامة الحد على الزاني، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩].

أمة الإسلام! أما آن الآوان أن نطبق شرع الله، لنتحصل على الأمن والأمان والتقوى. عبادَ الله! جربنا قوانين الشرق والغرب وما زادنا ذلك إلا طغياناً وخوفاً وضلالاً، أما آن الآوان أن نعود إلى شرع الله لنطبق حدود الله؟ لنعيش وأولادنا ونسائنا في أمن وأمان.

خامساً ـ ومن الأمور التي يتحصل الإنسان بها على التقوى: العلم الشرعي:

علم الكتاب والسنة، فأقبلوا على الكتاب والسنة لتميزوا بين الحلال

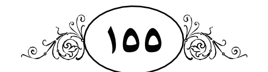
---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

والحرام، والطيب والخبيث، فالعلم الشرعي سبب للتقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

اللهم ارزقنا علماً نافعاً

* * *



صفات أهل الجنة

٦ ـ الاستجابة لله ولرسوله ﷺ

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الخامسة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**التقوى**»؛ وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة في هذه الدنيا كانوا لا همَّ لهم إلا أن يتزودوا بزاد التقوى، لأنهم قد علموا أن التقوى هي زادهم إلى الدار الآخرة، وقلنا: إنه يجب على العاقل في هذه الدنيا أن يتزود بزاد التقوى وهو في دار العمل لأن الموت يأتي بغتة ولأن العمر قصير.

تزودْ منَ التقوى فإنكَ لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكم من صحيحٍ ماتَ منْ غيرِ علةٍ وكم منْ عليلٍ عاشَ حيناً من الدهرِ

***عباد الله!* ومودعنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السادسة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الاستجابة لله ولرسوله ﷺ».**

عبادَ الله! أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا إذا أمرهم الله ﷻ أو نهاهم استجابوا، وقالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا أمرهم رسول الله ﷺ أو نهاهم استجابوا، وقالوا: سمعنا وأطعنا، ولما فعلوا ذلك فازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ـ أي: الجنة [الرعد: ١٨].

وقال تعالى مبيناً أن من أطاعه وأطاع رسوله دخل الجنة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ

وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].

ويقول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله: ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(١)].

عباد الله! وفي المقابل يبين لنا ربنا جل وعلا أن الذين لم يستجيبوا له، ولم يستجيبوا لرسوله ﷺ هم من شرار الخلق، ومصيرهم إلى النار، قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣] ويقول الله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

عباد الله! آيات بينات من كتاب ربنا تبين أن جزاء الذين استجابوا لربهم الحسنى أي: الجنة، وأن الذين لم يستجيبوا له لو أنهم امتلكوا مِلْءَ الأرض ومثلها معها يوم القيامة ذهباً وأرادوا أن يفتدوا بذلك كله من عذاب الله ما تُقُبِّلَ منهم وكان مصيرهم إلى النار.

عباد الله! **والسؤال المهم الذي يحتاج إلى جوابٍ هو:**

لماذا كان أهل الجنة في الدنيا يستجيبون لله وللرسول؟

أولاً: لأنهم آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيناً ورسولاً، ومن صفات المؤمنين الصادقين أنهم إذا أمرهم الله قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا أمرهم رسول الله قالوا: سمعنا وأطعنا، كما وصفهم ربنا في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثانياً: استجابوا لله ولرسوله؛ لأن الله أمرهم بذلك في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢].

ورسولنا ﷺ كان يربي أصحابه على السمع والطاعة لله ولرسوله، فتعلموا يا أمة الإسلام لأن السمع والطاعة من صفات المؤمنين، وعدم السمع والطاعة من صفات اليهود والنصارى، فالذين قالوا: سمعنا وعصينا هم اليهود والنصارى، أما الذين قالوا: سمعنا وأطعنا فهم المؤمنون، فعيب عليك أيها المؤمن أن تستمع لأمر الله وأمر رسوله ثم تغدو وكأنك لم تسمع، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (لما أُنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]،

قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ قال: فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكب فقالوا: أيْ رسولَ الله كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابيْن من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم. أنزل الله ﷻ في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قال: نعم، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قال: نعم)[(١)] [البقرة: ٢٨٦].

فانظروا عباد الله متى نزل الفَرَج؟ ومتى نزل التيسير؟ بعد أن قالوا: سمعنا وأطعنا، فوالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه هذا هو الذي ينقصنا اليوم يا معشر المسلمين، فإننا إذا قلنا لله ورسوله: سمعنا وأطعنا في كل ما أُمرنا تغيرت أحوالنا، وتبدلت أحوالنا وتغير هذا الوضع الذي نحن فيه، ولكن إذا سمعنا (قال الله) و(قال رسول الله) وكأننا لم نسمع ثم تولينا كالذين يسمعون وهم لا يسمعون فحالنا هذا لن يتغير.

عباد الله! لقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على السمع والطاعة، وقد ضربوا لنا مثلاً أعلى في السمع والطاعة لله ولرسوله وبالمثال يتضح البيان:

وإليكم هذه الأمثلة التي تبين الفرق بيننا وبين الصحابة، وكيف أنهم كانوا يستجيبون لله ولرسوله، ونحن اليوم لا نستجب لله ولا لرسوله ـ إلا من رحم ربي.

---

(١) **صحيح**: م: (١٢٥).

المثال الأول: عندما حرم الله الخمر، وكان من الصحابة من يشربها ويدمن عليها، ولكن عندما نزلت الآية التي حرم الله فيها الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩٢]، لما نزلت هذه الآيات التي تحرم الخمر تحريماً أبدياً، أرسل رسول الله ﷺ منادياً ينادي في شوارع المدينة: ألا إن الخمر قد حرمت: فماذا كان من الصحابة؟ أقالوا: بعد قليل نتركها، أقالوا: لقد أدمنا عليها فكيف نتركها، أقالوا: غداً نتركها، لا والله يا عباد الله ما كان منهم إلا أن قالوا: انتهينا ربنا انتهينا.

● عن أنس بن مالك ﵁ قال: (كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟! قال: فخرجت، فقلت: هو منادٍ ينادي ألا إن الخمر قد حرمت. فقال لي: اذهب فأهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة)(١) نعم، أراقوها في شوارع المدينة طاعة لله ولرسوله!

الله أكبر هكذا يفعل مَنْ تربىٰ في مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ، الذين تربوا على مائدة القرآن والتوحيد، وتربوا على السمع والطاعة لله ولرسوله، أما كثير منا اليوم ممن تربوا على السمع والطاعة للسادة والكبراء، فحالهم ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٦، ٦٧].

عباد الله! **مثال ثان** على السمع والطاعة عند الصحابة لنتعلم من صحابة رسول الله كيف كانوا في استجابتهم لله ولرسوله.

● لقد حرم الله على المؤمنات التبرج، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٣٤٤)، م: (١٩٨٠).

ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وأمر النساء بالحجاب: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، تلاها على الرجال في المسجد فسمعها الرجال، وانطلق كل منهم إلى بيته يتلوها على زوجته وابنته وأخته وأمه، فقامت كل امرأة إلى مرطها فشقته وغطت رأسها ووجهها فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها)(١).

عباد الله! كم سمعتم عن الحجاب؟ لكن ما هذا العري والسفور والتبرج الذي يخرج من بيوت المسلمين؟!

ابن آدم! لا تقل هذا الكلام ليس لي! بل هو لكل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر، فلعلنا نتساءل! صاحبة (الفيزون والشورت) التي باعت لحمها في الشوارع، من أي البيوت تخرج؟ أمن بيوت اليهود والنصارى، أم من بيوت المسلمين؟ يا أيها المصلي يا من تأتي إلى الجمعة وتسمع المواعظ، تسمع أم أنك لا تسمع؟ أم أنك تسمع وكأنك لا تسمع؟ ألهذا الحد ضاعت الشهامة والرجولة؟ ألهذا الحد وصلنا وضاعت منا الغيرة؟ ألهذا الحد وصلنا وضاع الإسلام من قلوبنا؟ حتى أصبح أرخص لحم يباع في الشوارع هو لحم النساء! عبادَ الله ما كان من الصحابة إلَّا أن سمعوا الآية حتى ذهب كل رجل إلى بيته يتلو على نسائه الآية، فما كان من كل امرأة منهن إلا أن قامت إلى مرطها فشقته فغطت وجهها ورأسها طاعة لله وطاعة لرسول الله ﷺ.

أيها المفرط في عرضك ستندم، فإن العرض لا يباع! المسلم العاقل الشريف يفرط في ماله وفي صحته وفي وظيفته ولا يفرط في عرضه، فيا من باعوا أعراضهم من أجل الأموال! يا من أصبحوا لا يستطيعون السيطرة على نسائهم أنسيتم أنَّ القوامة للرجل؟! الرجل هو الرجل في بيته، الرجل هو الذي يستر عرضه، فها هم الصحابة فلنتشبه بهم فالتشبه

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٨٠).

بالكرام فلاح، أما عندما تشبهنا بدول الغرب، وألبسنا نساءنا مثل نساء الغرب، فهذا حالنا: البلاء يصب على رؤوسنا، والضنك يدخل في بيوتنا ولا نعرف طعم السعادة، لأننا لا نستجيب لله ولا لرسوله.

مثال ثالث: في الإنفاق في سبيل الله، فلما أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، بادر الصحابة ﭫ إلى العمل بهذه الآية.

ولقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﭬ قال: (كان أبو طلحة ﭬ أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وأن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برّها وذُخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»، فقال أبو طلحة: أَفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)[١]، أما نحن اليوم فإن أحدنا لا يترك المحل استجابة لداعي الله للصلاة! لقد ضرب الصحابة مثلاً أعلى في الاستجابة لله ولرسوله، والجنة ما أعدت إلا لأمثال هؤلاء الذين إذا سمعوا أن الله حرم الربا تركوا الربا، الذين إذا سمعوا أن الله حرم الغيبة والنميمة تركوا الغيبة والنميمة لمثل هؤلاء أعد الله الجنة.

ثالثاً: كان أهل الجنة في هذه الدنيا يستجيبون لله ولرسوله لأنهم يريدون باستجابتهم تلك الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة والنجاة من الفتن، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

(١) **صحيح**: خ: (١٣٩٢)، م: (٩٩٨).

يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

رابعاً: استجابوا لله وللرسول ليتحصلوا على رحمة الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

فيا أمة الإسلام! استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، استجيبوا لربكم واتركوا الربا، استجيبوا لربكم واتركوا الخمر، استجيبوا لربكم واتركوا التبرج، استجيبوا لربكم واتركوا المعاصي، حتى تفوزوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض، فماذا تنتظرون يا عباد الله هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غناً مطغياً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر.

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها أنهم كانوا يستجيبون لله ولرسوله إذا دعاهم لما يحييهم.

عباد الله! والذي يمنع من الاستجابة للهِ ولرسوله ﷺ:

أولاً: الهوى، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ [القصص: ٥٠]، الذين يسمعون وكأنهم لا يسمعون، الذين يسمعون مراراً وتكراراً عن الربا مثلاً ولا يستجيبون ما منعهم إلَّا الهوى.

ثانياً: الشيطان، فإن من لم يستجب لله ولرسوله فسيستجيب للشيطان رغماً عن أنفه، قال تعالى عن الشيطان: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

عباد الله! بصدق انظروا معي إلى جُل المسلمين اليوم، الله ﷻ يأمر

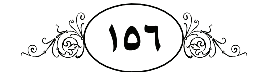
بالحجاب، والشيطان يأمر بالتبرج لمن استجابت النساء؟ انظروا إلى شوارع المسلمين، الله ﷻ يأمر بأكل الحلال والشيطان يأمر بأكل الحرام، لمن استجاب الناس؟ الله ﷻ يأمر بالطاعة والشيطان يأمر بالمعصية، لمن استجاب الناس؟ فما علينا اليوم إلا أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٥، ٦].

ابن آدم! بعد أن أخبرك الله في كتابه أنَّ الشيطان لك عدوٌ، فهل ستذهب وتتخذه ولياً من دون الله؟ قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه





صفات أهل الجنة

٧ ـ الوفاء بالوعد

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة السادسة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الاستجابة لله ولرسوله**» وعلمنا أنهم كان دائماً لسان حالهم سمعنا وأطعنا.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السابعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الوفاء بالوعد».

عباد الله! أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يوفون بالوعود والعهود والعقود.

وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يفعلون ما أمرهم الله ورسوله به، وكانوا لا يغدرون ولا يخونون العهود والمواثيق، لقد أوفوا بعهدهم مع الله، وأوفوا بعهدهم مع رسول الله، وأوفوا بوعدهم مع الناس، ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض، يخبرنا بذلك ربنا في كتابه فيقول الله ﷻ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ الذين من صفاتهم ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢٤].

عباد الله! هذه صفات عظيمة لأهل الجنة منها: «الذين يوفون

بعهد الله ولا ينقضون الميثاق»، والله ﷻ يبين مصير هؤلاء في آخر الآيات فيقول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤].

ويقول الله ﷻ مبيناً أن الوفاء بالعهد سبب لدخول الجنة وسكنى الفردوس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ ـ إلى أن قال رب العزة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

وفي المقابل يا عباد الله، أخبرنا ربنا جل وعلا أن الذين ينقضون العهود والمواثيق ملعونين في هذه الدنيا، ومصيرهم إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

عباد الله! إن الوفاء بالعهود سبب لدخول الجنة.

والسؤال الذي يحتاج إلى جوابٍ هو:

لماذا أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يوفون بالعهود والوعود؟

أولاً: لأن الله أمرهم بالوفاء بالعهد، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة: ١] أي: بالعهود، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ثانياً: لأنهم علموا بأن الله ﷻ أثنى على الذين أوفوا بالعهود في هذه الدنيا ومدحهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وبالمثال يتضح البيان:

فهذا صحابي جليل يضرب لنا أروع الأمثلة في الوفاء بالعهد مع الله، عن أنس رضي الله عنه قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدرٍ فقال: يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع! قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية)[1]. صدق بوعده، صدق بعهده مع الله، وأبلى بلاءً حسناً في المعركة ونال الشهادة.

ثالثاً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهد؛ لأن وفاء العهد من البر، والبر: اسم جامع لما يحبه الله من الأعمال والأقوال، وهو سبب مُوصِلٌ إلى التقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

رابعاً: أهل الجنة أوفوا بالعهود وهم في دار الدنيا؛ لأن الله عز وجل نهاهم عن نقض العهود، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦٥١)، م: (١٩٠٣).

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧]، فالويل لك أيها الناقض للعهد! الويل لك أيها الناقض للميثاق! الويل لك أيها الخائن! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥].

خامساً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهد في الدنيا وهم في دار العمل؛ لأن نقض العهد من صفات ومن شيم المنافقين، قال تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧]، ويقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»(١)، وفي مسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»(٢).

إخوة الإسلام! احذروا أن يكون فيكم من يتصف بنقض العهود والمواثيق فإن ذلك من شيم المنافقين، وليس من شيم وأخلاق المؤمنين، وليس من شيم أهل الجنة، يقول ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**»(٣).

عباد الله! إن أهل الجنة كانوا لا يغدرون، بينما المنافقون هم الذين يغدرون وقد غدروا على عهد رسول الله ﷺ ولا يزالون يغدرون حتى هذا الوقت وإلى يوم القيامة، فالمنافق يغدر ويخون العهد والميثاق، أما الذين آمنوا ورضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً فإنهم لا يغدرون.

سادساً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهود والعقود؛ لأنهم علموا بأن

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩).
(٢) **صحيح**: م: (٥٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٤)، م: (٥٨).

نقض العهود من صفات ومن شيم الكفار ومن أخلاق اليهود، فاليهود هم الذين يغدرون، فإنهم ما عاهدوا عهداً إلا غدروا وما أُخذ عليهم ميثاق إلا نقضوه. يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٥ ـ ٥٨].

سابعاً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهود والعقود؛ لأنهم علموا أن الذي ينقض العهد والميثاق لا دين له، يقول ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»(١)، فمن كان له دين كان له عهد، ومن لا دين له فلا عهد له، واذهبوا عباد الله إلى المحاكم والسجون وانظروا فلقد امتلأت السجون بالمساجين والسبب قلة الدين لأنهم نقضوا العهود والمواثيق، إنهم نقضوا العهد مع الله ومع رسول الله ومع الناس، فكان مصيرهم أن لعنهم الله وغضب عليهم فسكنوا السجون في الدنيا وسيسكنون جهنم يوم القيامة.

ثامناً: أهل الجنة كانوا يوفون بالعهد؛ لأنهم علموا أن الوفاء بالعهد سبب لدخول الجنة، وبذلك نالوها، فمن أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، يقول ﷺ: «**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»(٢).

أيها المؤمن! تذكر أن المؤمن قد يكون جباناً! والمؤمن قد يكون بخيلاً! لكن المؤمن لا يكون كذاباً أبداً.

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ١٣٥)، حب: (١٩٤)، طس: (٣/ ٩٨)، ع: (٥/ ٢٤٦)، ش: (٦/ ١٦٨)، هب؛ (٤/ ٧٨)، [«ص. ج» (٧١٧٩)].

(٢) **حسن**: حم: (٥/ ٣٢٣)، حب: (٢٧١)، ك: (٤/ ٣٩٩)، هب: (٤/ ٢٠٥)، هق: (٦/ ٢٨٨)، [«ص. ج» (١٠١٨)].

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها الوفاء بالعهد، وإذا نظرنا في هذا الزمان العجيب إلى كثير من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ وجدناهم وقد نقضوا العهد مع الله ومع رسول الله ومع الناس.

• فالله ﷻ عهد إلينا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً، فكم من الناس نقض هذا العهد وعبد غير الله وأشرك في عبادة الله؟! الكثير.

• عهد الله إلينا ألا نتبع الشيطان، وعهد إلينا ألا نعبد الشيطان، وبين لنا أن الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٥، ٦]. ومع ذلك فإن الكثير من الناس قد نقض العهد، وسلك سبيل الشيطان، ويوم القيامة يقول الله ﷻ موبخاً لهؤلاء: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٢].

• عهد الله إلينا في كتابه ألا نأكل الربا ولا نشرب الخمر، فكم من الناس من نقض هذا العهد؟! يا آكل الربا أنت ناقضٌ للعهد مع الله، ويا شارب الخمر أنت ناقض للعهد مع الله، أيتها المرأة المتبرجة لقد نقضت العهد مع الله، أيها المغتاب والنمام والكاذب لقد نقضتم العهد مع الله.

• وقد عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نتبع سنته، وأن نسلك سبيله، فقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ**»[1]، وقال ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في**

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (١٢٦/٤)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، [«ص. غ. هـ» (٣٧)].

النار إلا ملة واحدة» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(١)، ومع ذلك فالكثير من الناس نقضوا العهود والمواثيق مع رسول الله، واتبعوا سبلاً سلكوها خلف الشيطان.

• عهد إلينا رسول الله ﷺ ألا نبتدع في الدين، ومع ذلك ابتدعنا في الدين قال ﷺ: «**وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»(٢).

• عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نطيعه ولا نعصيه، فقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(٣).

فكم من المسلمين أبى وخان العهد مع رسول الله؟

أما نقض العهود مع الناس فقل وحدَّث عن ذلك ولا حرج، فغالب الناس قد نقضوا العهود والمواثيق، حتى لقد أصبحت لا تسمع في العشيرة ولا في القرية إلا عن رجل واحد هو الذي يوفي العهد يبتغي بذلك وجه الله، ففي هذا العصر العجيب أصبح التاجر البارع اليوم بين الناس هو الذي يكتب (الشيكات) وينقض العهد، والبارع هو الذي يبيع ولا يوفي ويشتري ولا يوفِي، فحاله كذب وافتراء على الناس، حتى إذا مر تاجر صادق ضحك عليه بعضهم واتهموه بالشذوذ والجنون لأنه يتقي الله ﷻ، لقد أصبح الحرام هو ما أحله الله! وأصبح الحلال عند الناس هو ما حرمه الله ﷻ! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد: ٢٥].

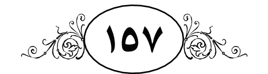
اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

---

(١) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، [«ص. ج» (٥٣٤٣)].

(٢) **صحيح**: ن: (١٥٧٨)، خز: (١٧٨٥)، حل: (٣/ ١٨٩)، [«ص. ج» (١٣٥٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).



١٥٧

صفات أهل الجنة

٨ ـ صلة الرحم

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة السابعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الوفاء بالوعد**»، وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا في دار العمل يوفون بعهدهم مع الله ويوفون بعهدهم مع رسول الله، ويوفون بعهدهم مع الناس ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثامنة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «صلة الرحم».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في الدنيا في دار العمل كانوا يصلون أرحامهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢٤]، آيات بينات يصف لنا ربنا فيها أهل الجنة ويذكر من صفاتهم أنهم كانوا في هذه الدنيا في دار العمل يصلون ما أمر الله به أن يوصل، فكانوا يصلون أرحامهم.

عباد الله! والسؤال الذي نجيب عنه الآن هو:

لماذا أهل الجنة وهم في الدنيا في دار العمل كانوا يصلون أرحامهم؟

الجواب أولاً: لأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا بد أن يصل رحمه، يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**»(١)، ويقول رب العزة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ثانياً: لأن الله أمرهم بذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١].

ويقول أبو ذر رضي الله عنه: (أوصاني خليلي ﷺ بسبع ـ وذكر منها ـ: وأن أصل رحمي وإن جفاني)(٢)، ويقول ﷺ آمراً بصلة الأرحام: «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(٣).

ثالثاً: لأنهم علموا أن صلة الرحم تزيد في الرزق، وأنها سبب لطول العمر. يقول ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رَحِمَهُ**»(٤).

رابعاً: لأنهم يخافون سوء الحساب يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾. فالواصل للرحم يخاف من سوء الحساب يوم القيامة، والقاطع للرحم يا ويله في الدنيا قبل يوم القيامة؛ فالله سائلنا يوم القيامة عن

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٨٧).

(٢) **صحيح**: حب: (٤٤٩)، طب: (٢/١٥٦)، هب: (٦/٩٣)، [«ص. غ. هـ» (٨١١)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٤٨٥)، هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٤/١٧٦)، ش: (٥/٢١٧)، هب: (٦/٤٢٤)، [«ص. ج» (٧٨٦٥)].

(٤) **صحيح**: خ: (٥٦٤٠)، م: (٢٥٥٧).

أرحامنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

يا قاطع الرحم اتقِ الله، وٱعلم أن «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**»[١].

خامساً: لأنهم قد علموا أن صلة الأرحام سبب لسكنى الجنة، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال ﷺ: «**تعبدُ الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»[٢]، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[٣].

سادساً: لأنهم علموا بأن الله تعالى تكفل للرحم بأن من وصلها وصله ومن قطعها قطعه، يقول ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعهُ الله**»[٤]. ويقول ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلكِ وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأوا إن شئتم:** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾»[٥] [محمد: ٢٢ ـ ٢٤].

فاعلم أيها الواصل للرحم أنك موصول إلى كل خير، واعلم أيها القاطع للرحم أنك مقطوع عن كل خير.

ولعلنا نرى من آثار هذه القطيعة على القاطع للرحم ما فيه العجب

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٥٥).
(٢) **صحيح**: خ: (١٣٣٢)، م: (١٣).
(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٣١٦.
(٤) **صحيح**: م: (٢٥٥٥).
(٥) **صحيح**: خ: (٤٥٥٢)، م: (٢٥٥٤).

في الدنيا قبل الآخرة، فلعلنا نرى فقراً، دماراً، ضنكاً في المعيشة، وتراه لا يعرف طعم الحياة، هذا كله نراه بأُم أعيننا في العاق لوالديه وفي قاطع الرحم.

سابعاً: أهل الجنة يصلون أرحامهم؛ لأنهم علموا أن قاطع الرحم ملعون، يقول الله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

ثامناً: أهل الجنة يصلون أرحامهم؛ لأنهم علموا أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة، يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(١) يعني قاطع رحم.

عباد الله! اتقوا الله في أرحامكم، وإياكم والقطيعة، وأعظم القطيعة يا عباد الله قطيعة الوالدين، يقول الله ﷻ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، أحب الأعمال إلى الله بعد عبادته هي بر الوالدين.

عباد الله! إن عقوق الوالدين من الكبائر، يقول ﷺ: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين... ...**»(٢)، ويقول ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يَسُبُّ الرجُلُ أبا الرجل فيسُبُ أباه، ويَسُبُ أُمه فَيَسُبّ أُمه**»(٣).

عباد الله! فما الذي نراه في هذا الزمان العجيب؟! الصحابة حين تعجبوا من رجل يشتم أباه بيّن لهم الرسول ﷺ أن هذا لا يكون، وإنما

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٣٨)، م: (٢٥٥٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٢٨)، م: (٩٠).

يسب أحدهم أبا الرجل فيسب أباه، أما أن يسب الرجل أباه مباشرة في وجهه، فلا؛ لأن المسلم قد قال الله له: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فما بالنا بهذا الزمن العجيب وبالذي نسمعه يا عباد الله، أيعقل هذا من مؤمن؟ أيُعقل هذا من إنسان آمن بالله واليوم الآخر، فهذا يغضب في وجه والديه، وهذا يشتم والديه مباشرة، وهذا يتهم والديه بالجنون، وأما هذا فيضرب والديه، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل هناك من يقتل والديه!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! إياكم والقطيعة، وأعظم القطيعة قطيعة الوالدين، ويا ويلك يا من عققت والديك، والله لقد فاتك أجر عظيم، لقد ارتكبت جرماً كبيراً، ويا ويلك في الدنيا قبل الآخرة، واعلم أنك كما تدين تدان وكما تفعل في والديك وفي أرحامك فسيُفعل بك قبل الموت.

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها أنهم يصلون أرحامهم، وها قد عرفتم لماذا كانوا يصلون أرحامهم.

عباد الله! اعلموا أن صلة الأرحام قربة يتقرب بها العبد إلى ربه، واعلموا أن صلة الأرحام واجبة على كل مسلم، وإذا نظرنا في هذا الزمن العجيب إلى كثير من الناس رأيناهم لا يصلون أرحامهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٣]، وهناك من الناس مَنْ لا يصلون أرحامهم إلا إذا وصلوهم وهذه ليست بصلة إنما هذه مكافأةٌ فمن أحسن إليك أحسنت إليه، ولكن الصلة هي أن تصل من قطعوك يقول ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمُهُ وصلها**»[1]، هذا هو الواصل الحقيقي الذي إذا قطعته رحمه وصلها: أي إذا قطعوك وصلتهم وإذا أساءوا إليك أحسنت إليهم، فكم من الناس من

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٤٥).

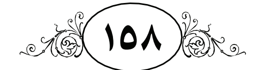
قطع أباه وأمه وقطع رحمه لأنهم لا يصلونه! ويبين لنا رسول الله ﷺ ذلك حين جاءه رجل فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»[١].

عباد الله! اعلموا أن صلة الأرحام واجبة عليكم وأنها قربة منكم إلى ربكم وأنكم بها تدخلون الجنة.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: م: (٢٥٥٨).



صفات أهل الجنة

٩ ـ الصَّبـر

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الثامنة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**صلة الأرحام**»، وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا يصلون أرحامهم لأنهم قد علموا أن صلة الأرحام توصل إلى رضا الله والجنة، وتبين لنا أن قطيعة الرحم توصل إلى غضب الله والنار.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة التاسعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الصبر».

عباد الله! يخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يصبرون على طاعة الله، ويصبرون عن معصية الله، ويصبرون على الابتلاء والمحن.

فالإنسان في هذه الدنيا خلق لعبادة الله، فإذا أمر الله بالصلاة صبر أهل الجنة على الصلاة حتى أتاهم اليقين، وإذا أمرهم بالصيام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صبروا على ذلك حتى أتاهم اليقين، وإذا نهاهم الله ﷻ عن المعاصي وارتكاب المحرمات ابتعدوا عنها وصبروا عنها ابتغاء وجه ربهم، وكذلك إذا ابتلوا في هذه الدنيا في أموالهم أو في أجسادهم أو أولادهم صبروا على ذلك، ولذلك وصف الله عباده أهل الجنة بأنهم كانوا يصبرون ابتغاء وجه ربهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ

وَذُرِّيَّتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

عباد الله! **والسؤال المهم الذي نجيبُ عليه الآن هو:**

لماذا أهل الجنة وهم في هذه الدنيا في دار العمل كانوا يصبرون ابتغاء وجه ربهم؟

الجواب أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بالصبر في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، ولأن الرسول ﷺ أمرهم بالصبر في سنته.

• مر ﷺ على امرأة وهي تبكي عند قبر فقال ﷺ آمراً إياها: «**اتقي الله واصبري**»(١).

• وقال ﷺ لأصحابه يوماً: «**فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»(٢).

• وأرسل ﷺ إلى ابنته يعزيها ويقول لها ﷺ: «**إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمًّى، فلتصبر ولتحتسب**»(٣).

فالله أمر عباده بالصبر، والرسول ﷺ أمر أمته بالصبر، ولأجل هذا فأهل الجنة استجابوا لله وللرسول فصبروا حتى أتاهم اليقين.

ثانياً: أهل الجنة في هذه الدنيا وهم في دار العمل صبروا؛ لأنهم علموا أن الخير كله في الصبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٦ ـ ١٢٨]، وها هم أهل العلم

---

(١) **صحيح**: خ: (١١٩٤)، م: (٩٢٦).
(٢) **صحيح**: خ: (٣٥٨١)، م: (١٨٤٥).
(٣) **صحيح**: خ: (١٢٢٤)، م: (٩٢٣).

يقولون لأهل الدنيا الذين قالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾، قالوا لهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

ويقول ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمرهُ كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**.. ومن يتصبر يصبرهُ الله، وما أُعْطِي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»[(٢)].

ثالثاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا في دار العمل صبروا؛ لأنهم علموا أن عاقبة الصبر هي التمكين والنصر على الأعداء، ولذلك ضرب لنا ربنا جل وعلا مثلاً في كتابه بيوسف عليه السلام حيث صبر على الابتلاء من إخوته عندما وضعوه في البئر، وصبر على الابتلاء وهو يرى نفسه يباع بثمن بخس دراهم معدودة، وصبر على الابتلاء في السجن، ومع ذلك خرج من السجن حفيظاً على خزائن بلاد مصر، ولذلك لما دخل عليه إخوته قال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٨٩، ٩٠] فمكنه الله في الأرض لأنه صبر.

وقال رسولنا ﷺ لابن عباس: «**يا غلام... واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

(٢) **صحيح**: خ: (١٤٠٠)، م: (١٠٥٣).

(٣) [«رياض الصالحين»/ تحقيق الشيخ الألباني رحمه الله تحت الحديث رقم (٦٣)].

يا دعاة الإسلام، ويا معشر المسلمين، النصر يكون مع الصبر ولا يكون مع التهور والاستعجال، فها هو خباب بن الأرت يقول يوماً لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو لنا؟! فيقول ﷺ: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيُجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[(١)].

فالصَّبرَ الصبرَ يا دعاة الإسلام، كفانا استعجالاً، كفانا عاطفة هدّامة، فكم من دعاة الاستعجال قد ورّطوا الشباب؟ ودعوا الشباب إلى طرق مسدودة وملئوا السجون بالشباب، ووضعوا الشباب في ابتلاء لا يقدرون عليه، فهؤلاء الدعاة لم يصبروا كما أمرهم الله، ولم يصبروا كما أمرهم رسول الله، أما يقرأون القرآن، والله ﷻ في كتابه يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ويقول له في موضع آخر: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٤]، ويقول له في موضع ثالث: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم ٤٨]، ويقول له أيضاً: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨].

فيا معشر المسلمين، النصر على الأعداء يكون بالصبر، والتمكين في الأرض يكون بالصبر، أما الاستعجال فإنه قطفٌ للثمار قبل نضجها، وتضييعٌ للجهود والأوقات، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وانظروا إلى البلاد التي استعجلت النصر على الأعداء ـ بعاطفتها ـ فقد ضيعوا الشباب، وضيعوا الدعوة إلى الله، وضيعوا الأمة بسبب أنهم لم يصبروا، ولو أنهم أخذوا بنصيحة رسول الله ﷺ عندما قال لخباب: «**ولكنكم تستعجلون**»، ما أصابهم ما أصابهم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

خامساً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا في دار العمل صبروا، ليتحصلوا على محبة الله، وليتحصلوا على معية الله، فالله ﷻ يحب الصابرين، وهو ﷻ مع الصابرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فإذا كان الله معنا، وإذا أحبنا الله لأننا صبرنا فالله ينصرنا لأن النصر من عند الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

سادساً: لينجُّوا بأنفسهم من الخسران المبين؛ لأن الله ﷻ كتب الخسران على جنس بني آدم واستثنى من ذلك أربعة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

فالذين نجوا من الخسران هم الذين آمنوا بالله، وعملوا، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر وصبروا على ذلك، ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان: ١٧].

● فإن نجوا من الخسران المبين نالوا الفلاح في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

سابعاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا في دار العمل صبروا، لينالوا ويتحصلوا على الإمامة في الدين، والإمامة في الدين أن تكون إماماً للناس في كل خير وهذه مرتبة دينية عظيمة لا ينالها إلا العلماء، الصابرون، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

فكم من الناس بدأ في دروس العلم ثم تركها لأنه لم يصبر؟! كم

من الناس من بدأ في حفظ القرآن لكنه تركه لأنه لم يصبر؟ كم من الناس من كان يصلي ثم ترك الصلاة لأنه لم يصبر؟ كم من الناس كان يأكل الحلال ثم تركه وأكل الحرام لأنه لم يصبر؟ فإن أردت أن تكون إماماً يقتدى بك في كل خير فلا تنسى أن هذا يحتاج منك إلى صبر وإلى سهر في الليالي وإلى صيام في النهار؛ لأن علم الشريعة يحتاج إلى رجال يطلبونه بالليل والنهار.

وقد قيل: بالصبر واليقين تنال الإمامة بالدين.

ثامناً: أهل الجنة صبروا، ليتحصلوا على الأجر الكبير يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فكل من صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على الابتلاءات والمحن في هذه الدنيا فإنه يوم القيامة سيأخذ أجره بغير حساب، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها: الصبر، فمن أراد الجنة فعليه أن يصبر في هذه الدنيا ابتغاء وجه ربه.

• فالصبر طريق وسبيل إلى الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الفرقان: ٧٥]، أي: الجنة ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ١٢].

ويقول ﷺ: «قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه** ـ أي: بعينيه ـ **فصبر، عوضتُهُ منهما الجنة**»(١).

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٢٩).

وجاءت امرأة سوداءُ إلى رسول الله ﷺ تقول: إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**»، فقالت: أصبر، قالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها[١].

عباد الله! فالصبر لا يباع ولا يشترى إنما يأتي بالتدريب، بأن يدرب الإنسان نفسه على الصبر، وأن يجاهد نفسه على الصبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ويقول ﷺ: «**ومن يتصبَّر يصبره الله**»[٢]. فإذا أمرك الله بالصلاة فَصَلِّ، واصبر على الصلاة، وإذا أمرك الله بالصيام فصم، واصبر على الصيام، وإذا أمرك الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأمر أهلك بالصلاة، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك ولا تترك ذلك؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**»[٣]، أي: لا تترك العمل.

فكثير من الناس لأنه تسلح بسلاح الصبر، صبر. وكم من الناس من يرى درساً للعلم في المسجد الذي يصلي فيه، ولكنه يصلي ويهرول خارجاً ليجلس في مجالسِ الغيبة والنميمة، أو يجلس أمام شاشات المفسديون، فيحرم نفسه من دروس العلم التي جاءته إلى المسجد الذي يصلي فيه، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فذلك لم يصبر على الجلوس والتواضع في بيت الله، ولذلك حرمه الله من العلم، وحرمه من بركة هذه الدروس.

● وكذلك من الناس مَنْ كان يقوم الليل، فحرم من قيام الليل لأنه لم يصبر.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٢٨)، م: (٢٥٧٦).
(٢) **صحيح**: خ: (١٤٠٠)، م: (١٠٥٣).
(٣) **صحيح**: م: (٢٦٦٤).

- وكم من الناس مَنْ كان يصوم تطوعاً فترك الصيام لأنه لم يصبر.
- وكم من الناس مَنْ أطلق لحيته ابتغاء مرضاةِ الله فلم يصبر على ذلك فحلقها.
- وكم من امرأة تحجبت، ثم لم تصبر على الإيذاء والكلام من النساء الكاسيات العاريات فرجعت وانتكست إلى التبرج مرة أخرى.

فيا عباد الله: من يتصبر يصبره الله، فصَبِّروا أنفسكم على طاعة الله، وعن معصية الله، فكم من الناس لم يصبر على الفقر فذهب وأكل الربا، والذين أكلوا الربا فليسألوا أنفسهم لم أكلوا الربا؟ لأنهم لم يصبروا على الفقر، مع أن الفقر أشرف لهم من الربا؛ لأن درهمٌ واحدٌ من الربا أشد عند الله من ستٍ وثلاثين زنية، فالذي يصبر على الفقر لا يسرق، والذي يصبر على الفقر لا يمد يده إلى الرشوة، والذي يصبر على الفقر لا يغش ولا يبيع سلعته باليمين الكاذبة، فاصبروا على طاعة الله، واصبروا عن معصية الله، واصبروا على الابتلاءات والمحن التي تصب عليكم في هذه الدنيا، فإن فعلتم فأبشروا بجنة عرضها السموات والأرض.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يمن علينا وعليكم بالصبر





صفات أهل الجنة

١٠ ـ المحافظة على الصلاة

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة التاسعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الصبر**»، وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يصبرون على طاعة الله، ويصبرون عن معصية الله، ويصبرون على الابتلاءات والمحن التي تصب على رؤوسهم في هذه الدنيا ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة العاشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «المحافظة على الصلاة»**.

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يحافظون على الصلاة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾ ـ إلى أن قال ـ تعالى ـ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

عباد الله! **وهنا سؤال يرد علينا وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في الدنيا ـ في دار العمل ـ يحافظون على الصلاة؟

أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بالمحافظة على الصلاة في حال الأمن والخوف وفي السفر والحضر، وفي السراء والضراء، وفي الغنى والفقر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩].

وعَلَّمَ الله ﷻ المسلمين كيف يصلون الصلاة في شدة الخوف وهم في أرض المعركة والعدو أمامهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] الآية.

عباد الله! ورسولنا الكريم ﷺ كان طوال حياته يأمر أمته بالمحافظة على الصلاة فقال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع**»[(١)]، ويقول ﷺ لأصحابه: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[(٢)].

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال ﷺ: «**لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد** ﷺ»[(٣)]، وحتى في أنفاسه الأخيرة وهو في فراش الموت قال ﷺ موصياً أمته: «**الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»[(٤)].

ثانياً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ حافظوا على الصلاة لأنهم علموا أن الصلاة نور؛ نور في الوجه، ونور في القلب،

---

(١) **حسن**: د: (٤٩٥)، حم: (٢/ ١٨٠)، ك: (١/ ٣١١)، قط: (١/ ٢٣٠)، ش: (١/ ٣٠٤)، هب: (٦/ ٣٩٨)، [«ص. ج» (٥٨٦٨)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥).

(٣) **حسن**: خز: (٦٦٥)، طب: (٤/ ١١٥)، ع: (١٣/ ١٠٧)، هق: (٢/ ٨٩)، [«ص. غ، هـ» (٥٢٨)].

(٤) **صحيح**: د: (٥١٥٦)، هـ (٢٦٩٨)، حم: (١/ ٧٨)، حب: (٦٦٠٥)، ك: (٣/ ٥٩)، خد: (١٥٨)، [«ص. ج» (٤٦١٦)].

ونور يوم القيامة، واقرءوا إن شئتم: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]، ويقول ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(١). ويقول ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء..**»(٢).

فانظروا عباد الله لقد ربط رسول الله ﷺ بين الصلاة وبين الصبر فقال ﷺ: «الصلاة نور، والصبر ضياء» فأنت بالصبر والصلاة تستعين على نوائب الدنيا، ولذلك قال رب العزة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، أتدرون لم؟ لأن الصلاة نور، والصبر ضياء، فمن حافظ في هذه الدنيا على الصلاة، وتسلح بسلاح الصبر، استعان في الدنيا وأعانه الله فخرج من هذه الدنيا على (لا إله إلا الله) وفاز بجنة عرضها السموات والأرض، أما الذين ضيعوا الصلاة، فوجوههم مسودة، وقلوبهم مسودة، وحياتهم سوداء، وقبورهم مظلمة، ويوم القيامة ينتقلون من ظُلمةٍ إلى ظلمة، ثم بعد ذلك يساقون إلى نار جهنم.

ثالثاً: أهل الجنة حافظوا على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أن الصلاة هي صلتهم بالله، فنحن إذا صلينا اتصلنا بالله، وإذا تركنا الصلاة قطعنا الصلة بيننا وبين الله، والأمة على خطر عظيم إذ المعظم منها قد تركوا الصلاة ـ إلا من رحم ربي ـ وقطعوا الصلة بينهم وبين ربهم، فتراهم يدعون فلا يستجاب لهم، ويستنصرون فلا يُنْصَرون، أتدرون لم؟ لأنهم قطعوا الصلة بينهم وبين ربهم، يقول ﷺ: «**يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال:**

---

(١) **صحيح**: د: (٥٦١)، ت: (٢٢٣)، هـ: (٧٨١)، خز: (١٤٩٨)، ك: (١/ ٣٣١)، لس: (٢٢١٢)، طب: (٦/ ١٤٧)، [«ص. ج» (٢٨٢٣)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ **قال: مجدني عبدي، (وقال مرة: فوض إلي عبدي) فإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، **قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»**[(١)]. فمن أنت يا ابن آدم حتى إذا قمت في محرابك تصلي، وأنت على هذه الأرض ـ أقبل الله عليك بوجهه تناجيه ويناجيك، تسأله ويستجيب لك؟ فأينَ أنت من هذا يا من حرمت نفسك من هذا الخير العميم!

رابعاً: أهل الجنة حافظوا على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أن الصلاة تجارة رابحة، ويخبرنا بذلك ربنا جل وعلا فيقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ [فاطر: ٢٩]. يا معشر الأغنياء والتجَّار، يا من ضيعتم الصلاة من أجل التجارة والدنيا، انظروا إلى أهل الجنة ماذا كانوا يريدون؟ إنهم كانوا يريدون تجارة لن تبور، والله ﷻ لما تاجروا معه بالصلاة أخبرنا عنهم ووصفهم لنا لنتشبه بهم فقال ـ تعالى ـ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]. هؤلاء هم الذين يريدون الجنة حقاً فهم لم ينشغلوا بالتجارة، ولم ينشغلوا بالدنيا عن الصلاة. فانظروا يا أمة الإسلام إلى أحوالنا وأحوالهم!

أما الذين لا يعمرون بيوت الله لا بأموالهم ولا بأجسادهم بل يسعون لخرابها فهؤلاء لهم خزي في الحياة الدنيا، وعذاب عظيم يوم

---

(١) **صحيح**: م: (٣٩٥).

القيامة، يقول رب العزة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: ١١٤].

خامساً: أهل الجنة حافظوا على الصلاة في الدنيا؛ لأن الصلاة تطهر الإنسان من الصفات القبيحة، ومن الأخلاق الذميمة، ولأن الصلاة تنهى الإنسان عن الفحش وتنهاه عن المنكر، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

سادساً: أهل الجنة كانوا يحافظون على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأن الصلاة تطهر الإنسان من الذنوب والمعاصي كما يطهر الماء الثوب والبدن، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤]، ويقول ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»[(١)]. ويقول ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»[(٢)].

سابعاً: أهل الجنة حافظوا على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أنهم بالصلاة ينتصرون على أعدائهم، وبالصلاة يُمكن لهم في الأرض، فلا نصر على الأعداء بدون الصلاة، ولا تمكين في الأرض بدون الصلاة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥١).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٠٥)، م: (٦٦٧).

ﭐلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]. ويقول ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»(١).

فالصلاةَ الصلاةَ يا من تريدون التمكين في الأرض، الصلاة الصلاة يا من تريدون العزة، أما أن تدعوا الله وتحاولوا أن تحصلوا على النصر والأمة قد ضيعت الصلاة، فهذا والله تضييع للوقت والجهد، فلنغير ما في أنفسنا أولاً وعندها يغير الله ما في قلوبنا وما حَلَّ بنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

ثامناً: أهل الجنة كانوا يحافظون على الصلاة في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أن الصلاة سبب لنزول الرحمة، فإن الرحمة تنزل علينا إذا صلينا، ونحرم منها ونعيش معيشة الضنك في ذل وهوان إذا ضيعنا الصلاة يقول رب العزة: ﴿**وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ**﴾ [التوبة: ٧١].

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها، المحافظة على الصلاة، وإذا نظرنا إلى أحوال المسلمين في هذا الزمان فسنرى منهم من ضيع الصلاة وانشغل بحطام الدنيا وكثير ما هم، ومنهم من ضيع صلاة الجماعة، ومنهم من ضيع صلاة الفجر فإنا لله وإنا إليه راجعون! ولعل يأتي الرجل إلى الصلاة في المسجد ويترك زوجته لا تصلي، ابنه لا يصلي، جاره لا يصلي، ولا أحد يريد أن ينقذ أحداً من النار لأننا قد انشغلنا بحطام الدنيا. والله ﷻ يقول: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

لا أحد منا يقصِّر في أمور الدنيا سواءً لأولاده أو لزوجته، ولكن كلنا قصَّر في حق الصلاة والقرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) **صحيح**: ن: (٣١٨٧)، هق: (٦/ ٣٣١)، حل: (٥/ ٢٦)، [«ص. غ. هـ» (٦)].

فالرجل لا يهتم بصلاة ابنه وبصلاة أسرته لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فنقول إلى أولئك الذين ضيعوا الصلاة وانشغلوا بحطام الدنيا: اسمعوا ما يقوله رب العزة، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

فاعلم أيها المسلم أن مصير ابنك الذي لا يصلي إن مات على ذلك فهو إلى النار، واعلم أن النار تشتعل فيه في الدنيا وأنت لا تراه، واعلم أيها المسلم أن زوجتك التي لا تصلي، وأمك التي لا تصلي، وأختك التي لا تصلي إن ماتوا على ترك الصلاة فهن إلى النار، يقول رب العزة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ [الماعون: ٤، ٥].

ويقول ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»(٢).

واعلموا يا عباد الله أن من ترك الصلاة جاحداً ومنكراً لها فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، إن مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدفن في قبور المسلمين فاتقوا الله في أنفسكم، وحافظوا على الصلاة، واعلموا أنَّ مَنْ ترك الصلاة تكاسلاً وهو مقرٌّ بفرضيتها ومات على التوحيد فهو في مشيئة الله، أما الذين ضيعوا صلاة الجماعة، وأخذوا يصلون في محلاتهم، وفي بيوتهم فنقول لهم: يقول رب العزة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣)﴾ [البقرة: ٤٣]، ويقول ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح**»(٣)، ويقول ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٤)، وجاء

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦٢١)، ن: (٤٦٣)، هـ: (١٠٧٩)، حم: (٥/٣٤٦)، حب: (١٤٥٤)، ك: (١/٤٨)، قط: (٢/٥٢)، ش: (٦/١٦٧)، [«ص. ج» (٤١٤٣)].

(٢) **صحيح**: م: (٨٢).

(٣) **صحيح**: خ: (٦٣١)، م: (٦٦٩).

(٤) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٣٣١.

رجل أعمى إلى رسول الله ﷺ يأخذ رخصة ليصلي في بيته فقال له ﷺ: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»[١]، فما بالنا وقد أعطانا الله البصر، وأعطانا الله الصحة، ومكننا من كل شيء ثم تركنا الصلاة في بيت الله!؟

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (من سرَّه أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنه، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف)[٢]، وإلى الذين يضيعون صلاة الفجر نقول لهم: يقول ﷺ: «**من صلى الصبح فهو في ذمة الله**»[٣]، ويقول ﷺ: «**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله**»[٤]، ويقول ﷺ: «**ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبواً**»[٥].

فحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين
لتفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض

❀ ❀ ❀

---

(١) **صحيح**: م: (٦٥٣).
(٢) **صحيح**: م: (٦٥٤).
(٣) **صحيح**: م: (٦٥٧).
(٤) **صحيح**: م: (٦٥٦).
(٥) **صحيح**: خ: (٦٢٦)، م: (٦٥١).

١٦٠

صفات أهل الجنة

١١ ـ الإنفاق في سبيل الله

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الحادية عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الإنفاق في سبيل الله».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه عن أهل الجنة وأنهم كانوا في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يتصفون بالإنفاق في سبيل الله وبالجود والكرم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

آيات بينات من كتاب الله يصف فيها ربنا جل وعلا أهل الجنة بأنهم كانوا في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ ينفقون من أموالهم في سبيل الله، ويتصفون بالجود والكرم.

عباد الله! **والسؤال الذي يحتاج إلى إجابة هو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ ينفقون أموالهم في سبيل الله؟

الجواب ـ أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم في كتابه بالإنفاق في سبيله قبل فوات الأوان، فأنت يا عبد الله في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ تستطيع أن تنفق من مالك في سبيل الله، أما إذا نمت في فراش الموت، وخرجت من هذه الدنيا، وقفت يوم القيامة بين يدي الله فلن تستطيع أن تستفيد من مالك، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، هذا نداء من الله ﷻ لكم معشر المؤمنين، ويقول ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١﴾ [إبراهيم: ٣١]، ويقول ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

ويقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، أنفقْ أُنْفق عليك**»(١)، ورسولنا الكريم ﷺ يأمر أمته بالجود والكرم، فيقول ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»(٢). ويضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٠٧)، م: (٩٩٣).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤٨٥)، هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٤/ ١٧٦)، [«ص. ج» (٧٨٦٥)].

أعلى في الجود والكرم والإنفاق في سبيل الله، يقول جابر رضي الله عنه: «**ما سُئِلَ رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا**»[(١)]، ويقول أنس رضي الله عنه: (ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة)[(٢)].

فيا أمة الإسلام، ها هم أهل الجنة أمرهم الله بالإنفاق في سبيله قبل فوات الأوان، وأمرهم الرسول ﷺ بالجود والكرم، وضرب لهم مثلاً أعلى في ذلك، فاستجابوا لله ولرسوله ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

ثانياً: أهل الجنة أنفقوا في سبيل الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن ما عندهم ينفد وما عند الله باق، ابن آدم إن الذي تملكه وكل ما بين يديك ينفد وما تقدمه لنفسك عند الله باق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [النحل: ٩٥].

ويقول ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيِّب ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فلُوَّه حتى تكون مثل الجبل**»[(٣)]، فادخروا عند الله فما عندكم ينفد وما عند الله باق، ينميه لكم كما ينمي أحدكم فلوه، أي: مُهرهُ، ويقول رب العزة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤]، ويقول ﷺ يوماً لأصحابه: «**أيكم مال وارثه أحب إليه**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٨٧)، م: (٢٣١١).
(٢) **صحيح**: م: (٢٣١٢).
(٣) **صحيح**: خ: (١٣٤٤)، م: (١٠١٤).

من ماله؟» قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «**فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخَّر**»[(١)].

نعم، ما تقدمه في حياتك بين يديك عند الله باق تجده يوم القيامة، وما تتركه خلفك فهو للورثة، إن كانوا طالحين عصوا الله بهذا المال الذي تركته! فأهل الجنة أصحاب العقول السليمة تاجروا مع الله ﷻ، وادخروا ذلك لهم عند الله ليجدوا ثوابه عند الله ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

ثالثاً: أهل الجنة أنفقوا في هذه الدنيا في سبيل الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الإنفاق في سبيل الله تجارة رابحة، فيا تُجَّار المسلمين هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ يقول ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠، ١١].

رابعاً: أهل الجنة أنفقوا في سبيل الله في هذه الدنيا لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الرزق يزاد بالإنفاق، فالله ﷻ كريم إذا أنفقت أنفق عليك، كما قال في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك**»[(٢)] وقال ـ تعالى ـ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]، كلما أنفقت شيئاً في سبيل الله أخلفه الله عليك وزادك رزقاً لأن الله ﷻ جواد كريم خزائنه ملأى ينفق بالليل والنهار، ولو وقف كل الناس من آدم إلى يوم القيامة في صعيد واحد، وطلبوا من الله فأعطى سبحانه وتعالى كل واحد ما سأل ما نقص من خزائنه شيئاً، يقول ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال**»[(٣)]،

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٧٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٤٤٠٧)، م: (٩٩٣).
(٣) **صحيح**: م: (٢٥٨٨).

ويقول ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»(١).

ويقول ﷺ: «**بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءهُ في حَرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كُلَّهُ فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحوِّلُ الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له: يا عبد الله، لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لأسمك فما تصنع فيها؟ قال: أمَّا إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه**»(٢).

الأمر يأتي من رب العالمين: اسق حديقة فلان من بين الحدائق لأنه عرف حق الله تعالى، وأعطى للفقراء والمساكين حقهم، فالله ﷻ يأمر السحاب أن يأتي من أماكن بعيدة وأن تسقي حديقة فلان! فالرزق يزاد بالإنفاق، وفي المقابل فإن البخل سبب لزوال الرزق، وسبب لضياع المال، أتذكرون أصحاب الجنة الذين جاء ذكرهم في كتاب الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾، أي: أقسموا وأصروا ليلاً على أن يحرموا الفقراء والمساكين من ثمار البستان ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧ ـ ٢٠]، أبادها الله من أيديهم لأنهم بخلوا، فيا من تبخل على نفسك، يا من تبخل على أولادك، يا من تبخل على الفقراء والمساكين تذكر، ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٧٤)، م: (١٠١٠).

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٨٤).

خامساً: أهل الجنة أنفقوا من أموالهم في سبيل الله، ليطهروا أنفسهم من مرض الشح والبخل والنفاق وليطهروا أموالهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

أما من بَخِلَ بماله فلا بد أن يصاب بما يلي:

أولاً: بمرض الشح وهو أعلى درجات البخل، ومرض الشح مهلكٌ لصاحبه، قال ﷺ: «**ثلاث مهلكات** ـ وذكر منها: ـ **شح مطاع**»[(١)]، وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[(٢)].

ثانياً: يصاب البخيل بمرض النفاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

ثالثاً: البخيل يعيش معيشة الضنك فلا يعرف طعم السعادة أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾ [الليل: ٥ ـ ١١].

فالبخيل يعذب في حياته، وفي قبره، ويوم القيامة لأنه كان في هذه الدنيا لا همَّ له إلا أن يجمع المال فتراه يتعب في جمعه ثم عند موته ينظر إلى ماله ويتألم لفراقه ويوم القيامة إذا وقف عريانَ بين يدي الجبار سأله سبحانه وتعالى عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه.

---

(١) **حسن**: طس: (٦/٤٧)، [«ص. ج» (٣٠٤٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: الإنفاق في سبيل الله والجود والكرم.

وإذا أردت يا أخا الإسلام أن تكون من أهل الجنة وأن تتصف بصفات أهلها فعليك بما يلي:

أولاً: أن تفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله لا رياء ولا سمعة، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، ويقول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى**»(١)، فإذا قصدت بإنفاق هذا المال رضا الله كان لك عند الله، وإذا نويت بإنفاق المال أن يقال عنك: جواد كريم وأن تبتغي بذلك وجه الناس فلا أجر لك عند الله.

عباد الله! اعلموا أن الرسول ﷺ أخبر «**أن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه** ـ وذكر ثلاثاً منهم: ـ **رجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتِي به، فعرَّفه نعمه، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار**»(٢).

ثانياً: احذر أن تمُن بما أنفقت على الناس فالمن أذى، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ويقول رب العزة: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (١)، م: (٩٠٧).

(٢) **صحيح**: م: (١٩٠٥).

ثالثاً: إياك أن تنفق من مال حرام، إياك أن تكون كالزانية التي تزني وتتصدق بمال الزنى في سبيل الله، إياك أن تكون كالمرابي الذي يأخذ الربا ويتصدق به في سبيل الله، إياك أن تكون كالمرتشي الذي يأخذ الرشوة ويتصدق بها في سبيل الله، احذر أن تتصدق من كسب حرام فإنه لن يقبل منك؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ طيب لا يقبل إلا طيباً، فأنفقوا من طيبات ما كسبتم استجابة لقول ربكم، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧].





صفات أهل الجنة

١٢ ـ التواضعُ وعدم التكبر

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثانية عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «التواضع وعدم التكبر».

أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ ربوا أنفسهم على التواضع لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ربوا أنفسهم على عدم الكبر، فتعالوا بنا عباد الله لنستمع إلى كلام ربنا وهو يخبرنا عن صفات أهل الجنة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ ـ إلى أن قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٧].

عباد الله! يصف لنا ربنا جل وعلا أهل الجنة بصفات، فمن أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بهذه الصفات، ومن صفات أهل الجنة: التواضع وعدم التكبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥].

عباد الله! **والسؤال الذي نجيب عنه الآن هو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في الدنيا ـ في دار العمل ـ يربون أنفسهم على التواضع وعدم التكبر؟

الجواب ـ أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بالتواضع في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥].

والأمر من الله لرسوله ﷺ هو أمر لأمته، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٢٨]، أي: أيها المسلم، اخفض جناحك للمؤمنين، تواضع يا أيها المسلم لعباد الله المؤمنين، اجلس مع الفقراء، عُدِ الفقراءَ، أحسن إلى الفقراء تكن مؤمناً.

وحذر ربنا جل وعلا عباده في المقابل من الكبر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧]. أي: يا ابن آدم، إياك إياك أن تدب على الأرض وأنت تظن أنه ليس عليها إلا أنت، فمهما ضربت برجلك على الأرض فلن تخرقها، ومهما رفعت رأسك على الناس فلن تبلغ الجبال طولاً، واعتبر بما بدأت منه يا ابن آدم: بدأت من نطفة، فانظر إلى الأقذار بين جنبيك، وأنت تدب على هذه الأرض، ثم تذكر نهايتك يا ابن آدم: جيفة نتنة، فلا قيمة لك إلا أن تتواضع لله ﷻ. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [لقمان: ١٨]، وها هو رسولنا ﷺ يأمر بالتواضع، فيقول ﷺ: «**إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحدٌ على أحد**»[(١)].

وقال ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[(٢)]، وحذر ﷺ من الكبر فقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فقال رجل: إن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٦٥).

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٨).

الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس**»(١)، وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»(٢).

فأحذر أن تكون منهم.

عباد الله! إن أهل الجنة لمّا أمرهم الله بالتواضع ونهاهم عن التكبر، ولمّا أمرهم الرسول ﷺ بالتواضع ونهاهم عن التكبر قالوا: سمعنا وأطعنا.

ثانياً: أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا يربون أنفسهم على التواضع؛ لأنهم قد علموا أن الله ﷻ أعد الجنة للمتواضعين، وأعد النار للمتكبرين، فقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة، فأخبر ربنا في كتابه وأخبر رسوله ﷺ في سنته أنه لا يدخل الجنة متكبر، يقول الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ - أي: الجنة - ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠].

ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»(٣).

● وقد جاءت الأدلة يا عباد الله في الكتاب والسنة تبين أن النار قد أعدها الله ﷻ للمتكبرين، قال - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠] أي: مأوى للمتكبرين، وقال - تعالى -: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).
(٢) **صحيح**: م: (١٠٧).
(٣) **صحيح**: م: (٩١).

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار!**» قالوا: بلى قال: «**كل عُتُل جوَّاظ مستكبر**»[١]، وقال ﷺ: «**احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله ﷻ لهذه: أنت عذابي أُعذب بك من أشاء (وربما قال: أصيب بك من أشاء) وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها**»[٢].

فالجنة أعدت للمتواضعين، والنار أعدت للمتكبرين.

عباد الله! من أراد الجنة فليربي نفسه على التواضع وليبتعد بها عن الكبر لينجو من عذاب النار.

ثالثاً: أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يربون أنفسهم على التواضع؛ لأنهم علموا أن الكبر شر على صاحبه في الدنيا والآخرة، فيا أيها المتكبر على الله ورسوله وعلى الناس بمالك أو بسلطانك أو بجاهك أو بصحتك أو بأولادك وعشيرتك. **أيها المتكبر اسمع**:

أولاً: المتكبر لا يحبه الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣].

ثانياً: المتكبر محروم من الهداية ومحروم من كل خير، قال ـ تعالى ـ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ثالثاً: المتكبر يحرم نفسه من قراءة كتاب الله، وإن قرأه فلا ينتفع بما فيه.

رابعاً: المتكبر لا يأتي إلى درس علم ولا يتواضع ليتعلم، فهو لا

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٣٤)، م: (٢٨٥٣).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٥٦٩)، م: (٢٨٤٦).

يصبر على ذل العلم ساعة فيبقى جاهلاً مدى الحياة فحرمه الله ذلك بما استقر في قلبه من كبر.

وصدَق مَنْ قَال:

ومَنْ لم يذق ذلَّ التعلم ساعةً تجرَّع ذلَّ الجهلِ طولَ حياته

خامساً: المتكبر لا يَسْأل عما لا يعلم، لذلك تراه يقترف المعاصي ويبقى يتقلب في ظلمات الجهل حتى يخرج من هذه الدنيا، فهل وجدتم متكبراً يأتي إلى المسجد للصلاة؟ هل وجدتم متكبراً يأتي إلى دروس العلم ليتعلم؟ هل وجدتم متكبراً يتواضع ويرفع سماعة هاتفه ليسأل سؤالاً عن دينه؟.

سادساً: المتكبر يختم الله على قلبه فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

سابعاً: المتكبر يلقى الله يوم القيامة والله عليه غضبان، يقول ﷺ: «**ما من رجل يتعاظم في نفسه، ويختال في مشيته إلا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان**»(١).

ثامناً: المتكبر سيهلكه الكبر؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**ثلاث مهلكات؛ شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(٢).

والله ﷻ بعدله يعاقب المتكبرين يوم القيامة من جنس ما تكبروا به في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل. قال ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر** ـ أي: النمل الصغير ـ **في صور الرجال...**»(٣).

---

(١) **صحيح**: حم: (١١٨/٢)، ك: (١٢٨/١)، خد: (٥٤٩)، [«ص. ج» (٥٧١١)].

(٢) **حسن**: طس: (٣٢٨/٥)، هب: (٤٧١/١) حل: (٣٤٣/٢)، [«س. ص» (١٨٠٢)].

(٣) **حسن**: ت: (٢٤٩٢)، حم: (١٧٩/٢)، خد: (٥٥٧)، هب: (٢٨٨/٦)، [«ص. ج» (٨٠٤٠)].

فاعتبروا يا عباد الله؛ فإن هؤلاء لمّا رفعوا رؤوسهم على الناس في الدنيا عاقبهم الله يوم القيامة فحشرهم في أرض المحشر أمثال الذر في صور الرجال تطؤهم الأقدام في أرض المحشر، يغشاهم الذل من كل مكان، فكونوا من الكبر على حذر وتواضعوا لله، وتواضعوا لرسول الله، وتواضعوا لخلق الله، تكونوا من أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: التواضع وعدم التكبر، فتواضعوا عباد الله ولا تتكبروا على الله أو رسوله أو على الناس.

واعلم أيها المسلم، بأنك إذا سمعت النداء للصلاة ولم تأتِ إلى المسجد فقد تكبرت على الله، واعلم أيها المسلم أنك إذا بلغتك سنة عن رسول الله ولم تعمل بها فقد تكبرت على رسول الله، واعلم أيها المسلم أنك إذا دعيت من الفقير فتكبرت أن تجيب دعوته أو تكبرت أن تجالس الفقراء والمساكين، أو تكبرت أن تأتي إلى المسجد لتتعلم وتجلس بين الناس فاعلم أنك من المتكبرين!

ولعل الناظر إلى كثير من الناس في هذا الزمان العجيب يرى أنهم قد تكبروا على الله وعلى رسول الله وعلى خلق الله، فالكبر كما عرفه رسول الله ﷺ «**بطر الحق** ـ أي: ردُّه ـ **وغمط الناس** ـ أي: احتقارهم»(١)، فالكبر: عدم قبول الحق فمن جاءه الحق من الكتاب والسنة ورده ولم يعمل به فقد تكبر على الله وعلى رسول الله.

وأما غمط الناس ـ أي: احتقارهم ـ، فمن نظر إلى الناس بعين الاحتقار أو رفع رأسه على الناس، أو تكبر على الفقراء والمساكين فهو من المتكبرين. فنقول لهؤلاء احذروا أن تتكبروا على الله فإن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).

عباد الله! احذروا أن تتكبروا على رسول الله، واتعظوا بهذا الرجل الذي أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال له ﷺ: «**كُل بيمينك**» قال: لا أستطيع، قال: «**لا استطعت**»، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه»[(١)]، فاحذروا يا من تأتيكم السنن فتردونها وقد قال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(٢)].

واحذروا يا من تتكبرون على خلق الله بأموالكم أو بصحتكم، أو بأولادكم، أو بوظائفكم، احذروا واعتبروا بقارون الذي تكبر على قومه بماله فخسف الله به وبماله الأرض. واعتبروا بفرعون الذي تكبر على قومه بجاهه وملكه وسلطانه، فأغرقه الله في البحر، واعتبروا بعاد فقد تكبروا على الناس بقوتهم وقالوا: من أشد منا قوة؟ فأبادهم الله.

قال ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجِّلٌ جمتُه، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[(٣)]. إياك أن تتكبر يا ابن آدم على خلق الله، وانظر لنفسك وإلى أصلك! انظر من أين خرجت؟! وإلى أين تذهب؟! فلا قيمة لك إلا أن تتواضع لله ولرسول الله ولعباد الله، فمن أراد منكم الجنة فعليه أن يربي نفسه على التواضع وأن يعالج ما في نفسه من الكبر.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن ينجينا وإياكم من الكبر ويرزقنا التواضع

❀ ❀ ❀

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٢١).
(٢) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٤٥٢)، م: (٢٠٨٨).



صفات أهل الجنة

١٣ ـ قيام الليل

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثالثة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «قيام الليل».**

عباد الله! أخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ لا ينامون من الليل إلا قليلاً. أتدرون ماذا كانوا يفعلون؟ إنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً. أتعلمون ماذا يطلبون من ربهم؟ يسألون الله الجنة، ويستعيذون به من النار، فتعالوا بنا عباد الله لنستمع إلى كلام ربنا وهو يصف لنا أهل الجنة لتقارنوا بين من يطلبون الجنة، وبين أحوال المسلمين في هذا الزمان ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ إلى أن قال رب العزة ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ ـ أي: الجنة ـ ﴿بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦].

عباد الله! انظروا إلى أهل الجنة، إنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً، ماذا يطلبون؟ وماذا يقولون؟ ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٦٥]، فجمعوا بين الخوف من الله والعمل الصالح، أما حال كثيرٍ منا في هذا

الزمان بعد أن وضعوا (الستالايت) على بيوتهم ووضعوا المفسديون في كل غرفة من بيوتهم حالهم يقول: جمعنا بين الأمن من مكر الله وبين العمل السيىء ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

انظروا عباد الله: أهل الجنة جمعوا بين الخوف من الله وبين العمل الصالح، وكثير منا جمع بين الأمن من مكر الله، والعمل السيىء، وأظن أن ذلك هو الخسران المبين، قال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

- انظروا عباد الله هؤلاء جمعوا بين العمل الصالح ـ فقاموا الليل، وأنفقوا من أموالهم في سبيل الله ـ وبين الخوف من الله.

- أما حالنا اليوم فإننا ننام الليل على معصية الله، ولا نقوم من الليل لنذكر الله، ووضعنا أموالنا في البنوك نرابي بها، ونحارب الله، ومع ذلك فكل منا قد أمن مكر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨]، طوال الليل يصلون لله وفي الأسحار أي: قبل الفجر يستغفرون، وكأنهم باتوا يعصون الله، أما نحن فننام على شاشات المفسديون وعلى الغيبة والنميمة، كما وقد ضيعنا صلاة الليل، بل حتى وضيعنا صلاة الفجر، ثم حاربنا الله بأموالنا فجمعنا بين المعصية والعمل السيء!

عباد الله! تذكروا صفات الذين يطلبون الجنة: ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾، ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

عباد الله! انظروا معي إلى أحوال المسلمين في هذا الزمان ـ إلَّا مَنْ رحم ربي ـ تجدونهم سهروا ليلهم على مشاهدة مباريات كرة القدم

لكأس العالم فضيعوا الصلاة عن وقتها وضيعوا قيام الليل، وصلاة الفجر... فهل هؤلاء يستحقون النصر من الله، وهل هؤلاء هم من يحرِّرون الأقصىٰ مِنْ أيدي اليهود؟ لا نملك إلَّا أَنْ نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! **هنا سؤال مهم يحتاج منَّا إلى إجابة ألا وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يقومون الليل؟

أولاً: لأن الله في كتابه حثهم على قيام الليل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩].

ولم يسوِّ ربنا جل وعلا بين الذين يقومون الليل، والذين لا يقومون الليل، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]. هل يستوي الذي يعلم فضل قيام الليل فيقومه، مع الذي لا يعلم فضل قيام الليل فينام عنه؟ لا يستوون، فما بالنا بالذين لم يضيعوا قيام الليل فحسب، بل ضيعوا صلاة الفجر؟! فكم من المسلمين يحافظون على صلاة الفجر في وقتها؟! إنهم قلة يا عبادَ الله، والكثير قد ضيع صلاة الفجر، عباد الله هل يجتمع قيام الليل مع المفسديون في بيت واحد؟ هل يصلي رجل قيام الليل وفي بيته وسائل الفساد؟ لا؛ لأنَّ المعاصي سبب لزوال النعم.

ثانياً: لأن رسولنا ﷺ حث على قيام الليل، فقال ﷺ: «**عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم**»(١)، وقال ﷺ: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا،**

(١) **حسن لغيره:** ت: (٣٥٤٩)، خز: (١١٣٥)، ك: (١/ ٤٥١)، طب: (٨/ ٩٢)، هق: (٢/ ٥٠٢)، [«ص. غ، ه» (٦٢٤)].

أو صلى ركعتين جميعاً، كتبا في الذاكرين والذاكرات»(١)، وقال ﷺ: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**»(٢)، أي: من الذين كُتب لهم قنطار من الأجر.

ويقول ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»(٣)، وقال ﷺ: «**لا تنافس بينكم إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله** ﷻ **القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ويتبع ما فيه فيقول رجل: لو أن الله تعالى أعطاني مثل ما أعطى فلاناً فأقوم به كما يقوم به، ورجل أعطاه الله مالاً فهو ينفق ويتصدق فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلاناً فأتصدق به**»(٤) وقال ﷺ: («**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»، قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً)(٥).

وضرب لنا ﷺ مثلاً أعلى في قيام الليل فقام حتى تفطرت قدماه، أي: تشققت قدماه، تقول عائشة ؓ: إن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحب أكون عبداً شكوراً**»(٦).

---

(١) **صحيح**: د: (١٣٠٩)، ك: (٢/ ٤٥٢)، طس: (٣/ ٢١٨)، ش: (٢/ ٧٣)، [«ص. غ. هـ» (٦٢٦)].

(٢) **صحيح**: د: (١٣٩٨)، خز: (١١٤٤)، حب: (٢٥٧٢)، هب: (٢/ ٤٠٠)، [«ص. ج» (٦٤٣٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٧٣)، م: (٨١٥).

(٤) **حسن**: حم: (٤/ ١٠٤)، طب: (٢٢/ ٢٣٩)، طس: (٢/ ٣٧٥)، طص: (١/ ٩٣)، هب: (٢/ ٣٣٧)، [«ص. غ. هـ» (٦٣٦)].

(٥) **صحيح**: خ: (١٠٧٠)، م: (٢٤٧٩).

(٦) **صحيح**: خ: (٤٥٥٧)، م: (٢٨٢٠).

ثالثاً: لأن قيام الليل سفينة المتقين إلى الجنة، وطريق إلى الجنة، فيا من تريدون الجنة قال ﷺ: «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[(١)]، وقال ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»[(٢)].

رابعاً: لأن الله ﷻ يحفظك بقيامك الليل من شر السحرة ومن شر السحر، فإلى الذين ابتلوا بالسحر، وإلى الذين أصابهم الوهم بأنهم سُحِروا: احفظوا أنفسكم بالعقيدة الصحيحة وبقيام الليل. يقول ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[(٣)].

جربوا يا عباد الله، قوموا من الليل فصلوا لله، وستجدوا أنفسكم طوال يومكم في نشاط، وفي حيوية، وفي رضا، مطمئني البال، بينما أولئك الذين حُرِموا قيام الليل تراهم ـ طوال يومهم ـ كُسَالىٰ، مهمومين، مغمومين، ذُكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**»[(٤)]، فما بالنا بمن نام حتى طلعت الشمس ولم يصل حتى الفجر؟!.

خامساً: لأن قيام الليل شرفك في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**أتاني جبريل** عليه السلام **فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت**

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٣١٦.
(٢) **حسن**: حم: (٥/ ٣٤٣)، خز: (٢١٣٧)، حب: (٥٠٩)، ك: (١/ ١٥٣)، طب: (٣/ ٣٠١)، [«ص. ج» (٢١٢٣)].
(٣) **صحيح**: خ: (١٠٩١)، م: (٧٧٦).
(٤) **صحيح**: خ: (١٠٩٣)، م: (٧٧٤).

فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس»(١).

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: قيام الليل.

وقيام الليل: هو الصلاة التي يصليها العبد بالليل، ويجوز أن يصليها العبد بعد العشاء مباشرة، ويجوز أن يصليها في وسط الليل، ويجوز أن يصليها في الثلث الأخير من الليل، أي: قبل طلوع الفجر، وأفضل وقت لها في الثلث الأخير من الليل، قال ﷺ: «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن ٱستطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»(٢)، وقال ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»(٣).

عباد الله! قيام الليل سنة مؤكدة، وهو أفضل صلاة بعد الفريضة، يقول الله ﷻ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨]. فبعد أن ذكر الله صلاة الفريضة ذكر بعدها صلاة الليل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، فظهر بهذا أن أفضل صلاة بعد الفريضة هي قيام الليل، يقول ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل**»(٤).

عباد الله! وقيام الليل أقله ركعة، وأكثره إحدى عشرة ركعة، تقول

---

(١) **حسن**: ك: (٤/ ٣٦٠)، طس: (٤/ ٣٠٦)، هب: (٧/ ٣٤٩)، حل: (٣/ ٢٥٣)، [«س. ص» (٨٣١)].

(٢) **صحيح**: ت: (٣٥٧٩)، خز: (١١٤٧)، ك: (١/ ٤٥٣)، هق: (٣/ ٤)، [«ص. ج» (١١٧٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (١٠٩٤)، م: (٧٥٨).

(٤) **صحيح**: م: (١١٦٣).

عائشة ﵂: «**ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة..**»[(١)].

فيا أمة الإسلام! هذا هو قيام الليل، وهؤلاء هم أهل الجنة، فالذين يريدون الجنة يقومون الليل، وإذا نظرنا إلى كثير من المسلمين في هذا الزمان نراهم وقد ضيعوا قيام الليل، بل وضيعوا حتى صلاة الفجر، وضيعوا الصلاة فانطبق عليهم قول ربهم: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

فيا أمة الإسلام! من أراد أن يقوم من الليل فعليه أن يحفظ شيئاً من كتاب الله ليتغنى به في جوف الليل، وليناجي ربه، وعليه أن يتعلم العلم الشرعي، فبالعلم تعرف ربك، ومن عرف ربه قام بالليل والناس نيام يناجي ربه، ويطلب من ربه ما يريد، فالله ﷻ غني ونحن الفقراء، والله ﷻ يغضب عليك إذا لم تسأله، وبُنَيُّ آدم إذا سألته يغضب عليك.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن لا يحرمنا وإياكم من قيام الليل

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح**: خ: (١٠٩٦)، م: (٧٣٨).

١٦٣

صفات أهل الجنة

١٤ ـ الحب في الله

عباد الله! بالعقيدة الصحيحة يتحصل الإنسان على جنة عرضها السموات والأرض، ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الرابعة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الحب في الله».**

عباد الله! أخبرنا الله عز وجل في كتابه، وأخبرنا رسولنا ﷺ في سنته أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يتحابون في الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨]، ويقول ﷺ: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**(١).

فأهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ تحابوا في الله، فلما فعلوا ذلك فازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

عباد الله! **هنا سؤال مهم ألا وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يتحابون في الله؟

---

(١) صحيح: م: (٥٤).

أولاً: لأنهم قد علموا أن الحب في الله أوثق عرى الإيمان. قال ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله** عز وجل»[(١)].

ثانياً: لأنهم قد علموا أن الحب في الله دليل على كمال الإيمان. يقول ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[(٢)].

ثالثاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الحب في الله يجعلهم كالبناء الواحد في قوته، وكالجسد الواحد في إحساسه، يقول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُ بعضه بعضاً**»، وشبك بين أصابعه[(٣)]. ويقول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(٤)].

فالمسلم إذا أحب أخاه في الله حزن لحزنه وشعر وأحس بما يحس به أخوه، فيا إخوة الإسلام الحب في الله ليس كلاماً يقال، وليس كتاباً يكتب، إنما هو ترجمة عملية في هذه الدنيا. لـ(قال الله) و(قال رسول الله).

فالمسلم إذا أحب إخوانه في الله كان بهم كالبناء في تماسكه، وكالجسد في إحساسه ولذلك ضرب الله لنا مثلاً للحب في الله في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩] لأنهم تحابوا في الله، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر: ٨].

---

(١) **حسن لغيره**: لس: (٧٤٧)، ش: (٦/ ١٧٠)، هب: (١/ ٥٤)، [«ص. غ. هـ» (٣٠٣٠)].

(٢) **صحيح**: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/ ١٣٤)، طس: (٩/ ٤١)، ش: (٧/ ١٣٠)، هب: (٦/ ٤٩٢)، [«ص. ج» (٥٩٦٥)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢٣١٤)، م: (٢٥٨٥).

(٤) **صحيح**: خ: (٥٦٦٥)، م: (٢٥٨٦).

• فالمهاجرون يا عباد الله خرجوا من مكة وقد تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا إلى المدينة إلى إخوانهم من الأنصار لم؟ لأنهم أحبوهم في الله، والأنصار في المدينة استقبلوا المهاجرين وقدَّموا لهم الأموال والديار بل وآثروهم على أنفسهم أتدرون لم؟ لأنهم أحبوهم في الله.

• ولذلك وصف ربنا جل وعلا الأنصار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

• والذين جاءوا من بعدهم يدعون لإخوانهم بالمغفرة والرحمة، أتدرون لم؟ لأنهم يحبونهم في الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

رابعاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ تحابوا في الله؛ لأنهم قد علموا أن الله يحب المتحابين فيه، قال ﷺ: «**قال الله ـ تعالى ـ: حقت محبتي للمتحابين في**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال له: هل لك عليه من نعمة تربُّها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله ﷻ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»(٢).

الحب في الله سبب لمحبة الله للعبد، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله العبد نادىٰ جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، فينادي**

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٩)، حب: (٥٧٥)، ك: (٤/ ١٨٧)، لس: (٥٧٢)، طب: (٢٠/ ٨١)، هب: (٦/ ٤٨٣)، [«ص. غ، هـ» (٣٠٢٠)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٧).

جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»(١).

خامساً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ تحابوا في الله؛ لأنهم علموا وأيقنوا أن المتحابين في الله يوم القيامة سيكونون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظلهُ، يقول ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أُظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»(٢)، ويقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ـ منهم: ـ «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»(٣).

سادساً: أهل الجنة تحابوا في الله في هذه الدنيا؛ لأنهم قد علموا أن المتحابين في الله ـ يوم القيامة ـ وجوههم نور، وأنهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس يقول ﷺ: «**إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء**» قيل: من هم؛ لعلنا نحبهم؟ قال ﷺ: «**هم قوم تحابوا بنور الله، من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس** ثم قرأ ﷺ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾»(٤) [يونس: ٦٢].

سابعاً: أهل الجنة كانوا يتحابون في الله وهم في هذه الدنيا؛ لأنهم قد علموا وشعروا أن الحب في الله له حلاوة وله لذة يشعر بها المرء في قلبه، ولذلك قال ﷺ: «**من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله**»(٥). وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان:**

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٣٧)، م: (٢٦٣٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٦).

(٣) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

(٤) **صحيح**: حب: (٥٧٣)، ع: (٢/ ٣٣٢)، [«ص. غ، هـ» (٣٠٢٣)].

(٥) **حسن**: حم: (٢/٢٩٨)، ك: (١/ ٤٤)، هب: (٦/ ٤٩١)، حل: (٤/ ١٥٤)، [«ص. ج» (٦٢٨٨)].

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»(١).

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها الحب في الله، والحب في الله في هذا الزمان أصبح نادراً ـ إلا ما رحم ربي ـ لأن المحبة بين الناس أصبحت قائمة مِنْ أجل الدنيا ومن أجل العلاقات فيما بينهم في هذه الدنيا الفانية، فلا يحبون إلا للدنيا، ولا يجتمعون إلا على محبة الدنيا، ولا يعطون إلا من أجل الدنيا، ولا يمنعون إلا من أجل الدنيا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذه المحبة القائمة على المصلحة سرعان ما تزول بزوال المصلحة ثم تنقلب إلى عداوة يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، أما الحب في الله ـ وإن كان قليلاً في هذا الزمان ـ لكنه هو الذي يبقى وهو الذي يثمر في الدنيا والآخرة.

ولذلك أرشدنا رسول الله ﷺ إلى أمور تُقوِّي وتعين على الحب في الله منها:

أولاً: إفشاء السلام كما سمعتم، يقول ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٢).

ثانياً: الهدية تزيد في المحبة في الله، إذا قُدِمت لله ولم تقدم رشوة أو من أجل مصلحة من مصالح الدنيا، يقول ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»(٣).

ثالثاً: الاقتصاد في الزيارة، فالإكثار من الزيارة يقلل من المحبة في الله، وتقليل الزيارة يقلل من المحبة في الله، والوسط هو المطلوب،

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦)، م: (٤٣).
(٢) **صحيح**: م: (٥٤).
(٣) **حسن**: خد: (٥٩٤)، ع: (٩/١١)، هب: (٣٧٩/٦)، هق: (١٦٩/٦)، [«ص. ج» (٣٠٠٤)].

ولذلك يقول ﷺ: «**زُر غباً تزدد حباً**»(١).

رابعاً: الاعتدال في المحبة، يقول ﷺ: «**أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»(٢).

خامساً: أن تُعْلِمَ من تحب بأنك تحبه، يقول ﷺ: «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه**»(٣). ولذلك طاعة لرسول الله ﷺ فأنا والله أخبركم بأنني أحبكم في الله، وهذا الحب يتألم صاحبه عند فراقكم، يقول ﷺ: «**أتاني جبريل** عليه السلام **فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامهُ بالليل، وعزهُ استغناؤه عن الناس**»(٤).

فالفراق بين الأحبة أليم، وإنني أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، فإني مسافرٌ لزيارة أهلي وصلة رحمي في بلاد مصر.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح لغيره**: ك: (٣/ ٣٩٠)، لس: (٢٥٣٥)، طب: (٤/ ٢١)، طس: (٢/ ٢١٠)، طص: (١/ ١٨٧)، هب: (٦/ ٣٢٧)، [«ص. غ. هـ» (٢٥٨٣)].

(٢) **صحيح**: ت: (١٩٩٧)، خد: (١٣٢١) موقوفاً على علي رضي الله عنه، طس: (٣/ ٣٥٧)، [«ص. ج» (١٧٨)].

(٣) **صحيح**: د: (٥١٢٤)، ت: (٢٣٩٢)، حم: (٤/ ١٣٠)، حب: (٥٧٠)، ك: (٤/ ١٨٩)، خد: (٥٤٢)، طب: (٢٠/ ٢٧٩)، حل: (٦/ ٩٩)، [«ص. ج» (٢٧٩)].

(٤) **حسن**. تقدم تخريجه ص٣٥٧.

١٦٤

صفات أهل الجنة

١٥ ـ التوبة النصوح

عباد الله! قلنا: إن الإنسان إذا خرج من هذه الدنيا على العقيدة الصحيحة فاز يوم القيامة بجنة عرضها السمٰوات والأرض، ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، وقد وصل بنا الحديث في العقيدة إلى الحديث عن الجنة وعن صفات أهلها سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الخامسة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «التوبة النصوح».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا إذا اقترفوا ذنباً أو وقعوا في معصية بادروا بالتوبة إلى الله والرجوع إليه، فلما فعلوا ذلك فازوا بجنة عرضها السموات والأرض. قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

عباد الله! والسؤال الذي يحتاج منَّا إلى إجابةٍ هو:

لماذا أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا إذا

اقترفوا ذنباً أو وقعوا في معصية بادروا بالتوبة والرجوع إلى الله؟

أولاً: لأن الله تعالى أمرهم بالتوبة، والأمر كما يقول علماء الأصول للوجوب، فالذي يقترف ذنباً يجب عليه فوراً أن يتوب إلى الله، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون؛ إذ ظلموا أنفسهم باقتراف الذنب، وظلموا أنفسهم لأنهم لم يبادروا بالتوبة إلى الله، فالذين يريدون الجنة يبادرون بالتوبة النصوح إلى الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. ورسولنا ﷺ يأمر أمته بالتوبة والاستغفار، فيقول ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**»(١).

ثانياً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا إذا اقترفوا ذنباً بادروا بالتوبة إلى الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الله ﷻ وحده هو الذي يغفر الذنب وهو الذي يقبل التوبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥]، فأهل الجنة علموا أن الله وحده هو الذي يغفر الذنب ويقبل التوبة مِنْ عباده فتابوا إلى الله.

ثالثاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا تابوا إلى الله لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الله يغفر الذنوب جميعاً، وأن الله يبدل السيئات حسنات، فمن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٠٢).

كفر ثم تاب من بعد كفره تاب الله عليه، ومن أشرك ثم تاب من بعد شركه تاب الله عليه، ومن أكل الربا ثم تاب من أكل الربا تاب الله عليه، ومن زنا ثم تاب من الزنا تاب الله عليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، ويقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة**»(١). وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

رابعاً: أهل الجنة إذا أذنبوا تابوا إلى الله لأنهم قد علموا أن الله يحب التوابين، وأن الله يفرح بالتائب إذا تاب إليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال ﷺ: «**لله أشدُ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عندهُ فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»(٢).

فيا أيها العاصي ما الذي يمنعك من التوبة؟ وكل منا يعرف ذنبه

---

(١) **حسن**: ت: (٣٥٤٠)، حم: (٥/ ١٨٢)، مي: (٢٧٨٨). طص: (٢/ ٨٢)، حل: (٤/ ٣٠١)، [«ص. ج» (٤٣٣٨)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٧).

فماذا تنتظر؟! أتسوف؟! أتؤجل التوبة إلى الغد؟ أنسيت أن الموت يأتي بغتة؟ أنسيت أن أكثر صياح أهل النار من سوف، لقد كانوا يسوِّفون التوبة حتى خرجوا من الدنيا بدون توبة، فيا أيها العاصي إن تبت إلى الله أحبك، وإذا أحبك الله فلا يعذبك أبداً، يقول ﷺ: «**والله، إن الله لا يلقي حبيبه في النار**»(١). وإذا أحبك الله حببك إلى أهل الأرض، وإذا أحبك الله رعاك وأيدك ونصرك ووفقك، فإذا دعوته استجاب لك، وإذا استغفرته غفر لك، كما يقول في الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينه، ولئن استعاذني لأُعيذنه**»(٢).

خامساً: أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا إذا اذنبوا تابوا وأنابوا إلى الله؛ لأنهم قد علموا أن الموت يأتي بغتة، وأن باب التوبة يغلق عند الموت، فإن الإنسان إذا نام على فراش الموت وبلغت الروح الحلقوم، وتاب حينئذٍ ردت توبته، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨]، كم من الناس لا ينتبه إلا عند الموت، يقول: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، فيقال له: كلا، ورسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(٣) والعاقل من اتعظ بغيره.

● فهذا فرعون علا في الأرض، وكان من المفسدين وتاب عند الموت وقال: إني تبت الآن، فالله ﷻ وبخه ورد عليه توبته وقال له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١].

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ١٠٤)، ك: (١/ ١٢٦)، ع: (٦/ ٣٩٧)، هب: (٥/ ٤٢٢)، [«ص. ج» (٧٠٩٥)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٣٧).

(٣) **حسن**: ت: (٣٥٣٧)، هـ: (٤٢٥٣)، حم: (٢/ ١٣٢)، حب: (٦٢٨)، ك: (٤/ ٢٨٦)، ع: (٩/ ٤٦٢)، ش: (٧/ ١٧٣)، هب: (٥/ ٣٩٥)، [«ص. ج» (١٩٠٣)].

فيا أيها العاصي، إذا بقيت على معصيتك حتى ينزل بك ملك الموت لتقول عندها: تبت إلى الله، فسيقال لك: الآن يا آكل الربا وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين! الآن أيها العاق لوالديك! الآن أيها التارك للصلاة! الآن أيها المضيع لحكم الله! ابن آدم الآن فتب، فما الذي يمنعك من أن تتوب قبل الموت؟!

عباد الله! المعصية وإن كانت صغيرة فالإصرار عليها يجعلها كبيرة، فما بالك بالذي يدخن ويعلم أن الدخان حرام ولم يفكر يوماً في التوبة، وكم من الناس من يحلق لحيته ويعلم أن حلق اللحية حرام ولم يفكر يوماً في التوبة، وكم من الناس يسمح لابنته وزوجته بالتبرج ويعلم أن التبرج حرام ولم يفكر يوماً في التوبة؟!.

سادساً: أهل الجنة وهم في الدنيا كانوا إذا اقترفوا ذنباً تابوا إلى الله لأنهم قد علموا وأيقنوا أن باب التوبة سيغلق إذا طلعت الشمس من مغربها، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ويقول ﷺ: «**إن الله** ﷻ **يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١)، فإن طلعت الشمس من مغربها سُكرت أبواب التوبة، وعندها يندم العاصي الذي لم يتب ويقول: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

فيا إخوة الإسلام! من أراد الجنة فعليه أن يبادر بالتوبة إلى الله قبل أن يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها، التوبة النصوح، فهم إذا اقترفوا ذنباً أو وقعوا في معصية

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٥٩).

بادروا بالتوبة والرجوع إلى الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها ولكن على التائب أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً.

• والتوبة النصوح المقبولة عند الله ﷻ هي التي تتوفر فيها هذه الشروط:

الشرط الأول: الإقلاع عن الذنب، فكم من الناس من يأكل الربا ويقول: أستغفر الله، ويحافظ على الصلاة، ومع ذلك يُصِرُ على أكل الربا، وكم من المتبرجات من تُصِرُ على التبرج وتستغفر ربها، فهذه توبة الكذابين، لكن يا آكل الربا! أترك الربا، ويا أيتها المتبرجة! أتركي التبرج.

الشرط الثاني: الندم على فعل الذنب.

الشرط الثالث: العزم على عدم العودة إلى الذنب مرة أخرى.

الشرط الرابع: أن تكون التوبة قبل الموت، وقبل طلوع الشمس من مغربها، هذه الشروط إذا كان الذنب بينك وبين الله ﷻ، أما إذا كان الذنب بينك وبين آدمي فعليك الالتزام بهذه الشروط ثم تضيف إليها شرطاً آخر وهو:

الشرط الخامس: وهو أن تستسمح هذا الذي وقعت في عرضه، أو أكلت ماله، أو ظلمته، تستسمحه قبل الموت، وقبل يوم القيامة، وقبل أن لا يكون درهم ولا دينار وإنما هي الحسنات والسيئات.

• وعلى التائب أن يغير البيئة التي كان يعيش فيها قبل التوبة إلى بيئة صالحة، فالبيئة الفاسدة تؤثر على التائب، وقرناء السوء يؤثرون على التائب، فكم من تائب انتكس على أم رأسه إلى المعاصي بسبب البيئة السيئة، وبسبب قرناء السوء، اسمع واتعظ بهذا البائس الذي قال الله عنه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

• واعتبر من هذا الرجل الذي قتل مائة نفس ثم ذهب إلى العالِم، فقال العالِم له: ومن يحول بينك وبين التوبة؟! ولكنه أمره بتغيير البيئة فقال له: لا ترجع إلى أرضك وأهلك؛ لأنهم أهل سوء، ولكن اذهب إلى القرية الفلانية؛ فإن فيها قوماً صالحين فاعبد الله معهم.

• ثم أيها التائب، عليك أن تكثر من الأعمال الصالحة لِتمحو بذلكَ ما مضى من السيئات، فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

• أيها التائب عليك بدروس العلم الشرعي المقامة في بيوت الله، إذا أردت الثبات على التوبة، وإذا أردت أن تزداد حسناتٍ على ما أنت فيه من توفيقٍ في الأعمال الصالحة، وإذا أردت أن تُقبل على الله، وإذا أردت أن تفرق بين الشرك والتوحيد، وبين الكفر والإيمان، وبين السنة والبدعة، وبين الحلال والحرام، فعليك بدروس العلم المُقامه في بيوت الله لتتعلم دينك، فالمساجدُ بيئة صالحة، فيها قرناء صالحون، وفيها الدروس التي تتعلم فيها الحلال والحرام فتحفك الملائكة وتنزل عليك السكينة، ويذكرك الله في الملأ الأعلى.

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل

❊ ❊ ❊

١٦٥

صفات أهل الجنة

١٦ ـ الخوف من النار

عباد الله! بالعقيدة الصحيحة يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحيا حياة طيبة، وفي الآخرة يفوز بجنة عرضها السمٰوات والأرض، ولذلك يا عباد الله فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السادسة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الخوف من النار».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يخافون من النار، ومن عذاب النار، فدفعهم خوفهم ذلك إلى أن هربوا من هذه النار بفعل الطاعات وبالابتعاد عن المعاصي، أخبرنا بذلك ربنا في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ إلى أن قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ إلى أن قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ١٧ ـ ٢٧].

عباد الله! أهل الجنة كانوا ـ وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يخافون من النار ومن عذاب النار، ولمّا خافوها هربوا منها ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

عباد الله! **هنا سؤال مهم نجيب عليه ألا وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يخافون من النار ومن عذابها؟

عباد الله! الذين يريدون الجنة لا بُدَّ أن يخافوا من النار، وما دخل أحد الجنة إلا وقد خاف من النار، فمن خاف من النار هرب إلى الجنة، وقام بالأعمال الصالحة، وابتعد عن المعاصي، أما الذين أمنوا مكر الله، أمّا الذين لم يخافوا من النار فأولئك هم القوم الخاسرون.

عباد الله! أهل الجنة وهم في الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يخافون من النار ومن عذابها:

أولاً: لأن الله ﷻ خوّفهم من النار وحذرهم منها، يقول الله ﷻ محذراً عباده المؤمنين من النار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

يا أيها الذين آمنوا! يا من تصلي، يا من تصوم، يا من تبر والديك، يا من تقوم بالطاعات، اتقِ الله وخلص نفسك وأولادك من هذه النار، فالذي يأكل الربا ويطعم أولاده من الربا هل ينجي نفسه وأهله من النار؟ الذي يأتي بوسائل الفساد إلى بيته ليفسد نفسه وأهله وأولاده هل ينجي نفسه وأهله من النار؟ الذي يسمح لابنته ولزوجته أن تخرج متبرجة هل ينجي نفسه أو ينجيهم من النار؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ

ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٣ ـ ١٦].

إذاً فالله ﷻ يخوِّف عباده من النار، فإذا رأيتم الناس يسارعون إلى معصية الله كما نرى اليوم فاعلموا أنهم لا يخافون من النار، ولا يخافون من الله.

• ورسولنا ﷺ كذلك كان يخوّف أمته من النار، يقول ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»(١)، أي: احذروا هذه النار وخلِّصوا أنفسكم من عذابها ولو بشق تمرة تتصدقوا بها ابتغاء وجه الله، ويقول ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(٢).

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ فقال: «**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبُلُّها ببلالها**»(٣).

ويقول ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**»(٤)، ويقول ﷺ: «**ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام**

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦). (٢) **صحيح**: م: (٢٨٤٢).
(٣) **صحيح**: م: (٢٠٤). (٤) **صحيح**: م: (٤٢٦).

طالبها»(١)، فأهل الجنة هم من خوفهم الله من النار، وحذرهم منها فخافوا، أنذرهم النار فاستعدوا للنجاة منها ولدخول الجنة.

ثانياً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ خافوا من النار؛ لأن عذابها أليم لا يقدر عليه أحد، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٨ ـ ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

ابن آدم! أتقدر على هذا العذاب؟ يا آكل الربا، يا أيها العاق لوالديك، يا تارك الصلاة، يا من تفسد في الأرض أتتحمل هذا العذاب؟ يقول رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ـ لم يا ربنا؟ ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٥٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦].

وقف رجل على شاطئ البحر فسمع رجلاً آخر يتلو هذه السورة فلما

---

(١) **حسن**: ت: (٢٦٠١)، طس: (٢/ ١٧٧)، هب: (١/ ٣٥٠)، حل: (٨/ ١٧٨)، [«ص. ج» (٥٦٢٢)].

بلغ القارىء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾، أخذ ذاك الرجل يتمايل، فلما أكمل القارىء قوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] وقع الرجل مغشياً عليه في الماء فمات.

عباد الله! اعلموا أن تارك الصلاة مجرم، وآكل الربا مجرم، والعاق لوالديه مجرم، والنمام مجرم، والذي يغتاب الناس مجرم، والذي يفسد بين الناس مجرم، وشارب الخمر مجرم، ولا تنسوا قوله ـ تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

ويقول ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول لا والله..**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغهُ كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً؛ وإنه لأهونهم عذاباً**»(٢). فهل تقدر على هذا العذاب يا ابن آدم؟ إذاً أهل الجنة كانوا يخافون من النار لأن عذابها أليم.

ثالثاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ خافوا من النار، لما أخبرهم الله عن صياح أهلها فيها، فقد أخبرنا الله ﷿ عن صياح أهل النار وماذا يقولون فيها، وماذا يطلبون، فهل ترضى يا ابن آدم

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٠٧).

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٩٣)، م: (٢١٣).

أن تكون من هؤلاء؟ أنت الآن في دار العمل وتستطيع أن تنجّي نفسك من هذا العذاب، فاسمع إلى أهل النار واتعظ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٧ ـ ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٨]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١١، ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

فيا عباد الله! هذه هي النار التي خافها أهل الجنة وهربوا منها، ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها الخوف من النار، واعلم أن أهل الجنة ـ في هذه الدنيا ـ لما خافوا من النار ومن عذابها وأرادوا النجاة من النار ومن عذابها الأليم كان من حالهم ما يلي:

أولاً: أنهم فروا إلى الله والتجئوا إلى الله، ودعوا الله ﷻ بالليل والنهار أن ينجّيهم من النار، وقد سجل الله لنا ذلك، فقال تعالى في

وصف أهل الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١]، وقال تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٢ ـ ١٩٥].

وكان ﷺ يطلب في دعائه أن ينجيه الله ﷻ من النار فكان يقول: «**اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل**»[(١)]، وكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[(٢)].

ثانياً: سارعوا إلى الله ﷻ بفعل الطاعات، فقاموا الليل، وصاموا النهار، وأدوا الفرائض، وتقربوا إلى الله بالنوافل لينجوا بأنفسهم من النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٠].

ثالثاً: ابتعَدُوا عن المعاصي، وفي ذلك يقول رب العزة لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر: ١٣]، وتذكروا

---

(١) **صحيح**: حب: (٨٦٩)، هـ: (٣٨٤٦)، حم: (٦/١٤٦)، خد: (٦٣٩)، [«ص. هـ» (٣١١٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٢٦)، م: (٢٦٩٠).

هؤلاء السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فإن منهم: «**رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله**»[١].

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة،
ونعوذ بك من سخطك والنار

❀ ❀ ❀

(١) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).



صفات أهل الجنة

١٧ ـ الاعتدال في الإنفاق

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السابعة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الاعتدال في الإنفاق».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا، ولم يقتروا، وكان بين ذلك قواماً. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ
يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ
وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾
وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا
ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦].

عباد الله! المال نعمة من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣].

● المال هو عصب الحياة؛ إذ لا يستغني إنسان في هذه الدنيا عن المال، ففيه خير عظيم، ولذلك سَمَّى الله ﷻ المال في كتابه خيراً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨﴾ [العاديات: ٦ ـ ٨]، أي: إنه لحب المال لشديد، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] ـ أي: إن ترك مالاً ـ فالمال خير ونعمة، والإنسان بطبيعته يحب المال، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الفجر: ٢٠]، والناس في هذا المال على أقسام:

قسم عصى الله بهذا المال، وحارب الله بهذا المال، فمنهم من أكل الربا، فالمال مال الله وهم يأخذونه ويرابون به ويعصون الله ﷻ، والله قد حرم عليهم الربا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال ﷺ: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستٍ وثلاثين زنية**»(١)، وقال ﷺ: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**»(٢).

وبعد ذلك فهذا القسم من الناس أعلن الحرب على الله بما أعطاه من مال، فأكلوا به الربا، وتعاملوا بالربا، وأعطوا أموالهم بالفائدة كما يزعمون فعاقبهم الله ﷻ:

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٥)، قط: (٣/ ١٦)، هب: (٤/ ٣٩٣)، طس: (٣/ ١٢٤)، [«ص. ج» (٣٣٧٥)].

(٢) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، هب: (٤/ ٣٩٤)، [«ص. ج» (٣٥٣٧)].

أولاً: بأن محق هذا المال من أيديهم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وهذا سيكون إما عاجلاً وإما آجلاً.

ثانياً: بأن أعلن الحرب على أكلة الربا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]، فحاربهم الله في أموالهم، وحاربهم في صحتهم وأولادهم، ونسائهم وسعادتهم، فتجد أكلة الربا لا يعرفون طعم الحياة، ولا يعرفون طعم الصحة لأن الله أعطاهم المال وهو نعمة من الله عليهم لكنهم حاربوا الله بهذا المال فأعلن الله الحرب عليهم.

• ومن هذا القسم الذي حارب الله بماله أولئك الذين بغوا على الناس بأموالهم كقارون فإنه كان من قوم موسى فبغى عليهم واعتدى عليهم، لِمَ؟ لكثرة ماله؛ فعاقبه الله ﷻ بأن خسف به وبماله الأرض فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة.

• ومن هذا القسم أيضاً من تكبر على الله بماله ونظر إلى الفقراء نظرة احتقار وازدراء، فيا أيها المسكين اعتبر بصاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف، فإنه لما تكبر على صاحبه بماله أباد الله ﷻ ما في يديه من مال، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ ـ فما كانت النتيجة؟ ـ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٣٤ ـ ٤٢].

وقسم ثان: وهم هؤلاء الذين بخلوا بمالهم، ولم يعطوا حق الله في هذا المال، ولم يعطوا حق عباد الله في هذا المال، بخلوا بأموالهم حتى أن منهم من بخل على نفسه وعلى أولاده، وهؤلاء هم من أصيبوا بمرض

البخل، فلا همَّ لهم إلا أن يجمعوا المال، لا هم لهم إلا أن تكثر معهم الألوف، وهؤلاء يعذبون في الدنيا بجمع المال، ويعذبون عند الموت بفراق هذا المال؛ لأنه عزيز عليهم، ويعذبون يوم القيامة إذا وقفوا بين يدي الله وهو يسألهم عن هذا المال.

وقسم ثالث: وهم الذين أسرفوا أموالهم ذات اليمين وذات الشمال، في الملذات والشهوات كما نرى كثيراً منهم اليوم حيث يأتيهم المال فينفقونه فيما طاب ولذ، لا يعرفون الادخار ولا يعرفون كيف ينفقون أموالهم، فترى عاقبة الكثير منهم أنه سكن السجون وقعد ملوماً محسوراً.

أما القسم الرابع: ـ ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ـ فهم لا يسرفون ولا يعصون الله بأموالهم ولا يبخلون، ولكنهم ينفقون أموالهم في مرضاة الله بالليل والنهار سراً وعلانية كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وهؤلاء ينفقون أموالهم فلا يسرفون ولا يبخلون ولكنهم بين ذلك قواماً كما سمعتم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، اعتدال في إنفاق الأموال، وسطية يحبها الله بلا إسراف ولا تقتير.

إخوة الإسلام! **وهنا سؤال مهم وهو: كيف استطاع أهل الجنة وهم في هذه الدنيا أن ينفقوا أموالهم دون أن يسرفوا ولا أن يقتروا؟**

الجواب ـ أولاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الله لا يحب المسرفين، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

ثانياً: لأنهم كانوا ينفقون أموالهم في هذه الدنيا ابتغاء مرضاة الله، وابتعدوا كذلك عن الإسراف؛ لأنهم علموا أن الله لا يهدي المسرفين إلى طرق الحق والصواب، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر: ٢٨].

ثالثاً: ابتعدوا عن الإسراف لأنهم علموا أنه يؤدي إلى الترف، والترف سبب لدخول النار، فأهل النار هم من الذين كانوا مترفين في هذه الدنيا ولا يعبدون الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٥]، انظر إلى المعاصي من أين تخرج؟ من المترفين، من أصحاب الأموال الذين ينفقون أموالهم في معصية الله إلا من رحم ربي.

الترف سبب لهلاك الفرد والأمة والشعوب، وسبب لهلاك القرى والبلاد، فكم من بلدة وقرية ودولة أترفت فعصت ربها فأبادها الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

إذن الإسراف يؤدي إلى الترف، والترف يمنع صاحبه من قبول الحق، والمترفون في كل زمان ومكان هم من كانوا يقفون في وجه الرسل، وهم الذين يقفون في وجه الإسلام.

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٥ ـ ٣٧]. وهذا نراه بأم أعيينا اليوم فإنهم لا يريدون الإسلام ولا الصلاة، لا يريدون الحجاب، لا يريدون الحكم بما أنزل الله، لا يريدون عدم الاختلاط، لا

يريدون ما أراده الله، بل يريدون الملذات والشهوات، والنار حفت بالشهوات والملذات، والجنة حفت بالمكاره، فهم لا يريدون المكاره بل يريدون ما تشتهي أنفسهم، أي: يطلبون ما حفت به جهنم، فإياك إياك أيها الغني أن تظن أَنك تتقرب إلى الله بمالك وأنت تعصي الله بهذا المال، أنفق هذا المال في مرضاة الله تنتفع به يوم القيامة وتتقرب به إلى الله.

رابعاً: كذلك فإنهم لم يبخلوا، لم؟ لأنهم علموا أنه لا يليق بالمؤمن أن يكون بخيلاً.

فهم تركوا البخل لأنهم علموا أنه شر على صاحبه في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

تركوا البخل؛ لأنهم علموا أن البخل سبب للهلاك. يقول ﷺ: «**ثلاث مهلكات وثلاث منجيات**» ـ ثم قال ﷺ ـ: «**فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(١). شح مطاع ـ أي: رجل مريض بمرض الشح وهو يطيع هذا المرض فيؤدي بنفسه إلى الهلاك، ويقول ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»(٢).

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها أنهم إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواماً.

عباد الله! انظروا معي اليوم إلى كثير من المسلمين نظرة صادقة لتروا كيف أنهم يُسرفون بأموالهم؟ انظروا إلى ولائم المسلمين وإلى الطعام الذي يلقى في الحاويات، وانظروا معي إلى أعراس المسلمين

---

(١) **حسن**: طس: (٦/ ٤٧)، [«ص. ج» (٣٠٤٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

اليوم، وإلى الإسراف الذي يقع في هذه الأعراس! ابن آدم، اعلم أنك إذا أكلت وشربت من الحلال وأسرفت فأنت من المسرفين، فما بالنا بإنفاق أو بإسراف المال في الحرام؟ فكثير من الأموال تنفق في الأعراس على الخمر، وعلى الدخان، وعلى الراقصات وعلى المغنيات وعلى أنغام الموسيقى وعلى التصوير، وكل ذلك فيه معصية لله ولعل المسكين يفتخر بأنه أنفق كذا وكذا من الألوف في عرس ولده ونسي أن هذا إسراف وحرام! ونسي أن الله لا يحب المسرفين! ونسي أن الله لا يهدي المسرفين إلى الحق! ونسي أن الإسراف سبب إلى الترف، وأن الترف سبب للهلاك!

فيا إخوة الإسلام! اتقوا الله، أنسيتم أنكم ستموتون؟ أنسيتم إنكم ستقفون بين يدي الجبار يوم القيامة يسألكم عن هذا المال؟ يقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع** ـ وذكر منها ـ: **وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»(١)، فيا من أنفقت الألوف على الدخان، ويا من أنفقت الألوف على الخمر، وعلى الراقصات والمغنيات، ماذا عساك تقول لربك يوم القيامة؟ أعدّ من الآن لهذا السؤال جواباً، وإلا فعليك أن تتوب قبل أن ينزل بك ملك الموت.

انظروا يا عباد الله إلى كثير من هؤلاء الذين ينفقون أموالهم في الحرام لترونهم يبخلون بأموالهم عن الزكاة وعن الصدقات! حتى أنك ترى الواحد منهم لا يخرج ديناراً واحداً في بناء مسجد، أو يتصدق بدينار واحد على المساكين، لقد بخل بماله عن كل خير!، فنقول له: يا جامعاً للمال ستترك هذا المال لمن بعدك، فإن كانوا عصاة فسيشربون به الخمر والدخان وسينفقونه في السهرات الحمراء، وأنت ستكون في قبرك يا عبد الله تعذب على هذا المال وتُسْأَل عنه يوم القيامة فيا ابن آدم:

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، طب: (١١/ ١٠٢)، طس: (٥/ ٧٤)، حل: (١٠/ ٢٣٢)، ع: (١٣/ ٣٥١)، [«ص. ج» (٧٣٠٠)].

لا تجمعْ من الدنيا كثيراً فإن المال يُجمعُ للنفادِ
أترضى أن تكون رفيق قومٍ لهم زادٌ وأنت بغير زادِ

فاحذروا يا عباد الله، فإن الكثير من الناس ـ وممن يصلون ـ تراه إذا أخرج خمسة دنانير ليتصدق على الفقراء أو ليساهم في بناء مسجد تراه متردداً وكأنك تأخذ عينه من رأسه، مع أنه إذا قالت له زوجته اشتري لي (ستالايت) فإنك تراه يهرول ويقترض من الحرام ويستدين ليأتي لها بجهاز المفسديون أو الفيديو، أما أن ينفق في سبيل الله فتكاد لا ترجو منه ذلك!.

يا ابن آدم! الموت يأتيك بغتة وإذا خرجت من هذه الدنيا فستقول: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، فيقال لك: كلا، فيا أيها العاقل، يا من تريد الجنة، لا تنسى أن الله أعطاك مالاً في هذه الدنيا فإذا أنفقته فلا تسرف ولا تقتر وكن بين ذلك قواماً، فهذه صفة من صفات أهل الجنة، نسأل الله أن يرزقنا إياها.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁



صفات أهل الجنة

١٨ ـ التوحيد وعدم الشرك

عباد الله! بالعقيدة الصحيحة يفوز الإنسان بجنة عرضها السموات والأرض، ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن العقيدة الصحيحة، لقد وصل بنا الحديث عن العقيدة إلى صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من سكانها.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثامنة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «التوحيد وعدم الشرك».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يوحدون الله ﷻ ولا يشركون به شيئاً، يوحدون الله ﷻ في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، فإذا صلوا لا يصلون إلا لله، وإذا دعوا لا يدعون إلا الله، وإذ نذروا لا ينذرون إلا لله، يريدون بأعمالهم وجه الله والجنة.

وقد أخبرنا الله ﷻ عنهم في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى أن قال رب العزة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦].

ويصف ربنا جل وعلا عباده أولئك في موضع آخر بأنهم كانوا في هذه الدنيا لا يشركون به شيئاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

عباد الله! إذاً لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا يوحّدون الله ﷻ ولا يشركون به شيئاً؟

الجواب ـ أولاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الله خلقهم في هذه الدنيا ليوحدوه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وعلموا وأيقنوا أن الله ﷻ أرسل إليهم الرسل يدعونهم إلى التوحيد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وعلموا أنه ما من نبي جاء لقومه إلا وهو يدعوهم إلى توحيد الله ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقد ٱستجاب أهل الجنة بعد أن أيقنوا أن الله ﷻ أمرهم في كتابه بأن يوحدوه قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ثانياً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا وحَّدوا الله ﷻ ولم يشركوا به شيئاً لأنهم قد علموا وأيقنوا أن حق الله على العباد أن يوحِّدوه ولا يشركوا به شيئاً، يقول ﷺ: «**يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟**» قلت: ـ يعني: معاذ رضي الله عنه ـ الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**» فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟

قال: «**لا تبشرهم فيتلوا**»(١).

ثالثاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا وحَّدوا الله ﷻ ولم يشركوا به شيئاً لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الشرك حرام، يقول الله ﷻ: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا**﴾ [الأنعام: ١٥١].

● فهم قد عبدوا الله ووحَّدوه وابتعدوا عن الشرك لأن الشرك سبب لسكنى جهنم، وما أعد الله ﷻ النار إلا للمشركين والكفرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾**﴾ [البينة: ٦].

رابعاً: أهل الجنة وحَّدوا الله ﷻ ولم يشركوا به شيئاً في هذه الدنيا؛ لأن الشرك يحبط الأعمال، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾**﴾ [الزمر: ٦٥].

خامساً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا وحَّدوا الله ﷻ؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الشرك ظلم عظيم، قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾**﴾ [لقمان: ١٣].

سادساً: أهل الجنة وحَّدوا الله ولم يشركوا به شيئاً؛ لأنهم علموا أن الشرك ذنب لا يغفره الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النساء: ٤٨]، ويقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أُبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم**

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٧٠١)، م: (٣٠).

لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»(١).

سابعاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً لأنهم علموا أن الشرك أعظم الذنوب، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ: «أيُ الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك»(٢).

ثامناً: لأنهم علموا أنَّ الشرك من أكبر الكبائر، قال ﷺ: «ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...»(٣).

تاسعاً: لأنهم علموا أنَّ الشرك من الموبقات قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» ـ أي: المهلكات، وذكر منها ـ «الشرك بالله»(٤).

عاشراً: لأنهم علموا أنَّ الشرك سبب لتفريق الأمة، نعم، فإن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا لما وحَّدوا الله عز وجل ألف بين قلوبهم، وجعلهم أمة واحدة، ونحن إذا أشركنا وفسدت عقيدتنا كنا فرقاً وأحزاباً كما هو واقعنا اليوم كل حزب بما لديهم فرحون، فهذه الفرقة وهذه الحزبية التي بين المسلمين سببها هو فساد العقيدة، يقول الله عز وجل محذراً أمة الإسلام: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]. فيا معشر الأحزاب في كل مكان! هل من عودة إلى العقيدة السليمة؟ فالاتحاد والاعتصام لا يكون إلا بالتوحيد، والتفرق والحزبية يكون بالشرك وفساد العقيدة.

حادي عشر: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا وحَّدوا الله عز وجل وابتعدوا

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٠)، حل: (٢/ ٢٣١)، طس: (٤/ ٣١٥)، [«ص. غ. هـ» (١٦١٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٢٠٧)، م: (٨٦).

(٣) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

(٤) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

عن الشرك؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن التمكين والنصر على الأعداء في هذه الدنيا لا يكون إلا بالعقيدة الصحيحة ولا يكون بالعقيدة الفاسدة أبداً، يقول الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥]، فالعجب كل العجب ممن يتكلمون عن الجهاد ويتكلمون عن النصر لا يهتمون بالعقيدة ولا بتربية الأمة على التوحيد الخالص! لقد نسوا أن الأنبياء جميعاً بدءوا بذلك. فالواجب علينا أن نبدأ بالدعوة إلى التوحيد الخالص، أن نبدأ بتربية الأمة على العقيدة السليمة. فإذا فعلنا ذلك نكون قد نصرنا الله في أنفسنا وإذا نصرنا الله نصرنا الله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

عباد الله! من أراد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها التوحيد وعدم الشرك. وانظروا معي عباد الله إلى أحوال المسلمين اليوم تراهم يصلون ويحلفون بغير الله، ومنهم الذين يصلون ويدعون غير الله، ومنهم الذين يذهبون إلى السحرة والعرافين والكهان والمشعوذين، وهذا إن دل فإنما يدل على فساد العقيدة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أما الذين يريدون الجنة فإنهم إذا حلفوا حلفوا بالله لأن الحلف عبادة والرسول ﷺ يقول: «**من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله**»(١)، وقال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(٢)، فمن يريدون الجنة لا يذهبون إلى السحرة والمشعوذين أبداً لأنه لا يليق بمؤمن يحمل العقيدة الصحيحة أن يُرى ذاهباً إلى المشعوذين والسحرة، فلا يجتمع أبداً توحيد وشرك فكيف توحد الله في الصلاة ثم تشرك بالله في الدعاء، بل عليك بالتوحيد الخالص في كل شيء، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٦٢٤)، م: (١٦٤٦).

(٢) **صحيح**: د: (٣٢٥١)، ت: (١٥٣٥)، حم: (٢/ ١٢٥)، حب (٤٣٥٨)، ك: (٤/ ٣٣٠)، لس: (١٨٩٦)، هق: (١٠/ ٢٩)، [«ص. ج» (٦٢٠٤)].

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. من يريدون الجنة لا يذهبون إلى السحرة ولا المشعوذين لأن الرسول ﷺ أخبرهم بأن «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»(١)، ويقول ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٢).

أمة الإسلام! كم من المسلمين اليوم يهرولون إلى الكهان وإلى المشعوذين وإلى العرافين؟ كم من المسلمين اليوم من يعتقد أن الشفاء عندهم؟ لكن من يريدون الجنة إذا نزل بهم الضر علموا وأيقنوا أن لا كاشف له إلا الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]. لكن حالنا في هذا الزمان يقول: إذا مسنا الضر فلا كاشف له إلا السحرة والمشعوذون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أمة الإسلام! هذا هو القرآن بين أيدينا، يقول ﷻ فيه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ [النمل: ٦٢]، أما قال لكم ربكم: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهل ستدعو الله يا عبد الله أم ستذهب وتهرول إلى السحرة والمشعوذين؟ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ [يونس: ١٠٧].

الذين يريدون الجنة إذا أرادوا الولد أخذوا بالأسباب الشرعية وتوكلوا على الله ودعوا الله ﷻ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾ [الصافات: ١٠٠]، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً

---

(١) **صحيح**: م: (٢٢٣٠).

(٢) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٢٩)، ك: (١/ ٤٩)، لس: (٣٨٢)، طس: (٢/ ١٢٢)، هق: (٨/ ١٣٥)، [«ص. ج» (٥٩٣٩)].

طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨]، فهم يطلبون من الله.

لكن اليوم يا عباد الله من تزوج ولم ينجب تراه يهرول إلى المشعوذين والكهنة والعرافين يظن الجاهل أنهم يقدرون على إعطائه الولد، أما تقرءون القرآن يا عباد الله؟! ولكن كيف يُقْرأُ القرآن وقد امتلأت البيوت بالمفسديون و(الستالايت)؟! هل أصبحنا لا هم لنا إلا الدنيا واللهو؟ أفلا نقرأ القرآن؟ أفلا نقرأ قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. عليم بأحوال عباده قدير على أن يعطي هذا، ويمنع ذاك.

إذاً أهل الجنة كانوا يوحدون الله في كل عمل وقول، إذا حلفوا حلفوا بالله، وإذا دعوا دعوا الله، وإذا طلبوا شيئاً طلبوا من الله ﷻ، وإذا نذروا نذروا لله، وإذا ذبحوا ذبحوا لله، لم؟ لأنهم قد علموا أن الله ﷻ قد أوجدهم في هذه الدنيا ليوحدوه وحده ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، أي: إلا ليوحدون.

اسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن ينفعنا جميعاً بما قلنا
وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

❁ ❁ ❁



صفات أهل الجنة

١٩ ـ (أ) صيانة الأَعراض وحفظ الفروج من فاحشة الزنا

عباد الله! لا زلنا يا عباد الله في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة التاسعة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «صيانة الأعراض وحفظ الفروج من فاحشة الزنا».**

عباد الله! الاعتداء على الأعراض حرام وهو كالاعتداء على الأموال بالسرقة تماماً، بل هو كالاعتداء على الأنفس بالقتل وكل ذلك حرام، يقول ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»[1]، وقال ﷺ في خطبة الوداع: «**فإن دماءكم وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا**». فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال: «**اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت**»[2].

إخوة الإسلام! ولقد أخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا لا يعتدون على أعراض المسلمين، وكانوا يحفظون فروجهم من الوقوع في فاحشة الزنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

(٢) **صحيح**: خ: (١٦٥٢)، م: (١٦٧٩).

عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا
يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا
يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ
فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ
يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا
كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا
﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ إلى أن قال ربنا جل وعلا: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ
الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٥].

كما ويقول ربنا جل وعلا في سورة أخرى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ
﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾
[المؤمنون: ١ ـ ١١].

وقال ربنا جل وعلا في سورة أخرى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ
هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾
وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ
غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾
أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٣٥].

عباد الله! هؤلاء هم أهل الجنة الذين كانوا في الدنيا ـ في دار العمل ـ لا يعتدون على أعراض المسلمين، وكانوا يحفظون فروجهم من الوقوع في فاحشة الزنا.

عباد الله! **ونتساءل هنا لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يحفظون فروجهم من الوقوع في فاحشة الزنا؟**

الجواب ـ أولاً: لأنهم استجابوا لأمر الله إياهم بحفظ الفرج، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

وقال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(١).

ثانياً: لأنهم علموا أن الله ﷻ حرم الزنا، بل وحرَّم الاقتراب من الزنا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، فالزنا فاحشة والله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فحرَّم الله ﷻ على المسلمين أن يقتربوا من فاحشة الزنا، فالنظر إلى المرأة الأجنبية عنك اقتراب من الزنا والخلوة بالمرأة ومصافحتها اقتراب من الزنا، وتبرج المرأة اقتراب من الزنا، لذلك لما كان هذا السبيل من أسوأ السبل فقد عزل اللهُ ﷻ الزناة عن المجتمع المسلم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

فيحرم على المسلم أن يتزوج من زانية، ويحرم على المسلمة أن تتزوج من زانٍ؛ لأن المسلم إذا تزوج من امرأة زانية وهو يعلم أنها زانية، وأنها ما زالت تزني فإنه سيدخل على بيته العار، وسيقر المنكر في أهله فيكون ديوثاً، والديوث قد حرَّم الله عليه الجنة، وكذلك المرأة المسلمة لا

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).

يجوز لها أن تتزوج من رجل مشهور بين الناس بالزنا لأنها إن رضيت به فستكون على دينه يوماً ما، وستكون مثله زانية وستدب فيها الأمراض التي لا يعلمها إلا الله، فلا يجوز للمسلم أن يتزوج بامرأة زانية إلا أن تتوب توبة نصوحاً، ولا يجوز لمسلمة أن تتزوج من رجل زانٍ إلا أن يتوب توبة نصوحاً. قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

ثالثاً: أهل الجنة ابتعدوا عن فاحشة الزنا لأنهم علموا أنه من أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك والقتل، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نِداً وهو خلقك»، قال: قلت: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يَطعَمَ معك» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تُزاني حليلة جارك»[١].

رابعاً: أهل الجنة تركوا الزنا وابتعدوا عنه؛ لأنهم قد علموا أنه سبب لخراب الديار وسببٌ لسواد الوجوه، وسبب لطأطأة الرؤوس العالية، فمن وقع الزنا في بيته لا يُرفع له رأس أبداً، فلقد اسودَّ وجهه فلا يستطيع أن يتكلم بين الناس، ولذلك يقول ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[٢]، وأي عذاب بعد سواد الوجوه هذا؟! وأي عذاب بعد طأطأة الرؤوس؟! وأي عذاب بعد أن تخرس الألسنة فلا تتكلم أبداً؟!

خامساً: أهل الجنة ابتعدوا عن الوقوع في فاحشة الزنا؛ لأنهم قد علموا أن الزنا سبب لانتشار الأمراض الخطيرة التي لم نسمع بها من قبل. يقول ﷺ: «**يا معشر المهاجرين! خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تُدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين**

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٠٧)، م: (٨٦).

(٢) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨)، هب: (٤/٣٩٧)، [«ص. ج» (٦٧٩)].

مضوا....»[١]. وها أنتم تسمعون بالأمراض الخطيرة التي تنتشر بين الزناة في مجتمعات المسلمين بسبب فاحشة الزنا.

سادساً: أهل الجنة لم يقتربوا من فاحشة الزنا؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا بأن الله ﷻ قد رتب للزناة عقاباً أليماً شديداً في الدنيا، وفي القبر، ويوم القيامة.

أما العذاب في الدنيا:

فيقول الله ﷻ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢]. هذا إن كان الزاني والزانية بكراً لم يتزوجا بعد، والجلد يكون أمام الناس ليكونوا عبرة لغيرهم، أما إن كانا محصنين فالرجم لهما حتى الموت، حيث يؤتى بالزاني والزانية فيشدُّ على المرأة ثيابها، ثم يوقفان أمام الناس يرمونهما بالحجارة حتى الموت، إنها الفضيحة أمام خلق الله حتى يعلم الجميع وكل من تسول له نفسه أن يقترف فاحشة الزنا بأن هذا ما ينتظره فيرتجع الزاني عن زناه.

فانظروا عباد الله: كم كان الزاني يهرب ويستتر من أعين الناس، فعاقبة الله بعكس ما فعل بأن يقام عليه الحد أمام الناس.

أما في القبر:

فلقد روى البخاري في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ رأى في منامه «... ...**ثقباً مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، يتوقد تحته ناراً فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراةَ، فقال ﷺ: من هذا؟!... ... فقيل له: والذي رأيته في الثقب فهم الزناة....»**[٢].

---

(١) **صحيح لغيره**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، حل: (٨/ ٣٣٣)، هب: (٣/ ١٩٦)، [«ص. غ، هـ» (١٧٦١)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٣٢٠)، انظر الحديث بتمامه.

أما عذابهم يوم القيامة في نار جهنم:

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] أي: ذليلاً حقيراً.

يقول عطاء رحمه الله في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤]: (أشدها حراً وكرباً وغماً، وأنتنها ريحاً يكون للزناة).

ويقول مكحول رحمه الله في تفسير هذه الآية: (يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون: ما هذه الرائحة؟ فيقال لهم: هذه رائحة فروج الزناة).

سابعاً: أهل الجنة تركوا الزنا؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الزنا دَين إن أقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم.

- يقول الإمام الشافعي ممثلاً ذلك في أبيات من الشعر:

عِفوا تعفُ نساؤكمْ في المحرمِ ... وتجنبوا ما لم يليقُ بمسلمِ
مَنْ يزنِ في بيت بألف درهم ... في بيتِهِ يُزنى بغير الدرهمِ
مَنْ يزنِ يُزْنَ به ولو بجدارِهِ ... إن كنتَ يا هذا لبيباً فافهمِ
إن الزنا دينٌ فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتكَ فاعلمِ
يا هاتكاً ستر الرجال وقاطعاً ... سُبل المودة عشت غيرَ مُكرمِ
لو كنتَ حراً من سُلالة طاهرٍ ... ما كنتَ هتاكاً لحرمةِ مسلمِ

ويقول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)].

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها صيانة الأعراض وحفظ الفروج من فاحشة الزنا.

عباد الله! وإذا نظرنا في هذا الزمان العجيب وجدنا انتشاراً عجيباً لفاحشة الزنا، حتى لقد أصبح الزنا في متناول الجميع وأنتم تعرفون ذلك،

(١) **صحيح**: خ: (٢٣٤٣)، م: (٥٧).

بل وأصبحت النساء يطلبن ذلك في الشوارع ويفاوضن على السعر جهاراً نهاراً، ولا حياء ولا خجل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! وها أنا أضع أمامكم الأسباب التي أدت إلى انتشار الزنا لتكونوا منها على حذر.

السبب الأول: غياب الحكم بما أنزل الله، فنحن إذا تحاكمنا في مجتمعاتنا إلى ما أنزل الله ـ أي: أقمنا الحدود على العصاة فالسارق تقطع يده، والقاتل يقتل، والزاني إن كان محصناً رُجم حتى الموت وإن كان بكراً جُلد مائة جلدة ـ، إذا أقمنا ذلك بين الناس تقلَّصت الفواحش ومنها فاحشة الزنا، أما وإذ غابت الحدود، وغاب الحكم بما أنزل الله، فالمرأة تزني متى شاءت ومع من شاءت، والرجل يزني متى شاء بمن شاء كما نرى اليوم، لكن لو علم الزاني أنه إذا زنا رجم حتى الموت أمام المسلمين لمنعه خوفه من الموت من الزنا. ولكنَّ القوانين الوضعية تشجع على شيوع فاحشة الزنا وذلك أنها تغض الطرف عن الزناة إذ وقعت الفاحشة برضى الطرفين. نقول: لا، والله إن الزنا خطر على المجتمع، وإذا انتشر الزنا في المجتمع تعرض المجتمع لعذاب الله.

السبب الثاني من أسباب انتشار الزنا ـ المرأة:

المرأة هي السبب الرئيسي للتشجيع على الوقوع في فاحشة الزنا، فإن لها اليد الطولى في وقوع الزنا، ولذلك قدم الله المرأة على الرجل في العقاب والحد في جريمة الزنا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، فقدم ربنا جل وعلا المرأة على الرجل في العقاب على هذه الفاحشة؛ لأن المرأة لها اليد الطولى في ذلك ولو رفضت المرأة الزنا ما وقع، والله لو عشرة من الرجال قاموا على امرأة يريدون أن يزنوا بها فرفضت ذلك ما استطاعوا أبداً وجعل الله لها منهم مخرجاً، ولكن لو أنَّ امرأة واحدة كانت بين عشرين رجلاً وطلبت منهم الزنا لوقعوا جميعاً في فاحشة الزنا، إلا ما رحم ربي.

• ولذلك لما كانت المرأة هي السبب الرئيسي في الوقوع في فاحشة الزنا جاء الإسلام يحرم على المرأة أن تخرج من بيتها إلا لضرورة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

• ونهى المرأة أيضاً عن التبرج، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

• وحرم على المرأة أن تتعطر وتخرج من بيتها لتمشي بين الرجال يقول ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية**»(١).

• وحرم على المرأة أن تخلو بالرجال فقال ﷺ: «**ألا لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»(٢).

• وحرم على المرأة أن ترقق صوتها حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

• ونهى المرأة أن تصافح الرجل، فقال ﷺ: «**لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمسَّ امرأة لا تحل له**»(٣).

عباد الله! إن المرأة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان فزينها في أعين الرجال، وانظروا إلى حال نساء المسلمين في الشوارع والأزقة هنا وهناك، الواحدة منهن تكلم هذا وتمازح ذاك، ثم يكون بعد النظرة الابتسامة، وبعد الابتسامة الموعد، وبعد الموعد يكون اللقاء، وبعد اللقاء

---

(١) **حسن**: د: (٤١٧٣)، ت: (٢٧٨٦)، ن: (٥١٢٦)، حم: (٤/ ٤١٣)، خز: (١٦٨١)، حب: (٤٤٢٤)، ك: (٢/ ٤٣٠)، [«ص. غ. هـ» (٢٠١٩)].

(٢) **صحيح**: ت: (٢١٦٥)، حم: (١/ ٢٦)، حب: (٥٥٨٦)، ك: (١/ ١٩٧)، لس: (٣١)، طس: (٧/ ١٩٣)، ع: (١/ ١٣٣)، [«ص. ج» (٢٥٤٦)].

(٣) **حسن صحيح**: طب: (٢٠/ ٢١١)، هب: (٤/ ٣٧٤)، [«ص. غ. هـ» (١٩١٠)].

تكون الفاحشة، وعندها ينتبه هذا الديوث الذي سمح لامرأته أو ابنته أن تخرج متى شاءت بأي لباس شاءت، فإن رآها زنت أخرج مسدسه وقتلها! لم يكن هذا هو العلاج، إنما العلاج أَن تراقب عرضك؛ فإن العِرض غالٍ، فأين رجولتك عندما جئت لها بوسائل الفساد في البيت، ومنحتها الحرية لتخرج متى شاءت كيف شاءت إلى أي مكان شاءت؟... واشتريت لها الملابس الخليعة فأنت الذي قربتها بيدك إلى فاحشة الزنا، فاتقوا الله عباد الله وحافظوا على أعراضكم.

من أسباب انتشار الزنا:

ثالثاً: ضياع الغيرة عند كثير من الرجال إلا من رحم ربي:

فهناك من الناس في هذا الزمان مَنْ أصبح يقلد الكفار فلا يغار على ابنته ولا على زوجته بل يتركها مع من شاءت، وتحب من شاءت، وتنام مع من شاءت، ويقول لك: إنها الحرية! نحن في القرن العشرين، قرن الحرية، فهذا ديوث قد أصيب بمرض الدياثة فصار كالخنزير بل هو أضل، ثم نسي هذا الديوث أنه ينبغي للمسلم أن يغار على عرضه! ولعل الكثير من الناس من أجل جمع المال يسافر السنين الطوال بعيداً عن أهله ثم يعود إليهم ليجد أهله قد اقترفوا فاحشة الزنا، نقول له: أنت السبب أيها الرجل لأن المرأة تحتاج إلى الرجل كما تحتاج إلى الطعام والشراب، فليتق الله أولئك الذين لا هَمَّ لهم إلا المال ومن أجله فرطوا في أعراضهم.

رابعاً: وجود الخادمين والخادمات في البيوت:

فالكثير من الناس يأتي بالخادمة في بيته، ويتركها وحدها مع ابنه الشاب الذي لا يفرق بين البيضاء والسوداء، وبين الحلال والحرام، الذي لا دين له ولا خلق، ولو أقول ما أعلم لبكيتم كثيراً لما حل في بيوت المسلمين، فالرجل همه أن يجمع المال ولا يدري ماذا يكون في بيته أثناء غيابه، وهناك طامة أخرى وهي أن يأتي بسائق أو خادم ويتركه مع زوجته في البيت على أنه يشرف على مزرعته ويقوم على صيانة البيت، ثم يذهب

هذا المغفل ويترك هذا الرجل مع زوجته وهو لا يدري ماذا سيكون في غيابه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والأسباب كثيرة لكن المقام لا يتسع لذكرها، واللبيب بالإشارة يفهم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً
اللهم استر على نسائنا



١٦٩

ب ـ طرق الوقاية من الزنا

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة التاسعة عشرة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**حفظ الفروج من الزنا**».

وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ لم يقتربوا من الزنا؛ لأن الله ﷻ حرم عليهم ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

عباد الله! وقلنا في الجمعة الماضية: إنّ من الأسباب التي أدت إلى انتشار الزنا في مجتمعات المسلمين في هذه الأيام: التبرج، والسفور، والعري، والاختلاط، وعدم الغيرة من الرجال على النساء ـ إلا ما رحم ربي ـ وعدم غض البصر، وعدم إقامة الحدود الشرعية، وانتشار أفلام (الفيديو) والمجلات الساقطة التي تتداول بين السفلة من البشر والتي يبيعونها للشباب والشابات، وكذلك ٱنتشار الغناء الماجن الذي ما ترك وصفاً للمرأة إلا وتكلم فيه، وكذلك وجود الخادمين والخادمات في البيوت، وانتشار تلك (الحبوب) التي تتداول بين البنات في المدارس والتي إذا تناولتها الفتاة أخذت تبحث في الشارع عن الشاب لتفعل الزنا، وأولياء الأمور مع كل هذا في نومهم يغطون، ولا أدري متى يستيقظون؟ الرجل طوال يومه يبحث عن المال، والأم لاهية، والشباب والشابات في ضياع، كذلك فإن سفر المرأة إلى الخارج بدون محرم سبب من أسباب انتشار الزنا، وما تفعله الفتيات اللواتي يتغيبن عن البيوت بالأسبوع وبالشهر، وبالسنة لا يعلمه إلا الله وما خفي أعظم.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن: «طرق الوقاية من الزنا».**

فبعد أن عرفنا الأسباب التي أدت إلى انتشار الزنا، فالواجب علينا ومن الأمانة العلمية، ومن أمانة النصيحة علينا أن نبين لكم طرق الوقاية من الزنا.

إن الزنا حرام حرّمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، والزنا يعرّض الأمة للدمار، والزنا سبب لكل شر؛ فإنه يطأطأ الرؤوس العالية، ويسود الوجوه البيضاء ويخرس الألسنة البليغة، لذلك يجب علينا جميعاً أن نتعاون للقضاء على فاحشة الزنا وأن نضرب بيدٍ من حديد على كل من يحاول أن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

فمن الطرق ـ يا عباد الله ـ التي نتقي بها من الزنا.

أولاً ـ الحجاب الشرعي:

عباد الله! على كل منا أن يتقي الله ﷻ في زوجته وابنته وأمه وأخته وعمته وخالته لأن العرض غال، والمرأة بطبيعتها فتنة، فما بالنا وقد خرجت كما نراها اليوم في الشوارع: عارية تبيع لحمها، متبرجة متعطرة خاضعةً بالقول، قد خلت بالرجل وصافحته بل وقَبلتهُ، حتى غدت فتنٌ مظلمة بعضها فوق بعض، إذا أخرج الإنسان يده لا يكاد يراها، ولذلك يقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[(١)]، وقال ﷺ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها**»[(٢)]، أي: زينها في أعين الرجال، وقال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[(٣)]، ولذلك جاء الإسلام يأمر المرأة أَلّا تخرج من بيتها إلا

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤١).

(٢) **صحيح**: ت: (١١٧٣)، خز: (١٦٨٥)، حب: (٥٥٩٩)، طب: (٩/ ٢٩٥)، طس: (٨/ ١٠١)، بز: (٥/ ٤٢٧)، ش: (٢/ ١٥٧)، [«ص. غ. هـ» (٣٤٦)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).

للضرورة، وأمرها إذا خرجت أن ترتدي جلبابها الشرعي حتى لا تكون سبباً لفتنة الرجال. فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فيا أمة الإسلام! ويا أولياء الأمور! يا من ترى بأم عينك صباحاً ومساء ابنتك وزوجتك وأمك وأختك تخرج كاسية عارية تبيع لحمها في الشوارع، أما تقرأ هذه الآية، أم أنها نزلت لغيرك! إنه خطاب من رب العالمين لرسوله ﷺ موجهاً لأزواجه ولنساء المؤمنين، فيا أيتها المرأة المتبرجة أَلستِ من نساء المؤمنين؟ أَلستِ فلانة بنت فلانة المسلمة بنت فلان المصلي في الصف الأول؟! فاتقي الله يا أمة الله. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور: ٣١].

عباد الله! أمر من الله بالحجاب فأمروا نساءكم بالحجاب كما تأمرونهُنَّ بالصلاة، فالحجاب فرض لا يجوز لامرأة آمنت بالله أن تقول فيه: حتى أقتنع، أو أن تقول: حتى أفكر، فيا أَمَةَ الله تقتنعين بماذا؟ وتفكرين في ماذا؟ إنه أمر الله والمؤمن والمؤمنة من صفاتهما السمع والطاعة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: ٥١].

***عباد الله!* ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الجلباب الشرعي؟**

ما هو الجلباب الذي يحبه الله ورسوله؟ حيث نرى كثيراً من النساء تخرج بجلباب متبرج، وكأنها فقط تريد أن تقنع نفسها بأنها ترتدي الجلباب، ونسيت أن هذا الجلباب ما زادها إلا بعداً عن الله ﷻ لأنه فتن الرجال، واعلموا أن التبرج هو كل ما تصنعه المرأة مما يلفت نظر الرجال إليها فإن لبست لباساً ضيقاً فهي متبرجة، وإن كشفت عن شيء

من جسمها فهي متبرجة، وإن لبست لباساً واسعاً شفافاً فهي متبرجة، وإن تعطرت لتلفت نظر الرجال فهي متبرجة، وإذا خضعت بالقول للرجال فهي متبرجة.

عباد الله! ثم الشروط التي أخذت من الكتاب والسنة، والتي يجب أن تتوفر في الجلباب الشرعي هي:

الشرط الأول: أن يغطي جميع البدن من الرأس إلى القدم، مع خلاف بين العلماء في وجوب تغطية الوجه والكفين، فمنهم من قال بأنه فرض كالصلاة ومنهم من قال: إنه سُنة، ويجب على المسلم أن يعلم أن فتنة المرأة في وجهها، وأن جمالها في وجهها، وأن الرجل لا يحب من المرأة إلا أن ينظر إلى وجهها فلتتقي الله المرأة ولتغطي وجهها لأن هذا هو الأفضل، ولأن هذا هو السنة، ولأن هذا هو فعل أمهات المؤمنين، وفعل العفيفات من نساء المؤمنين.

ولقد ظهرت امرأة في هذا العصر تدعو الفتيات إلى لبس جلبابٍ قصيرٍ، غطاء للرأس (إشارب) بلون خاصٍ يميز الفتاة عن غيرها! وهذا جلباب بدعي غير شرعي، فهذا جلباب متبرج يلفت أنظار الرجال، وسبب لفتنة الشباب، كذلك هذا الغطاء (الإشارب) الذي يوضع على رأس المرأة لا يستر صدرها، ولا ظهرها فهذا غطاء بدعي وليس هو الخمار الذي يجب على المرأة أن تضرب به على رأسها.

الشرط الثاني: أن لا يكون الجلباب زينة في نفسه، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]، فالجلباب الذي نرى عليه الزينة في أعلاه أو في أسفله، أو على أكمامه أو في كل مكان؛ جلباب متبرج لا يحبه الله ولا يحبه رسول الله ﷺ.

الشرط الثالث والرابع: أن يكون صفيقاً لا يشف، وأن يكون واسعاً لا يصف، لقوله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن**

ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»[(١)] . لم؟ لأن الجلباب إن كان شفافاً وصف الملابس الداخلية للمرأة، وإن كان ضيقاً وصف جسم المرأة فهي كاسية لكنها في نفس الوقت عارية، فهذا الجلباب الضيق من أعلى والواسع من أسفل جلباب بدعي وحجاب متبرج، فكم من امرأة اليوم ترتدي جلباباً ضيقاً من أعلى، واسعاً من أسفل له حزام من الخلف ليظهر مفاتن جسمها؟!.

الشرط الخامس: ألا يشبه الجلبابُ لباس الرجال، لقوله ﷺ: «**ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال**»[(٢)]، و(**لعن ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**)[(٣)].

الشرط السادس: ألا يشبه لباس الكافرات، لقوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

الشرط السابع: ألا يكون معطراً ولا مبخراً، فإذا تعطرت المرأة ـ ولو كانت ترتدي الجلباب الشرعي ـ ثم خرجت إلى الشارع متعطرة ليجد الرجال ريحها فهي زانية، قال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية**»[(٤)].

الشرط الثامن: ألا يكون لباس شهرة، أي: أن ترتدي امرأة جلباباً تشتهر به، إما بغلو ثمنه أو بمنظره فتشتهر بذلك وتكون نيتها ذلك، يقول ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوبَ مذلة ثم ألهب فيه النار**»[(٥)].

عباد الله! الحجابَ الحجابَ فمن سمع هذا ثم كأنه لم يسمع، وأقر

---

(١) **صحيح**: م: (٢١٢٨).

(٢) **صحيح**: حم: (٢/١٩٩)، حل: (٣/٣٢١) [«ص. ج» (٥٤٣٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (٥٥٤٦). (٤) **حسن**: تقدم تخريجه ص٤٠٢.

(٥) **حسن**: د: (٤٠٢٩)، هـ: (٣٦٠٧)، حم: (٢/١٣٩)، [«ص. هـ» (٢٩٠٦)].

ابنته وزوجته وأخته على التبرج، وأقرها على أن تبيع لحمها في الشوارع كما نرى فإن وقع الزنا في بيته عاجلاً أو آجلاً فلا يلومن إلا نفسه! وإن اسود وجهه يوماً ما فلا يلومن إلا نفسه! وإن نُكِّسَتْ رأسُهُ يوماً ما فلا يلومن إلا نفسه!

عباد الله! **والطريق الثاني ـ الذي يمنع من انتشار الزنا، هو عدم الاختلاط:**

الاختلاط الذي نراه بين الرجال والنساء، حيث إن الرجل يسمح لابنته ولزوجته أن تعمل (سكرتيرة) عند طبيب، أو عند مهندس، أو تاجر يخلو بها طوال يومه في مكتبه، فأين الشرف؟ أمن أجل الدنانير نتهاون في الأعراض! إن الإنسان إذا أصيب بضياع المال وإحراقه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون وصبر واحتسب، أما إذا أصيب في عرضه فماذا يقول للناس؟ وماذا سيقول الناس عنه؟ ابنتك، عرضك تتركها طوال اليوم مع طبيب أو مهندس أو تاجر! ولعل بعض من يملك شيئاً من الدنانير عنده مكتب وربما يكون نصاباً يأتي بفتاة (سكرتيرة) بخمسين دينار يضعها عنده ينظر إليها وتنظر إليه! فما هذا يا أمة الإسلام؟! اقتراب المرأة من الرجل خطوة من خطوات الشيطان إلى الزنا، ولذلك قال بعض الصالحين: «لو ائتمنوني على ملء الأرض ذهباً لأتُمِنت ولو ائتمنوني على جارية سوداء ذميمة ما ٱئتمنتُ»، لم؟ لأن الرجل إذا خلا بالمرأة كان الشيطان ثالثهما، والشيطان لا يأمر إلا بالفحشاء، وإذا اقتربت المرأة من الرجل كان الشر حتى ولو كان في المساجد، حتى إذا جلس الرجل ليحفظها القرآن فلقد قال ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخِرُها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[(١)].

فانظروا عباد الله شر صفوف الرجال آخرها، وشر صفوف النساء أولها أتدرون لم؟ لأن اقتراب المرأة من الرجل فيه شر عظيم، ولو كان

---

(١) **صحيح**: م: (٤٤٠).

في داخل المسجد؟ نعم ولو كان في داخل المسجد، ولو كان يحفظها القرآن، فما بالنا بالاختلاط في الجامعات والوظائف، والأسواق، لقد عمَّت الفوضى فوقع الزنا وانتشر وعمَّ وطمّ، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومنعاً لذلك كله جاء الإسلام يحذر من الاختلاط المشين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. الكفار يقولون: اختلاط المرأة بالرجل سبب لعدم وقوع الزنا، والإسلام يقول: اختلاط المرأة بالرجل سبب لوقوع الزنا، فلمن نستجيب يا عباد الله؟ لقد استجبنا لدعوة الكفار وشياطين الإنس والجن فوقع الزنا، فكما وقع الزنا في بلاد الكفار وقع الزنا في الأسر التي تقلد الكفار.

عباد الله! ومن المصائب في هذا الزمان أن هناك من لا يخافون الله إذ تأتيه الفتاة وهي حامل من الزنا فيقوم بإجهاضها، بل وهناك من يقوم بإعادة غشاء البكارة مرة أخرى، فيا ويلك أيها الطبيب من ربك يوم القيامة فأنت مجرم متعاون معهم على جريمة الزنا، وأنت مشجع على جريمة الزنا، اتركها تفضح بين الناس لتكون عبرة لغيرها ويكون أهلها عبرة لغيرهم فلا تقع الفاحشة مرة أخرى؛ وإلا فإن كثير من الفتيات ستظل تزني ولا تبالي والمخفي أعظم، يقول الله ﷻ آمراً الصحابة أطهر الناس قلوباً بعد رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ ﴿مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

ثم بعد هذا النداء نترك أعراضنا مع المهندس الذي لا يصلي! أو مع الطبيب الذي لا يعرف ربه! أو مع التاجر الذي يسكر ليلاً ونهاراً! والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه إني لأعلم رجلاً طوال يومه سكران ويضع عنده فتاة (سكرتيرة) تقدم له الخمر!! فبالله عليكم بعد أن يسكر ماذا سيفعل بهذه الفتاة؟ لكن أحدنا يقول: الثقة، أنا أثق من نفسي، ومن زوجتي وابنتي! اتق الله يا عبد الله، أزوجتك أطهر من زوجات رسول الله؟ أأنت أفضل من صحابة رسول الله ﷺ؟ الذين يقول رب العزة لهم ولنا من

بعدهم: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾، ويقول ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**»! فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت!**»(١). فالبلاء لا يأتي إلا من الحمو إذا دخل في غياب الزوج، وكم من الأسر دمرت بسبب هذه الفوضى والإباحية. ويقول ﷺ: «**ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»(٢)، فاتقوا الله عباد الله في أعراضكم وإياكم والدخول على النساء.

ثالثاً ـ ومن الأمور التي تمنع من انتشار الزنا، غض البصر:

فالنظرة خطوة أولى لفاحشة الزنا، والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس ينفذ إلى القلب ولذلك قال القائل:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مُستصغر الشرر

ولذلك جاء الشرع يأمر بغض البصر، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، ويقول ﷺ لعلي بن أبي طالب: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»(٣)، وعن جرير رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فأمرني أن أصرف بصري)(٤)، فعلى كل منا أن يتقي الله في بصره ويعلم أن الله سائله يوم القيامة حتى عن نظراته ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

عباد الله! **ومن الأسباب التي تمنع من انتشار الزنا، تسهيل وتيسير أمور الزواج.**

إذ الرجل يميل إلى المرأة بطبيعته التي خلقه الله عليها، وكذلك فإن المرأة تميل إلى الرجل وتشتهيه، ولا يسكن الرجل والمرأة إلا إذا التقيا

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٩٣٤)، م: (٢١٧٢). (٢) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٤٠٢.

(٣) **حسن**: د: (٢١٤٩)، ت: (٢٧٧٧)، حم: (٥/ ٣٥٣)، مي: (٢٧٠٩)، ك: (٢/ ٢١٢)، بز: (٢/ ٢٨٠)، [«ص. ج» (٧٩٥٣)].

(٤) **صحيح**: م: (٢١٥٩).

بالحلال من خلال الزواج، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. لم؟ لأن هذا الإنسان فيه ماء الحياة فإذا وضعه في الحلال سكن، أما إذا وضعه في الحرام فستجده في اضطراب وخيبة، وألم شديد، والرجل إذا لم يلتق مع المرأة في الحلال التقى معها في الحرام فإنها الغريزة تدفعه إليها، وإنه الماء عند الرجل والمرأة، ولذلك فنحن إذا يسرنا الزواج وسهلنا أمور الزواج وقللنا من قيمة المهور ساهمنا في التقليل من هذه الفاحشة، قال ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن المرأة تُقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان**»(٢).

عباد الله! وأما وقد عقَّدنا أمور الزواج بسبب رفع المهور وغيرها فنكون قد تسببنا في التقاء الشاب بالشابة في الحرام.

خامساً: إقامة الحدود على الزناة:

وهذا فيه ردع للزاني، وفيه ردع لمن تسول له نفسه أن يزني، فإقامة الحدود فيها الحياة والطمأنينة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩].

سادساً ـ من الأمور التي تمنع من انتشار فاحشة الزنا، مراقبة الذين يبيعون تلك الصور الخليعة وأفلام الفيديو الساقطة ومنعهم، وإغلاق المحلات الهابطة، فيجب على أولياء الأمور أن يراقبوا هؤلاء وأن يضربوا على أيديهم بيدٍ من حديد، لأن الزنا إذا انتشر في مجتمع ما تعرض سائر المجتمع لغضب الله وسخطه.

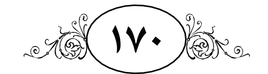
اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

* * *

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٧٨)، م: (١٤٠٠).

(٢) **صحيح**: م: (١٤٠٣).



صفات أهل الجنة

٢٠ ـ صيانة النفس عن مجالس اللغو وشهادة الزور

عباد الله! **موعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع الصفة العشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «صيانة النفس عن مجالس اللغو وشهادة الزور».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا لا يجلسون في مجالس اللغو، ولا يشهدون الزور، وإذا مروا باللغو مروا كراماً وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين. يقول الله ﷻ واصفاً عباده ـ عباد الرحمن ـ في كتابه الكريم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

فأهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا لا يحضرون

مجالس اللغو ولا يشهدون الزور، ومجالس اللغو: هي المجالس التي يكون فيها شرك بالله ﷻ، وهي المجالس التي يستهزأ فيها بآيات الله، وهي مجالس الكذب والغيبة والنميمة، والغناء والرقص والموسيقى، وهي مجالس الخمر والميسر، وهي المجالس التي تُشاهد فيها أفلام الفيديو الساقطة، فهي كل المجالس التي تقوم على معصية الله.

أمة الإسلام! أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا لا يجلسون في مجالس اللغو، **أتدرون لم؟ يا عباد الله؟**

أولاً: لأن الله ﷻ أخبرنا في كتابه أن الذين يجلسون في هذه المجالس هم الظَّلمة الذين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)﴾ [الأنعام: ٦٨].

ثانياً: لأن الله ﷻ أخبرنا أن كل من يجلس في هذه المجالس مشترك معهم في الجريمة وفي الإثم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾ [النساء: ١٤٠].

ثالثاً: لأنهم علموا أن الجلوس في مجالس اللغو يتنافى مع الإيمان ومع العقيدة الصحيحة، يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر**»(١).

فهل يجلس مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر على مائدة يدار عليها الخمر؟! لا، فهل يجلس مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر على مائدة يستهزأ فيها بآيات الله؟! لا، وهل يجلس مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر في مكان فيه الغيبة والنميمة؟! لا.

---

(١) **حسن**: ت: (٢٨٠١)، ك: (٤/ ٣٢٠)، طس: (١/ ١٨٦)، هب: (٥/ ١٢)، [«ص. ج» (٦٥٠٦)].

يروى أن عمر بن عبد العزيز جيء له بنفر قد شربوا الخمر، فأمر بجلدهم، فقيل له: إن فلاناً لم يشرب وكان صائماً، قال: به فابدءوا.

رابعاً: أهل الجنة لا يجلسون في مجالس اللغو؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن هذه المجالس لا يحبها الله ولا يرضاها فهي مجالس معرَّضة لسخط الله، يقول ﷺ: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر، يُسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم قردة وخنازير**»(١).

ولذلك كان لقمان الحكيم يقول لابنه وهو يعظه: (يا بني اختر المجالس على عينك، وإذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تكن عالماً ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً يعلموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فيصيبك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله ـ أي: يجلسون في مجالس اللغو ـ فلا تجلس معهم، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً زادوك غياً، ولعل الله أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم)(٢).

فيا عباد الله كونوا من مجالس اللغو على حذر:

فكم مِنَّا من يجلس في مجالس الغيبة والنميمة؟! وكم منا من يجلس في مجالس يستهزأ فيها بآيات الله؟! وكم منا من يجلس في مجالس الغناء والرقص والموسيقى والتي يكون فيها اختلاط بين الرجال والنساء، وتبرج للنساء فيها يَنْدَىٰ له الجبين، ورقص بين الرجال والنساء، والشياطين تأزهم إلى المعاصي أزّاً؟ وإذا قلت لهم: اتقوا الله ﷻ، قالوا: نريد أن نفرح! المصيبة ليست في أنكم تفرحون يا عباد الله! المصيبة هي أن القلوب أصبحت مريضة فلا تفرح إلا بمعصية الله!

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠٢٠)، حب: (٦٧٥٨)، طب: (٣/ ٢٨٣)، ش: (٥/ ٦٨)، هب: (٥/ ١٦)، [«ص. هـ» (٣٢٦٣)].

(٢) مي: (٣٧٧)، حل: (٩/ ٥٥).

فانظروا عباد الله، أصبح المسلمون اليوم لا يفرحون إلا بمعصية الله، فيسهرون طوال الليل على الموسيقى والغناء وغيرهما.

عباد الله! أهل الجنة كانوا لا يجلسون في هذه الدنيا في مجالس اللغو، وكذلك كانوا لا يشهدون الزور لا بأجسامهم ولا بألسنتهم أتدرون لم؟

أولاً: لأنهم قد علموا أن شهادة الزور حرام، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، ولعلك بخمس دنانير تشتري شاهد الزور في هذا الزمان، فيشهد لك بما تريد! بل وبدينار واحد، وهناك من هو مستعدٌ لذلك؛ فلا دين ولا أخلاق! ويحك يا هذا أما تعلم أن شهادة الزور حرام أمر الله باجتنابها كما أمر باجتناب الأوثان!

ثانياً: لأنهم علموا أن شهادة الزور من أكبر الكبائر، يقول ﷺ «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**»؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، وكان متكئاً فجلس فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور**»، فما زال يقولها حتى قلنا: ليته سكت(١).

ثالثاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن هذه الشهادة ـ شهادة الزور ـ ستسجل عليهم ثم يُسألون عنها يوم القيامة، كما قال رب العزة: ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، فلا تنسى يا ابن آدم أنك تحت رقابة شديدة، ما تلفظ من قول إلا لديك رقيب عتيد قال، ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق: ١٦، ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٣١)، م: (٨٧).

فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٩، ٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

رابعاً: أهل الجنة كانوا لا يشهدون الزور في هذه الدنيا لأنهم علموا أن ذلك سبب لدخول النار، يقول معاذ رضي الله عنه: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟!**»(١).

خامساً: أهل الجنة كانوا لا يشهدون الزور في هذه الدنيا لأنهم علموا أن شهادة الزور كذب، وأن شاهد الزور كذَّاب، وأن الكذب حرام، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ١٠٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، ويقول ﷺ: «**وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(٢).

سادساً: أهل الجنة كانوا لا يشهدون الزور في هذه الدنيا لأنهم علموا أنه ظلمٌ، وأن شاهد الزور ظالم لنفسه، وظالم لمن شهد عليه، وظالم لمن شهد له وعلموا أن الظلم حرام.

يقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**»(٣)، ويقول ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٤)، ويقول ﷺ: «**إن الله عز وجل يملي للظالم**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، حم: (٥/ ٢٣١)، لس (٥٦٠)، طب (٢٠/ ١٣٠)، عب (١١/ ١٩٤)، هب: (٣/ ٣٨)، [«ص. ج» (٥١٣٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧). (٣) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).

(٤) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

فإذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾(١) [هود: ١٠٢]، فاعلم يا شاهد الزور، أنك ظلمت الذي شهدت عليه أتدري لم؟ لأنك اعتديت على ماله أو على عرضه أو على دمه، والرسول ﷺ يقول: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»(٢)، وقال ﷺ: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا**» فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال: «**اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت**»(٣)، وكذلك يا شاهد الزور، فإنك قد ظلمت الذي شهدت له؛ فإنك قد ملَّكته ما لم يملك، وقد جعلت الحق معه، والرسول ﷺ يقول: «**من ظلم قِيد شبر من الأرض طُوِّقهُ من سبع أرضين**»(٤)، وقال ﷺ: «**من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «**وإن قضيبٌ من أراك**»(٥)، وقال ﷺ: «**إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي؛ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من النار**»(٦).

فأنت يا شاهد الزور، بشهادتك الكاذبة قد قطعت لمن شهدت له قطعة من النار، فكونوا من شهادة الزور على حذر.

عباد الله! انظروا إلى مجالسنا في هذه الأيام، وانظروا إلى كثير من الناس في هذا الزمان فإنهم لا يجتمعون إلا على مجالس اللغو، ولا يجتمعون إلا في مجالس السوء، وقليل منهم من يجتمع على ذكر الله، فاتقوا الله عباد الله.

فكم منا من يجلس على مشاهدة أفلام الفيديو الساقطة؟ وكم منا من

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).
(٣) **صحيح**: خ: (١٦٥٢)، م: (١٦٧٩).
(٤) **صحيح**: خ: (٢٣٢١)، م: (١٦١٢).
(٥) **صحيح**: م: (١٣٧).
(٦) **صحيح**: خ: (٦٧٤٨)، م: (١٧١٣).

يجلس في مجالس الغيبة والنميمة؟، وكم منا من يجلس في مجالس الأعراس في هذا الزمان؟ التي فيها من الرقص والغناء والموسيقى ما فيه العجاب! بل وهناك في بعضها من يقوم بتوزيع الخمر، فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الموت يأتي بغتة، فماذا ستقول لربك يا من جلست في مثل تلك المجالس إذا جاءك ملك الموت وخطفك من أحد مجالسك؟ أتريد أن تلقى الله على أسوء حال فتخرج من الدنيا وأنت جالس على مائدة الخمر؟ أو تريد أن تخرج من الدنيا وأنت تغتاب؟! أو تريد أن تخرج من الدنيا وأنت تغني وترقص أو تستهزئ بآيات الله؟! ماذا ستقول لربك يوم القيامة؟ لا تنسى أنّ الموت يأتي بغتة.

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أرَ مثل الموت حقاً كأنه إذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبحَ التفريطَ في زمن الصبا فكيفَ به والشيبُ للرأس شاعلُ
ترحَّلْ من الدنيا بزادٍ من التقى فعمرك أيام وهن قلائل

وأنت يا شاهد الزور، ويا من ذهبت إلى المحكمة للشهادة، إنك تعلم علم اليقين أنك شاهد زور فكيف تتجرأ على أن تقسم بالله على أن ما تقوله حق؟! كيف تتجرأ على أن تجمع بين الشرين تشهد الزور وتحلف يميناً غموساً؟! أما تتقي الله يا شاهد الزور ماذا ستقول لربك يوم القيامة، وقد ظلمت نفسك، وظلمت من شهدت عليه، وظلمت من شهدت له والظلم ظلمات يوم القيامة؟ تخيل نفسك يا شاهد الزور وقد قمت من قبرك عريانَ كيوم ولدتك أمك، ووقفت بين يدي الله يسألك عن هذه الشهادة، فماذا عساك أن تقول لربك يوم القيامة؟ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

يا شاهد الزور:

مثِّل وقوفك يومَ العرضِ عريانا مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهبُ من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا

لـمـا قـرأت ولـم تـنـكـر قـراءتـه إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا والمؤمنون في دار الخلد سكانا

فيا عباد الله! احذروا من شهادة الزور، فإن علمت الحق كما ترى الشمس في وضح النهار فاشهد، وإلا فلا تشهد حتى لا تكون شاهد زور وتأتي يوم القيامة تعض على أصابع الندم، في وقت لا ينفع فيه الندم.

فمن أراد منكم الجنة فليحذر أن يجلس في مجالس اللغو، فإن أهل الجنة إذا مروا باللغو مروا كراماً وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين، وإياكم أن تكونوا ممن إذا مروا بمجالس فيها غناء، أو موسيقى، أو رقص، أو معصية لله، إياكم أن تكونوا ممن يهرولون إلى طاعة الشيطان ومعصية الرحمن، وكونوا من مجالس اللغو على حذر، فإن الموت يأتي بغتة.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً





صفات أهل الجنة

٢١ ـ الانتفاع بالقرآن الكريم

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الحادية والعشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الانتفاع بالقرآن الكريم».

عباد الله! لقد أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا ينتفعون بالقرآن الكريم، فإذا ذُكروابه تذكروا، وإذا وُعِظوا به اتعظوا، وإذا سمعوه خروا سجداً وبكياً، فهم ازدادوا به إيماناً، فوجلت قلوبهم، واسمعوا يا عباد الله إلى رب العزة وهو يصف عباده من أهل الجنة وكيف أنهم كانوا يتعاملون مع القرآن الكريم، وكيف كانوا ينتفعون بالقرآن الكريم، ثم قارنوا أحوالهم بأحوالنا في هذا الزمان العجيب وقد هجرنا القرآن إلَّا من رحم الله.

يقول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ إلى أن قال رب العزة في صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦].

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وقال - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦ - ١٠٩]، وقال - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٣ - ٨٥]، وقال - تعالى -: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٢، ٢٣].

عباد الله! أستحلفكم بالله هذه الصفات التي سمعناها الآن من كتاب ربنا هل تنطبق علينا معشر المسلمين من أبناء القرن العشرين نحن الذين تربينا على شاشات المفسديون والفيديو، الذين انشغلنا بالدنيا عن الآخرة، هل إذا قرأنا القرآن وجلت قلوبنا؟ هل إذا قرأنا القرآن ازداد إيماننا؟ هل إذا قرأنا القرآن بكينا؟ لقد ماتت قلوبنا إلا من رحم ربي، وهؤلاء هم أهل الجنة - يا من تريدون الجنة - إذا ذُكِّروا بالقرآن تذكروا، وإذا وُعِظوا به

اتعظوا، إذا سمعوه ازدادوا إيماناً ووجلت قلوبهم، وخروا سجداً لله ﷻ يبكون.

عباد الله! إذاً كيف ٱنتفع أهل الجنة وهم في هذه الدنيا بالقرآن العظيم وبماذا ٱمتازوا عن غيرهم؟

الجواب ـ أولاً: انتفعوا لأنهم كانوا مؤمنون صادقون في إيمانهم يحملون في قلوبهم إيماناً صادقاً، وعقيدة صحيحة سليمة ولذلك انتفعوا بالقرآن. يقول رب العزة: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ لمن يا رب؟ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾... [الأنفال: ٢ ـ ٤]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ [النحل: ١٠٢].

ثانياً: لأن قلوبهم كانت سليمة طاهرة حية: سليمة من أمراض الشبهات، والشهوات، طاهرة من الشرك والكفر، حية بذكر الله ولذلك انتفعوا بالقرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾ [الصافات: ٨٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في القرآن ﴿لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] لماذا؟ لأنها كانت حية، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾ [يس: ٦٩، ٧٠].

ثالثاً: لأنهم قرءوا القرآن، واستمعوا القرآن ليعملوا بما فيه، أما نحن اليوم فلا يعرف أحدنا القرآن إلا عند الموت! ولا يسمع أحدنا القرآن إلا في الجنائز! ولا يُقرأ أحدنا القرآن إلا على القبور! لا يعرف

أحدنا القرآن إلا كهدية يقدمها لغيره في المناسبات! أما أن ننتفع بالقرآن ونقرأ القرآن لنعمل به فهذا غير موجود إلا عند من رحم ربي.

فكم منا يا عباد الله! يقرأ آيات الربا ولا يزال يأكل الربا؟ وكم منا من يقرأ القرآن ويسمع أن الله ينهى عن التبرج ومع ذلك لا يُبالي أن ابنته أو زوجته أو أمه لا زالت متبرجة؟ متى نعمل بالقرآن؟ وهؤلاء أهل الجنة هم من قرأوا القرآن، واستمعوا للقرآن ليعملوا بما فيه ولذلك وصفهم رب العزة بقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ﴾ [النور: ٥١]. إذا سمعوا: يا أيها الذين آمنوا افعلوا، قالوا: سمعنا وأطعنا، يا أيها الذين آمنوا لا تفعلوا قالوا: سمعنا وأطعنا، ولذلك يقول رب العزة: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: ٧٣]. لم يخروا عليها صماً وعمياناً إنما يخرون عليها سمعاً وطاعة، فيُحلون حلاله، ويحرمون حرامه، وإذا أُمروا ائتمروا وإذا نُهوا انتهوا.

وبالمثال يتضح البيان ولتعلموا كيف يتعامل من يريدون الجنة مع الأوامر والنواهي:

• لما حرم الله الخمر وأُنزلت الآيات فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

فماذا قال عند ذلك كل من أراد الجنة؟ قالوا: انتهينا ربنا عن شرب الخمر، وأراقوا ما كان في أيديهم وما كان في آنيتهم في شوارع المدينة استجابة وطاعة؛ لأنهم مؤمنون فإذا أُمروا قالوا: سمعنا وأطعنا.

• عندما نزلت آيات الحجاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فلما سمع الصحابة هذه الآيات انقلب كل منهم إلى بيته، وتلاها على زوجته وابنته وأمه، فقامت كلٌّ منهن إلى درعها فشقته واختمرت به استجابة لله ولرسوله.

فكم منا علم أن التبرج حرام ولم يأمر نساءَه حتى الآن بالحجاب؟ وكم منا علم أن الاختلاط فساد يهلك البيوت ومع ذلك لا يزال يسمح في بيته بالاختلاط والإباحية والفوضى؟!.

أهل الجنة كانوا يقرؤون القرآن ليعملوا بما فيه، فلما نزلت آيات الصدقة وأمر الله المؤمنين أن يتصدقوا قال الصحابة: كلنا نحمل على ظهورنا فجاء الرجل بالشيء الكثير، وجاء آخر بصاع، كلٌ جاء بما عنده في بيته طاعة لله ولرسوله، وهذا سبب انتفاعهم بالقرآن لأنهم كانوا يقرأونه ليعملوا بما فيه، أما نحن اليوم إذا جاء أحدنا للصلاة أو في يوم الجمعة أخذ المصحف في يده وفتحه وقَبَّلهُ ثم بدأ يقرأ من أي مكان، ربما أنه آكل للربا ومع ذلك يقرأ آيات الربا وكأنها لم تنزل له وكأنها لا تخاطبه! يقرأ آيات الأمر بالحجاب والنهي عن التبرج وكأنها غير موجهة له! إن قلوبنا قد أَماتها النظر إلى المفسديون والأفلام الساقطة الهابطة وأكل الحرام، ولذلك لم ننتفع بالقرآن.

رابعاً: أهل الجنة علموا وأيقنوا أن القرآن تجارة رابحة، فتاجروا مع الله ونعم التجارة، فربحوا جنة عرضها السموات والأرض، أما نحن اليوم فَلَدينا خبرة عالية في تجارة الدنيا، والله ﷻ أخبرنا أَن ما عنده خير من اللهو ومن التجارة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩]، هذه التجارة الرابحة نذكركم بما فيها ومن الخير والبركة والربح؛ لعلكم تتاجرون مع الله:

١ ـ من أرباح هذه التجارة أن من تمسك بالقرآن وعمل بما فيه لا يضل في هذه الدنيا ولا يشقى في الآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِمَّا

يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

ٱبن آدم أتتك الآيات؟ جاءك القرآن؟ هل كان في بيتك؟ الجواب: نعم، ولكنك يا ابن آدم أحببت المفسديون والغناء، وأحببت الدنيا واللهو واللعب وقدمت ذلك على كتاب الله، فالجزاء من جنس العمل، قد جاءتك آياتنا فنسيتها فكذلك اليوم تنسى.

٢ ـ من تمسك بالقرآن وعمل بما فيه هُدي إلى صراط مستقيم؛ فإن القرآن يهدي للتي هي أقوم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

٣ ـ القرآن يشفع يوم القيامة لأصحابه، يقول ﷺ: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»[(١)].

٤ ـ القرآن من قرأه، وتعلمه، وعلمه لغيره كان من خير الناس في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[(٢)]، فمن منا يحرص على تعلم القرآن؟ وكم تحفظ يا عبد الله من كتاب الله؟ هل اعتنيت بحفظ أولادك للقرآن؟ أم أَنك حريص على أن يخرج الواحد منهم إلى الدنيا وهو تاجرٌ ماهر يستطيع أن يأتي بالدينار من أي مكان؟ ـ هذا هو الغالب علينا ـ أما أن يكون ولدك قارئاً لكتاب الله معلماً لكتاب الله، فلا إلا من رحم ربي.

٥ ـ القرآن تجارة رابحة فهو يرفعك في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ:

---

(١) **صحيح**: م: (٨٠٤). (٢) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩).

«يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارق ورتل كما كنت تُرتل في دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»(١).

٦ ـ في قراءة القرآن حسنات كثيرة، والحسنة بعشر أمثالها، يقول ﷺ: **«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**(٢).

خامساً: ثم إن أهل الجنة قد انتفعوا بالقرآن في هذه الدنيا؛ لأنهم كانوا عندما يقرأون القرآن يعملون بمحكمه، ويردون متشابهه إلى محكمه، ولا يضربون كلام الله بعضه ببعض كما يفعل الضالون والفرق المنحرفة، قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

عباد الله! فعليكم أن تقرأوا القرآن، وأن تفهموا القرآن لأن الله ﷻ عاب على الذين يقرأون القرآن ولا يفهمونه ولا يتدبرونه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

- وتوعد الله الذين أعرضوا عن القرآن، وأقبلوا على الدنيا والمعاصي بالعذاب الأليم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان: ٧].

فكم من الناس إذا سمع القرآن ولى مستكبراً لكن إذا سمع مباريات كرة القدم ذهب إليها مهرولاً؟! هذا حالنا يا أمة الإسلام، يا من تريدون

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٦٤)، ت: (٢٩١٤)، هـ: (٣٧٨٠)، حم: (٢/ ١٩٢)، حب: (٧٦٦)، ك: (١/ ٧٣٩)، ش: (٦/ ١٣١)، [«ص. ج» (٨١٢٢)].

(٢) **صحيح**: ت: (٢٩١٠)، طس: (١/ ١٠١)، هب: (٢/ ٣٤٢)، حل: (٦/ ٢٦٣)، [«ص. غ. هـ» (١٤١٦)].

النصر والعزة من الله، هذا هو الحال الغالب علينا، الكثير منا إلى الدنيا يركضون، أما إلى القرآن وتعلم القرآن فلا، كم ممن يجلسون الآن أمامي يحرص على تعلم القرآن؟ وكم منكم من يأتي متواضعاً إلى المسجد ويجلس في حلقات تعليم القرآن؟ كل منا تكبر على آيات الله، ولذلك فالكثير منا يقرأ القرآن كما يقرأ الجريدة، وفي هذا إثم ومعصية لأن كلام الله يُقرأ كما نزل على رسول الله، فيجب عليك أن تتعلم كيف ترتل القرآن ترتيلاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة: ١٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

وما حال أكثر المسلمين اليوم مع القرآن إلَّا كحال أولئك الذين وصفهم ربُّنا في كتابه فقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة: ١٢٧].

فيا عباد الله! أقبلوا على كتاب الله، أقبلوا على القرآن، احفظوا القرآن، تدبروا القرآن، اعملوا بالقرآن، تاجروا مع الله بالقرآن لتكونوا من أهل الجنة، لأن أهل الجنة تاجروا مع الله بالقرآن فربحوا جنة عرضها السموات والأرض.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

اللهم اجعلنا من أهل القرآن

❁ ❁ ❁



صفات أهل الجنة

٢٢ ـ الحرص على الذرية الصالحة

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثانية والعشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الحرص على الذرية الصالحة».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يحرصون على الذرية الصالحة، ويظهر لنا ذلك باختيار الواحد منهم للزوجة الصالحة، ومن دعائهم بالليل والنهار أن يرزقهم الله الذرية الصالحة، ومن تربية أولادهم تربية صالحة، فأهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يحرصون على الزواج من المرأة الصالحة؛ ذلك لأن الزوجة الصالحة هي التي تربي جيلاً صالحاً.

● ولذلك جاء الإسلام يأمر الرجال أن يحرصوا على الزواج من صاحبة الدين. فقال ﷺ: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[1].

فالزواج من المرأة الصالحة سبب للحصول على الذرية الصالحة، فالمرأة التي تعرف ربها تربي أولادها على مائدة الكتاب والسنة، والمرأة التي تربت على شاشات المفسديون وعلى الجري وراء الموديلات لا

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٠٢)، م: (١٤٦٦).

تعرف كيف تربي جيلاً صالحاً. فأهل الجنة إذا تحصلوا على الزوجة الصالحة تراهم يدعون ربهم بالليل والنهار أن يرزقهم الذرية الصالحة.

• فهذا إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يرزقه الذرية الصالحة فيقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١]. ويقول في دعائه الآخر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)﴾ [إبراهيم: ٣٩].

• وهذا زكريا عليه السلام يقول في دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٨، ٣٩].

• وها هم عباد الرحمن يدعون الله عز وجل أن يرزقهم الذرية الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)﴾ إلى أن قال رب العزة في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٤].

عباد الله! فأهل الجنة كانوا يبحثون عن الزوجات الصالحات، وكانوا يدعون الله عز وجل بالليل والنهار أن يرزقهم الذرية الصالحة، فإذا رزقهم الله الذرية الصالحة قاموا على تربيتها بالليل والنهار تربية إسلامية.

فانظروا عباد الله إلى أهل الجنة كيف كانوا يربون أولادهم، وانظروا إلى أحوالنا في هذا الزمان، يا من تريدون الجنة، انظروا إلى أحوالنا وإلى بيوتنا! فإن البيوت قد امتلأت بوسائل الفساد، والأم لا تعرف دينها، والوالد مشغول بجمع الدنانير فتراه مسافر وما إن يرجع من سفره إلا ويتجهز للسفر مرة أخرى، أما أن يربي أولاده على مائدة الكتاب والسنة فلا، بل إنه لا يفكر في ذلك! ولذلك فانظروا إلى شباب المسلمين يتسكعون في الشوارع والأزقة هنا وهناك لا يعرفون إلا كيف يدخنون وكيف يشربون الخمر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لكن انظروا إلى أهل الجنة كيف كانوا يربون أولادهم:

• فهذا إبراهيم عليه السلام يربي أولاده على حب الإسلام، وعلى الإسلام، ويأمر أولاده أن يموتوا على الإسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

• وهذا يعقوب عليه السلام طوال عمره كان يربي أولاده على لا (إله إلا الله)، يربيهم على كلمة التوحيد، على العبودية لله عز وجل، كان يحرص على ذلك حتى في لحظاته الأخيرة وهو في سكرات الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣]. فتأملوا معي: يعقوب عليه السلام وهو في سكرات الموت يهتم بعقيدة التوحيد، فكيف كان قبل أن ينزل به ملك الموت؟ لقد كان بالليل والنهار يربي أولاده على (لا إله إلا الله) فيعلق قلوب أولاده بـ (لا إله إلا الله)، ويربيهم على العقيدة الصحيحة: ويعلمهم أن إذا سألوا أن يسألوا الله، وإذا استعانوا أن يستعينوا بالله، وإذا توكلوا أن يتوكلوا على الله، وإذا طلبوا أن يطلبوا من الله، وإذا خافوا فلا يخافون إلا من الله.

• ثم هذا لقمان الحكيم ينقل لنا ربنا جل وعلا في كتابه مجلساً من مجالسه وهو يربي ولده، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، فكان يحذره من الشرك ويربيه على التوحيد؛ لأن الشرك ظلمات، ولأن الشرك من أكبر الكبائر، ولأن الشرك سبب لدخول النار، ولأن الشرك يمنع من مغفرة الذنوب.

وكان يربي ولده على مراقبة الله في السر والعلن، ويذكر ولده أن الحساب دقيق أمام الله يوم القيامة فيقول له: ﴿يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

وكان يربي ولده على إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على ذلك، وكان يربي ولده على التواضع لخلق الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٧ ـ ١٩].

● الإسلام قد اهتم بتربية الأولاد اهتماماً بالغاً، أتعلم لم يا عبد الله؟ لأن الأولاد هم الذين يحملون اللواء من بعدك، وهم الذين يحملون اسمك من بعدك، فإن كان أحدهم إماماً للمتقين فهذا يشرفك في الدنيا والآخرة، وإن كان أحدهم إماماً للشياطين فهذا يخذلك في الدنيا والآخرة.

وهذا رسولنا ﷺ يهتم بتربية الأولاد اهتماماً بالغاً فيجلس ﷺ يوماً على الطعام وبجواره غلام يده تطيش في الطعام فيقول ﷺ للغلام مؤدباً ومعلماً ومربياً: «يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك»(١). حتى على الطعام يهتم ﷺ بتربية الأولاد!؟ نعم، يقول: يا غلام، سم الله؛ حتى لا يأكل معك الشيطان، وكل بيمينك؛ لأن الشيطان يأكل بشماله، وكُل مما يليك؛ حتى لا تؤذي من حولك، إنها تربية نبوية رفيعة، فكم منا يرى ابنه يأكل بشماله بل ويرى زوجته تأكل بشمالها فلا يبالي؟.

أما سمعت يا عبد الله أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال له: «**كُل بيمينك**»، فقال الرجل: لا أستطيع، فقال ﷺ: «**لا استطعت**»، ما منعهُ إلا الكبر فما رفعها إلى فِيهِ(٢).

ثم هذا رسولنا ﷺ يركب يوماً على دابته، وخلفه ابن عباس فيقول له ـ وهو غلام يومها ـ: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك،**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠٦١)، م: (٢٠٢٢).

(٢) **صحيح**: م: (٢٠٢١).

احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»(١).

وفي الرواية الأخرى: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسراً**»(٢). هذه هي التربية، أسمعتم يا أهل الإسلام كيف يربي أهل الجنة أولادهم؟!

انظروا كم منا ذهب مهرولاً واشترى المفسديون فأدخله إلى بيته، بل أدخله إلى كل غرفة في بيته؟! وكم منا جاء (بالفيديو) و(أفلام الفيديو) الهابطة، وجاء بالمجلات الساقطة ثم ترك لأولاده الحبل على الغارب، دون أن يربي، ولا يسأل، فإذا هو يُخَرِّج للمجتمع جيلاً فاسداً فاسقاً يضر به وبدينه وبمجتمعه.

أما أهل الجنة فقد كانوا يحرصون في هذه الدنيا على الذرية الصالحة، أتدرون لم يا عباد الله؟

أولاً: لأن الذرية الصالحة تنفع الأبوين في حياتهما وبعد مماتهما. ففي حياتهما تكون الذرية الصالحة قرة عين للوالدين، إنها لقرة لعينك أن ترى ولدك يحفظ القرآن، أو أن ترى ولدك يذهب إلى المسجد ويعود من المسجد، أو أن ترى ولدك يذهب إلى دروس العلم ويعود منها، أو أن ترى ولدك لا يجلس إلا مع الصالحين، والله إنها لقرة عين. أما أن ترى ولدك يدخن ويمشي وراء البنات، أو أن تراه كل يوم في السجن،

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ك: (٣/ ٦٢٣)، هب: (٢/ ٢٧)، [«المشكاة» (٥٣٠٢)].

(٢) **صحيح**: [«إيقاظ الهمم»/ لسليم الهلالي].

أو أن يأتيك سكران، فإن هذا لهو الخزي والوبال.

ولذلك يقول الله ﷻ في دعاء عباد الرحمن لربهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

والذرية الصالحة زينة في الحياة الدنيا كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

والذرية الصالحة يؤجر الوالد إذا أنفق عليها، فما من دينار تنفقه ولا حتى لقمة تضعها في فِي امرأتك إلا وتؤجر عليه عند الله لأنك تربي جيلاً صالحاً، وأئمةً للمتقين.

أما بعد موتك: فأنت تنتفع من الذرية الصالحة بالدعاء والحسنات، يقول ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عملهُ إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

ثانياً: أهل الجنة كانوا يحرصون في هذه الدنيا على الذرية الصالحة ليكونوا أئمة للمتقين؛ فإن الرجل الصالح يربي أولاده على مائدة الكتاب والسنة ليكونوا أئمة للمتقين، أي: لكي يدعون الناس إلى رضا الله والجنة، ولذلك تجد من دعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، فالإمامة في الدين درجة رفيعة يتطلع إليها الصالحون، فمن يحرص على أن يكون ابنه إماماً للمتقين يدعو الناس إلى رضا الله والجنة فهو مأجور في الدنيا والآخرة، واعلموا عباد الله أنه كما أن للجنة أئمة يدعون الناس إليها، فكذلك للنار أئمة يدعون الناس إليها قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١].

ثالثاً: أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يحرصون على الذرية الصالحة

(١) **صحيح**: م: (١٦٣١).

ليكونوا معهم في الجنة، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ [الطور: ٢١].

أمة الإسلام! أولادكم عندكم أمانة والله سائلكم عنها يوم القيامة، يقول ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**»(١). فوالله الذي لا إله إلا هو إن الله سائلكم يوم القيامة عن الأولاد فإنه ﷻ قد وصاكم في كتابه بأولادكم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١].

فيا من ذهبت واشتريت لأولادك المفسديون والفيديو، ويا من تركت أولادك لا يصلون، ويا من جئت بالدخان والخمر إلى البيت، ويا من تركت أولادك وبناتك يسرحون ويمرحون، لقد خنت الوصية، أهذا ما أمرك به الله؟! أهذا ما أمرك به رسول الله؟! بدل أن تأتوا لأولادكم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة ملأتم البيوت عليهم بوسائل الفساد، فاتقوا الله في أولادكم، ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم﴾ [الأنعام: ١٥١]. ويقول ﷺ: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**»(٢).

فيا عباد الله: الأولاد أمانة، الذرية أمانة، ليس الهدف أن تنجب الأولاد ثم ترمي بهم إلى الشارع، ولكن الهدف أن تربي جيلاً صالحاً تنتفع به في حياتك وبعد مماتك، يخدمون دينهم ومجتمعهم، أما أن نأتي بالأولاد ثم لا هم لنا إلا أن نجمع لهم المال؟!، فلا؛ فوالله لو تركناهم فقراء وتركناهم على الإيمان لكان خيراً لنا ولهم، والله لو تركناهم أغنياء وتركنا لهم الألوف من الدنانير وتركناهم لا دين لهم فسيكون ذلك وبالاً

---

(١) **صحيح**: خ: (٨٥٣)، م: (١٨٢٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٤٤٧)، م: (١٦٢٣).

علينا وعليهم في الدنيا والآخرة، فيا من تحرصون على جمع الأموال احرصوا على تربية الأولاد، ومن أراد منكم ذريةً صالحة فعليه أن يبحث عن الزوجة الصالحة أولاً لتكون أُماً مربية لأولاده، ثم إذا تزوج المسلم بالزوجة الصالحة فعليه إن جامع أهله أن يذكر الله وأن يقول: «**بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**»[(١)].

وإذا أراد الزوج الذرية فعليه أن يدعو الله في كل لحظة أن يرزقه الذرية الصالحة، ولعل الكثير من الناس يطلبون فقط الذرية هكذا على إطلاقها، لا يا عبد الله، لا خير في الذرية إن لم تكن صالحة، فقل في دعائك: رب هب لي ولداً صالحاً. ثم بعد ذلك إن أعطاك الله المولود الذي تمنيت، فعليك أن تعُقَ عنه في يوم سابعه أو في اليوم الرابع عشر أو في اليوم الحادي والعشرين من ميلاده، ثم بعد ذلك عليك أن تربيه على الصلاة، وعلى مائدة الكتاب والسنة، وأن تحرص على ذلك حتى تلقى الله.

وعليك أن تحرص على مراقبة أولادك: أين يسيرون، ومع من يجلسون، وإلى أين يذهبون، تحرص على ذلك حتى سكرات الموت كما فعل ذلك يعقوب عليه السلام فهو في اللحظة الأخيرة في سكرات الموت كان يقول لأولاده: ما تعبدون من بعدي؟ فنجحوا في ذلك الامتحان وقالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

* * *

(١) **صحيح**: خ: (١٤١)، م: (١٤٣٤).



صفات أهل الجنة

٢٣ ـ الخشوع في الصلاة

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثالثة والعشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الخشوع في الصلاة».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يخشعون في صلاتهم وبذلك فازوا بجنة عرضها السموات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ إلى أن قال رب العزة في صفات أهل الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

عباد الله! والخشوع بشكل عام: هو السكون والانكسار والتذلل لله تعالى، ومحله القلب، ويظهر أيضاً على الجوارح، أما الخشوع في الصلاة فهو: روح الصلاة، وهو المقصود الأعظم من الصلاة، فالخشوع بالنسبة للصلاة كالرأس بالنسبة للجسد.

والخشوع في الصلاة معناه: أنه إذا وقف الإنسان في صلاته، وعلم أنه واقفٌ بين يدي ربه، واستحضر قربه من الله ﷻ، سكن بذلك قلبه واطمأنت نفسُهُ، وسكنت جوارحه فلا يلتفت يميناً ولا شمالاً، ولا يكثر من الحركة في صلاته، ويتدبر ويعقل ما يقول، فإذا قرأ شيئاً من القرآن، أو قرأ الفاتحة، أو ركع أو سجد تدبر وعقل ما يفعل؛ لأن ما يعقله في

الصلاة هو الذي له فيه الأجر، فصلاة يصليها المرء دون أن يدري ما يقول فيها فلا ثواب ولا أجر، ولذلك نهى ربنا جل وعلا المسلمين ـ قبل تحريم الخمر تحريماً أبدياً ـ أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، العلة: حتى تعلموا ما تقولون، فلا يدخل الإنسان في صلاته إلا وهو يدري ما يقول.

وإذا نظرنا إلى كثير من المسلمين في هذا الزمان العجيب نرى أحدهم يدخل في صلاته وهو لا يدري ـ والله ـ ماذا يقول: وماذا يفعل، ولا يدري ماذا قُرِىء عليه؛ لقد دخل في صلاته وهو سكران بحب الدنيا، سكران بحب الدينار، سكران بحب المناصب، والرسول ﷺ يقول: «**إن الرجل لينصرف** ـ يعني: مِنْ صلاته ـ **وما كتب لهُ إلا عُشرُ صلاته تُسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها**»[(١)]، فلعل كثيراً من الناس يصلي ولم يكتب له من صلاته شيء!.

عباد الله! إن كانت الصلاة بدون خشوع فهي تجزئ صاحبها ولا يُطالب بإعادتها ولكن لا ثواب له ولا أجر له؛ لأن الأجر متعلق بالخشوع في الصلاة فهو روح الصلاة.

عباد الله! وهنا سؤال مهم ألا وهو:

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يحرصون على الخشوع في صلاتهم؟

أولاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن فلاح العبد في الدنيا والآخرة متعلق بالخشوع في الصلاة، فالله ﷻ يقول: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، أتدرون لماذا يفلح المرء إذا خشع في صلاته؟ لأنه إذا خشع في صلاته قُبلت منه ويوم القيامة كما

---

(١) **حسن**: د: (٧٩٦)، حم: (٤/ ٣٢١)، حب: (١٨٨٩)، ع: (٣/ ١٨٩)، بز: (٤/ ٢٥١)، هب: (٣/ ١٣٦)، [«ص. ج» (١٦٢٦)].

علمتم فإن أول ما يُسْأَل عنه العبد هو الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر.

• وكذلك فإن خشع في صلاته نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فلعلنا نرى كثيراً من المسلمين يصلون ولا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر فهل عرفتم السبب؟ لأنهم لا يخشعون في صلاتهم، أما من يريدون الجنة فإنهم يحرصون على الخشوع في صلاتهم لينالوا فلاح الدنيا والآخرة.

ثانياً: أهل الجنة كانوا يخشعون في صلاتهم لأن الخشوع في الصلاة سبب لدخول الجنة كما سمعتم في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ إلى أن قال رب العزة: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ٢ ـ ١١] وقال ﷺ: «**ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة**»[(١)].

ثالثاً: أهل الجنة كانوا يخشعون في صلاتهم؛ لأنهم قد علموا أن الخشوع سبب لمغفرة الذنوب والخطايا، يقول ﷺ: «**ما من امرىءٍ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأتِ كبيرة وذلك الدهر كُلَّهُ**»[(٢)]. ويقول ﷺ: «**خمس صلوات افترضهن الله ﷻ، من أحسن وضوءهن وصلَّاهن لوقتهن، وأتم ركوعهنَّ وخشوعهنَّ كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٣٤). (٢) **صحيح**: م: (٢٢٨).

(٣) **صحيح**: د: (٤٢٥)، حم: (٥/٣١٧)، طس: (٥/٥٦)، هق: (٢/٢١٥)، [«ص. ج» (٣٢٤٢)].

رابعاً: أهل الجنة كانوا يخشعون في صلاتهم؛ لأن الخشوع يعين على إقامة الصلاة.

عباد الله! إن الصلاة ثقيلة على النفس ولكن إذا خشع الإنسان وصبر في صلاته وأقامها خفت عليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥]. فهي كبيرة وثقيلة إلا على الخاشعين، فإذا خشع العبد في صلاته أعانه خشوعه على إقامة الصلاة.

خامساً: أهل الجنة كانوا يخشعون في صلاتهم؛ لأنهم علموا أن الخشوع يدفعهم إلى المسارعة في الأعمال الصالحة، قال تعالى بعد أن ذكر عباده الصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

عباد الله! وإذا نظرنا إلى المسلمين في هذا الزمان العجيب رأينا صلاة عجيبة لا خشوع فيها ـ إلا من رحم ربي ـ، وكل واحد منا أدرى بنفسه وأدرى بحاله في صلاته، هل يدخل في الصلاة ويخرج منها دون أن يدري ماذا فعل، ولا يدري ماذا قرأ؟! وكثير من المسلمين إذا انتهت الصلاة الجهرية فسألته ماذا قرأ الإمام فإنك تراه واللهِ لا يدري فهو إنما كان طوال صلاته يفكر في الشيكات الراجعة، ويفكر في الديون وفي النساء وفي المنصب! لقد شغلته الدنيا عن صلاته، والرسول ﷺ يقول: «**أول شيءٍ يرفع من هذه الأمة الخشوع، حتى لا ترى فيها خاشعاً**»[(١)]. ونخشى أن يأتي هذا اليوم الذي لا ترى خاشعاً في أمة الإسلام.

عباد الله! وهنا سؤال لا بد من الإجابة عليه ألا وهو:

كيف يمكن أن يخشع أحدنا في صلاته؟

وبما أن المقام لا يتسع لذكر كل ما يتعلق بالخشوع في الصلاة فإن اللبيب بالإشارة يفهم، فإذا قمت إلى الصلاة وأردت أن تخشع في صلاتك فهناك شروط لا بد أن تتوفر وهناك موانع لا بد أن تنتفي.

---

(١) **صحيح**: د: (٨٨)، ت: (١٤٢)، هـ: (٦١٦)، حم: (٣/ ٤٨٣)، ك: (١/ ٢٧٣)، خز: (١٦٥٢)، [«ص. ج» (٢٩٩)].

فمن الموانع التي تمنعك الخشوع في الصلاة:

١ ـ مدافعة الأخبثين.

ولذلك أمر الرسول ﷺ من قام إلى الصلاة أن يتخلَّصَ منِ هذه الموانع وأن يقضي عليها حتى إذا قام إلى صلاته خشع فيها. قال ﷺ: «**إذا أراد أحدكم أن يذهب إلى الخلاء، وأقيمت الصلاة فليذهب إلى الخلاء**»(١) لم؟ حتى إذا دخل في صلاته خشع، أما إذا دخل في الصلاة وهو يدافع أحد الأخبثين فإنك ستراه يتمنى أن تنتهي الصلاة فلا يخشع في صلاته.

٢ ـ حضور الطعام.

يقول ﷺ: «**لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان**»(٢)؛ لأن الجائع سيفكر في الطعام فلا يخشع في الصلاة.

٣ ـ غلبة النعاس.

يقول ﷺ: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهبَ عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعلهُ يذهب يستغفر فيسب نفسه**»(٣).

٤ ـ الالتفات في الصلاة.

سُئل ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»(٤).

٥ ـ أكل الحرام ولبس الحرام.

إذا كنت تصلي وبطنك مليئة بالحرام، كيف ستخشع؟! إذا كنت تصلي وأنت تلبس من الحرام، كيف ستخشع؟! إذا كنت تصلي وأنت تجالس أصحاب الغيبة والنميمة، كيف ستخشع؟! إذا كنت تصلي وأنت

---

(١) **صحيح**: حم: (٤/ ٣٥)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **صحيح**: م: (٥٦٠).

(٣) **صحيح**: خ: (٢٠٩)، م: (٧٨٦).

(٤) **صحيح**: خ: (٧١٨).

طوال يومك تنظر إلى النساء في الشوارع وإلى الصور العارية، كيف ستخشع؟ إن المعاصي تؤثر على القلب، وإذا قسى القلب لم يخشع صاحبه في الصلاة.

أما الشروط التي يجب أن تتوفر في الصلاة لتخشع فيها:

أولاً: أن تصلي صلاة مودع، أي أن تصلي صلاة مَنْ لا يصلي بعدها، تخيل أنه قد نزل بك ملك الموت لقبض روحك فقلت له: أتأذن لي أن أصلي ركعتين لله ﷻ فسمح لك ملك الموت أن تصلي ركعتين، فقمت تصلي، أَظن أنك ستخشع فيهما لعلمك أنه لا حياة لك بعد هذه الصلاة، فكذلك إذا دخلت في أي صلاة فاعتبرها الصلاة الأخيرة لك، وإنك لن تصلي بعدها، فإذا فعلت ذلك خشعت في صلاتك.

عباد الله! كم من إخوان لنا صلوا معنا الفجر ولم يصلوا الظهر، وكذلك سيأتي الوقت الذي تصلي أنت فيه إحدى هذه الصلوات ثم لا تصلي التي بعدها؛ فالموت يأتي بغتة، ولذلك جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، عظني وأوجز، فقال له ﷺ: «**إذا قمت في صلاتك فصلِ صلاة مودع..**»(١). ويقول ﷺ: «**أذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحريٌ أن يحسن صلاته، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها، وإياك وكل أمر يُعتذر منه**»(٢).

وجرب يا أخي من هذه اللحظة إذا قمت الآن لصلاة الجمعة صَلِّ هذه الصلاة وأنت تعتقد إنك لن تصلي العصر، وأَنك ستموت بعد هذه الصلاة، فستجد نفسك قد خشعت فيها؛ لأنك ٱعتقدت أنك ستلقى الله بعدها، فذكر نفسك وأنت في الصلاة بالموت وبما بعد الموت.

● فإذا كنت في بيتك، وسمعت المؤذن يؤذن للصلاة وخرجت من

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤١٧١)، حم: (٥/ ٤١٢)، طب: (٤/ ١٥٤)، طس: (٤/ ٣٥٨)، [«ص. ج» (٧٤٢)].

(٢) **حسن**: [«ص. ج» (٨٤٩)].

بيتك إلى المسجد فتذكر على الفور النداء يوم القيامة للخروج من القبور لرب العالمين. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: ٤١، ٤٢].

فإذا جئت إلى المسجد وجلست في المسجد تنتظر الصلاة فتذكر وقوفك يوم القيامة منتظراً للحساب والجزاء.

• وإذا نودي للصلاة وأقام المؤذن الصلاة وقمت في المسجد مصطفاً خلف الإمام فتذكر النداء عليك يوم القيامة أين فلان ابن فلان؟ وتذكر إذ أنت يومها تتخطى الصفوف إلى رب العالمين للحساب والجزاء، معك سائق يسوقك، وشاهد يشهد عليك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢١].

• فإذا وقفت في الصف وكبرت للصلاة فتذكر وقوفك أمام الله يوم القيامة، فأنت تقف اليوم بين يدي الله سبحانه وتعالى في صلاتك، ويوم القيامة ستقف بين يديه سبحانه ويقول لك: عبدي أتذكر في يوم كذا في مكان كذا في ساعة كذا وأنت تعصيني!، تذكَّر هذا يا أخي فإنه يدفعك للخشوع في الصلاة.

• ثم يا عبد الله إذا انصرفت من صلاتك فتذكر الانصراف من بين يدي الله يوم القيامة إما إلى الجنة وإما إلى النار، فبعد أن سئلت عن الصلاة، إن صلحت فقد أفلحت وأنجحت، وإن فسدت فقد خبت وخسرت وذهبت إلى النار والعياذ بالله.

عباد الله! ومن الشروط التي يجب أن تتوفر عند القيام للصلاة، أن تقوم إلى الصلاة بجد ونشاط ومحبة؛ لأنك ذاهب للوقوف بين يدي ملك الملوك، فإذا قمت في المسجد للاصطفاف في الصلاة فقم بجد ونشاط، أما أن تأتي إلى الصلاة كسلاناً، وأن تقوم إلى الصلاة كسلاناً، وأن تدخل فيها كسلاناً، فإن الكسل يمنع عنك الخشوع ويزيد في غفلتك في الصلاة، وٱحذر فإن الكسل صفة من صفات المنافقين، فإن المنافقين إذا

جاءوا من بيوتهم إلى الصلاة في المسجد جاءوا كُسالى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤].

وإذا جاء المنافقون المسجد وأقيمت الصلاة قاموا إلى الصلاة وهم كُسالى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]، ويقول ﷺ: «**لِيُصَلِّ أحدُكُم نشاطَه فإذا كسل أو فتر فليقعد**»(١).

من شروط الخشوع في الصلاة أن تتدبر ما تقول وما تقرأ:

ٱعلم يا عبد الله أنك إذا وقفت في الصلاة فإنك تناجي ربك، كما أخبرنا بذلك ﷺ في الحديث القدسي عن ربه قال الله ﷻ: «**قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ **قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي وإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾، **قال الله: مجدني عبدي ـ وقال مرة: فوَّض إليَّ عبدي ـ فإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ **قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل**»(٢).

• فاستشعر إذا قلت في الصلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أن العبادة كلها لله وإذا قلت: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أن: لا حول ولا قوة لنا إلا بك يا رب العالمين.

• وإذا قلت: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ فتذكر أن الصراط في الدنيا هو الكتاب والسنة على منهج أصحاب رسول الله ﷺ.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٠٩٩)، م: (٧٨٤).

(٢) **صحيح**: م: (٣٩٥).

• وإذا قلت: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، فتذكر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وارجو أن تكون في صحبتهم يوم القيامة في جنات النعيم.

• وإذا قلت: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، تذكر اليهود وقد غضب الله عليهم، لم؟ لأنهم عرفوا الحق ولم يتبعوه، فٱحذر أن تعرف الحق وأن تحيد عنه، فيغضب الله عليك كما غضب على اليهود.

• وإذا قلت: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فتذكر النصارى الذين عبدوا الله على ضلالة فضلوا وأضلوا. وٱعلم أنك إذا فعلت مثل ما فعلوا وعبدت الله بجهل ضللت، فيدفعك كل ذلك ـ وأنت تفكر في صلاتك ـ أن تحرص على دروس العلم، وأن تتعلم، وأن تعمل بما تعلمت، فإن تعلمت فقد نجوت من أن تكون مثل النصارى، وإن عملت بما تعلمت فقد نجوت من أن تكون مثل اليهود، وإن قُرِئ القرآن فتدبر ما يُتلى عليك، فإذا قرأ الإمام عليك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾ [البقرة: ٢٧٨]، وأنت واقع في الربا ففكر في التوبة وارجع إلى الله؛ لأنك دخلت في الصلاة وأنت تصلي صلاة من لا صلاة له بعدها، فإذا خرجت من صلاتك فأحدث توبة نصوحاً لله ﷻ، وكذلك افعل مع كل ما تسمعه من القرآن، فإذا فعلت فأنت تخشع حقاً في صلاتك.

اللهم ارزقنا الخشوع في الصلاة

❁ ❁ ❁



صفات أهل الجنة

٢٤ ـ البكاء مِنْ خشية الله

بالعقيدة الصحيحة يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحيا حياة طيبة وفي الآخرة يفوز بجنة عرضها السموات والأرض. ولذلك يا عباد الله فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الرابعة والعشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «البكاء من خشية الله».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن البكاء من خشية الله هو دأب الأنبياء والعلماء والصالحين من عباد الله، فقال تعالى في كتابه بعد أن ذكر الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨]، وقال تعالى في وصف العلماء: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦ ـ ١٠٩]، وقال تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣].

عباد الله! وهذا رسولنا ﷺ يضرب لنا مثلاً أعلى في البكاء من خشية الله، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ**

عليَّ» قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال ﷺ: «**نعم**» ـ يقول ابن مسعود: ـ فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾**﴾ قال ﷺ: «**حسبك الآن**»، ـ يقول ابن مسعود: ـ فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان)[١].

وعن عبد الله بن الشِّخير رضي الله عنه يقول: (رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحىٰ من البكاء)[٢].

• ويقول البراء بن عازب رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير قبر ـ أي: على حافة قبر ـ فبكى حتى بلَّ الثرى ﷺ ثم قال: «**يا إخواني لمثل هذا فأعدوا**»[٣].

انظروا إلى أحوالنا اليوم فإننا إذا ذهبنا حتى إلى المقابر ٱنشغلنا في البيع والشراء، والغيبة والنميمة، وشرب الدخان! فهل يليق ذلك عند القبر يا عباد الله؟ لقد قست القلوب فهي كالحجارة أو أشد قسوة!

وها هم الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبكون من خشية الله، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أُوصيكم بتقوى الله...**»[٤].

فانظروا عباد الله إلى العلاقة ما بين القلب والعين، تأثر القلب وفهم

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٦٣)، م(٨٠٠).

(٢) **صحيح**: د: (٩٠٤)، ن: (١٢١٤)، حم: (٤/ ٢٥)، خز: (٩٠٠)، حب: (٦٦٥)، [«ص. غ. هـ» (٥٤٤)].

(٣) **حسن**: هـ: (٤١٩٥)، حم: (٤/ ٢٩٤)، طس: (٣/ ٩٢)، ش: (٧/ ٧٩)، هب: (٧/ ٣٥٠)، هق: (٣/ ٣٦٩)، [«ص. غ. هـ» (٣٣٣٨)].

(٤) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، ك: (١/ ١٧٤)، [«ص. غ. هـ» (٣٧)].

وعقل ما يسمع فبكت العيون، أما وقد قسا القلب فقد جمدت العيون! وهذا ما أصابنا وذلك بسبب معاصينا.

• ويقول أنس بن مالك ﵁: (خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين)(١). والخنين: هو صوت البكاء المكتوم.

وهذا أبو بكر ﵁ كان إذا قام في الصلاة بكى حتى لا يكاد يُسمع الناس، يقول ابن عمر ﵄: لما اشتد برسول الله ﷺ وجعُهُ قيل له في الصلاة: فقال: «**مُرُوا أبا بكرٍ فليصل بالناس**»، قالت عائشة ﵂: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غلبهُ البكاء، قال: «**مُرُوهُ فَيُصلي**»(٢) وفي رواية عن عائشة ﵂ قالت: (قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمع الناس من البكاء)(٣).

يقول أنس ﵁: (قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر ﵄: انطلق بنا إلى أم أيمن ﵂ نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله تعالى خير لرسوله ﷺ! قالت: ما أَبكي أَن لا أكون أَعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها)(٤).

• وهذا أُبي بن كعب ﵁ يقول له رسول الله ﷺ: («**إن الله أمرني أن أقرأ عليك**: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾» [البينة: ١] قال: وسمَّاني؟ قال: «**نعم**» فبكى)، وفي رواية: (فجعل أُبي يبكي)(٥).

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٣٤٥)، م: (٢٣٥٩).
(٢) **صحيح**: خ: (٦٥٠)، م: (٤١٨).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٨٧٣)، م: (٤١٨).
(٤) **صحيح**: م: (٢٤٥٤).
(٥) **صحيح**: خ: (٤٦٧٦)، م: (٧٩٩).

• وهذا عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام وكان صائماً فقال: (قُتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني كفِّن في بُردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاهُ بدا رأسهُ وأُراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط ـ أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام)(١).

عباد الله! لقد أصبح البكاء من خشية الله حلم نحلم به في هذا الزمان، من منا من يبكي من خشية الله؟ فإن أهل الجنة كانوا يبكون من خشية الله، وقد سمعتم أن البكاء من خشية الله هو دأب الصالحين والأنبياء والعلماء من عباد الله، وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى في البكاء من خشية الله، وضرب لنا الصحابة مثلاً يُحتذى به في البكاء من خشية الله.

لكن لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يبكون من خشية الله؟

أولاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الله عز وجل يحب البكاء من خشيته. يقول صلى الله عليه وسلم: «**ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تهراقُ في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله تعالى، وأثر في فريضةٍ من فرائض الله تعالى**»(٢).

ثانياً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن البكاء من خشية الله ينجي من دخول النار، يقول صلى الله عليه وسلم: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع...**»(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢١٦).

(٢) **حسن**: ت: (١٦٦٩)، طب: (٨/ ٢٣٥)، [«ص. غ. هـ» (١٣٢٦)].

(٣) **صحيح لغيره**: ت: (١٦٣٩)، ع: (٣٠٧/٧)، [«ص. غ. هـ» (٣٣٢٢)].

(٤) **صحيح**: ت: (٢٣١١)، ن: (٣١٠٨)، ش: (٢٠٨/٤)، حم: (٥٠٥/٢)، ك: (٢٨٨/٤)، لس: (٢٤٤٣)، [«ص. ج» (٧٧٧٨)].

ثالثاً: أهل الجنة كانوا يبكون من خشية الله؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن الذي يبكي من خشية الله يكون يوم القيامة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» منهم: «**رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[(١)].

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها البكاء من خشية الله، ولكننا إذا نظرنا إلى أحوال المسلمين في هذا الزمان ـ إلا من رحم ربي ـ فلا نكاد نرى باكياً من خشية الله! لقد قست القلوب فهي كالحجارة أو أشد قسوة! والله لقد قست القلوب، وجفت العيون فنحن يا عباد الله لا نبكي إذا سمعنا القرآن! ولا نبكي إذا سمعنا المواعظ! والسبب أن القلوب قست بسبب حب الدنيا، وبسبب كثرة الضحك، وبسبب الانشغال بأمور الدنيا بالليل والنهار وبسبب الابتعاد عن دروس العلم وعن سماع القرآن.

ولكن لو أن سأل سائل فقال: كيف أبكي من خشية الله؟ وما هي الأسباب التي تجعلني أبكي من خشية الله؟

فنقول له:

أولاً: عليك بسماع القرآن بتدبر.

إذ ليس كل من سمع القرآن انتفع بالقرآن، وإنما ينتفع بالقرآن من سمع القرآن وتدبر ما سمع وفهمه، فهناك من يسمع القرآن ومَنْ يقرأه ولكن الله يلعنه في القرآن.

● فانظروا عباد الله إلى عباد الله الصالحين فإنهم إذا سمعوا القرآن، كان حالهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٢٩)، م: (١٠٣١).

• انظروا إلى الذين أوتوا العلم من قبله إنهم إذا سمعوا القرآن خروا للأذقان سجداً.

• وانظروا إلى رسول الله ﷺ فإنه عندما قرأ عليه عبد الله بن مسعود فبلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]، بكى رسول الله ﷺ، فمن منا اليوم من يبكي عند سماع القرآن؟!

فيا عبد الله إذا سمعت القرآن إذ يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨]، فتب إلى الله وابكِ على أنك في حرب مع الله، وفي حرب على صحتك، وحرب على سعادتك، وحرب على أولادك وزوجتك، فتب إلى الله من الربا، وابكِ من خشية الله قبل أن تخرج من الدنيا فتتمنى أن تعود لتتوب فلا يُسْتَجاب لك، فالله ﷻ قد عاب على الذين يسمعون القرآن ولا يتدبرونه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

ثانياً: عليك أن تخلو بنفسك بعيداً عن الناس ولو لحظة في كل يوم.

بعيداً عن الأولاد والزوجة، بعيداً عن كل الناس، وبعيداً عن المال، ثم اذكر الله ﷻ وأنت على هذا الحال، فهذا الرجل ممن يكونون في ظل الله ـ يوم لا ظل إلا ظله ـ كان قد ذكر الله خالياً ففاضت عيناه فٱخْلُ بنفسك، وقل لها: يا نفسي هل دامت الدنيا للملوك؟ هل دامت الدنيا للأغنياء؟ هل دامت الدنيا للأقوياء؟ هل دامت لأحد من قبلي؟ فإذا لم تكن دامت لأحد فلن تدوم لك يا نفسي! ثم تذكر الموت إذا نزل بك الموت وما بعد الموت، وتذكر القبر والظلمة والوحشة، وتذكر منكر ونكير، وتذكر يوم القيامة يوم تطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله، وتذكر إذا وقفت على الميزان وخفت موازينُك وأخذ بك إلى نار جهنم؟!، تذكر إذا انطلق الناس إلى جنات النعيم وأُخذ بك إلى سواء الجحيم!! تذكر ذلك وأنت حدك تَبْكِي من خشية الله.

ثالثاً: تذكر ذنوبك.

تذكر كل ما فعلت وكل ما وقع منك وكل ما اقترفت، واسأل نفسك لو أنك مت مصراً على ذنبك ففضحك الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة فماذا عساك أن تفعل يومها؟ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله ما النجاة؟ قال ﷺ: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(١). تذكر ذنبك، وابك عليه، فإن لم تبك على ذنبك فابك على قلبك القاسي يا عبد الله.

رابعاً: عليك بدروس العلم.

ففي دروس العلم الخشية، وما من أحد يتعلم العلم الشرعي إلا وتجده يخشى الله فالعلم ثمرته الخشية، ولذلك أثنى الله ﷻ على أهل العلم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

خامساً: ابتعد عن كثرة الضحك.

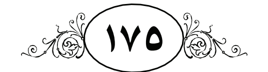
فكثرة الضحك تميت القلب، وما من إنسان يضحك كثيراً إلا وهو لا يعرف البكاء من خشية الله وحتى إن صلى وصام، فاضحكوا ولكن قليلاً لأن من ضحك كثيراً في الدنيا فسيبكي كثيراً يوم القيامة ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٠٦)، حم: (٥/٢٥٩)، طب: (١٧/٢٧٠)، هب: (١/٤٩٢)، حل: (٢/٩)، [«ص. غ. هـ» (٢٧٤١)].



صفات أهل الجنة

٢٥ ـ الصدق

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الخامسة والعشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الصدق».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يتحرون الصدق في كل شيء حتى كُتبوا عند الله من الصدِّيقين. يقول رسولنا الكريم ﷺ: «**وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً**»(١). والجزاء عند الله يوم القيامة من جنس العمل ـ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ـ فالله ﷻ يقول: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]، فكافأهم الله ﷻ يوم القيامة ـ لأنهم كانوا في هذه الدنيا يتحرون الصدق في كل شيء ـ بما يلي:

أولاً ـ جعل لهم عنده قدم صدق:

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

ثانياً: جعل لهم عنده مقعد صدق: فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

ثالثاً: جعلهم يوم القيامة مع أحسن رفقة:

مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

عباد الله! **وهنا سؤال مهم وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يتحرون الصدق في كل شيء؟

أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم أن يكونوا دائماً مع الصادقين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، فانظر يا أخا الإسلام مع من تجلس؟ ومع من تتعامل؟ ومن تصاحب؟ فإن صاحبت الكذَّاب تعلمت الكذب، وإن جلست مع الكذَّابين تعلمت الكذب، وإن تاجرت مع الكذَّابين تدربت على الكذب. لكن أهل الجنة استجابوا لنداء ربهم وكانوا دائماً ليلاً ونهاراً مع الصادقين.

ثانياً: لأنهم علموا أن الصدق هو الطريق الموصل إلى الجنة، كما أن الكذب هو الطريق الموصل إلى النار، فانظر يا عبد الله إلى أقوالك وأفعالك فإن كنت صادقاً تتحرى الصدق دائماً فأنت تسلك طريقاً إلى الجنة، وإن كنت كاذباً تتحرى الكذب فأنت تسلك طريقاً إلى النار، يقول الله ﷻ: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزمر: ٣٢ ـ ٣٥].

ويقول ﷺ: «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدُقُ، ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى**

يُكتبَ عند الله كذاباً»(١).

ثالثاً: لأنهم علموا أن الإنسان يتحصل بالصدق على خير الدنيا والآخرة، قال رب العزة: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]. فعيب علينا يا معشر المسلمين أن نكذب أو نتحرى الكذب في كلامنا ومزاحنا، أو في بيعنا وشرائنا، بينما الكفار يصدقون في بيعهم وشرائهم!

وأنتم تعلمون علم اليقين أننا أصبحنا في زمان قد كثر فيه الكذب، بل ولا يُصدَّق فيه إلَّا الكاذب، فالصدق قليل في كل شيء حتى إنك كدت لا تسمع عن تاجر صادق ـ إلا من رحم ربي ـ فلا هم لأحدهم إلّا المال، ولا هم له إلا أن يصل إلى المنصب مهما كان الثمن، المهم أن يصل في هذه الدنيا إلى ما يريد، نقول: لا، كُفَ عن ذلك يا أخا الإسلام، وإذا أردت خيري الدنيا والآخرة فعليك بالصدق فإنَّ له ثماراً عظيمةٌ منها:

أولاً: في الدنيا:

● أن من تحرى الصدق في كل شيء اطمأن قلبه وعاش في طمأنينة، يقول ﷺ: «**فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة**»(٢)، أما ذهبت يوماً إلى المحكمة ونظرت إلى شاهد يشهد بشهادةٍ صادقة وتأملت كيف تراه مطمئناً؟! أما إذا نظرت إلى شاهد الزور وهو واقف ليشهد فإنك تراه مضطرباً وتراه في ريب من أمره، لم؟ لأن الكذب ريبة، والصدق طمأنينة، فأنت إذا صدقت في هذه الدنيا عشت دائماً في طمأنينة وعظمت في أعين الناس وأحبوك، فأنت تعلو في هذه الدنيا بالصدق لأن الصدق خُلق حميد. حتى الكفار لما عرفوا أن الصدق خلق حميد ينفع صاحبه في الدنيا رأيتهم يتحرون الصدق في كل شيء!!

● وتذكر يا عبد الله أن الصدق في البيع والشراء يزيد الرزق،

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٥١٨)، حم: (١/ ٢٠٠)، لس: (١١٧٨)، ع: (١٢/ ١٣٢)، بز: (٤/ ١٧٥)، هق: (٥/ ٣٣٥)، [«ص. ج» (٣٣٧٨)].

وتكون البركة، فإذا بعت بالكذب فاعلم أنك ستنفق مالك هذا على نفسك في المستشفيات، وعلى أولادك في مرضهم، وستنفقه في معصية الله، فاحرص على الربح الحلال وعليك بالصدق فإن فيه البركة والزيادة، وإياك والكذب فإنه يمحق البركة يقول ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرَّقا، فإن صدقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**»(١).

واعلم أن التاجر الصدوق يكون يوم القيامة مع النبيين والصديقين.

• بل إن الصدق حتى في طلب الشهادة في سبيل الله سبب لنيلها، فمن طلب أن يموت شهيداً في سبيل الله صادقاً من قلبه بلَّغه الله ﷻ منازل الشهداء وإن مات على فراشه، يقول ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»(٢)، ولذلك نقول: والله من طلب العلم الشرعي بصدق بلَّغه الله منازل العلماء، والله من طلب أن يحفظ كتاب الله بصدق حفظه واستفاد مما فيه.

ثانياً: في الآخرة:

فالصدق ينفع صاحبه في الآخرة كما نفعه في الدنيا وحدث عن ذلك ولا حرج، فالله ﷻ يقول: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ أتدرون ما هذا اليوم؟ إنه يوم القيامة، إنه يوم الطامة، إنه يوم الصاخة، إنه يوم يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، إنه اليوم الذي لا يعرف فيه الوالد ولده، ولا الولد والده! إنه اليوم الذي يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه! في هذا اليوم الشديد ينفع الصادقين صدقهم، والله ﷻ يخبرك بذلك في سورة المائدة فيقول: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (١٩٧٣)، م: (١٥٣٢).

(٢) **صحيح**: م: (١٩٠٩).

عباد الله! إذا أردت أن تتحلى بهذا الخلق العظيم وهو الصدق الذي قل في هذا الزمان ـ حتى إننا في زمان يُصدَّق فيه الكاذب، ويُكذب فيه الصادق ـ فعليك:

أولاً: أن تتحرى الصدق في كل شيء، فراقب نفسك ولسانك وأعمالك وقلبك وتحرى الصدق في كل صغيرة وكبيرة لأن الرسول ﷺ يقول: «**وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً**»[(١)]. وإن كذبت فتب إلى الله وعاقب نفسك مثلاً بأن تصوم يوماً لله عقاباً لها لأنها كذبت، فإن راقبت نفسك على نحو ذلك فسيأتي اليوم الذي لا تكذب فيه أبداً.

ثانياً: عليك أن تصاحب الصادقين، استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

ثالثاً: عليك أن تكثر من الأعمال الصالحة، وأن تصدق فيها باطناً وظاهرا؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

عباد الله! على المسلم الذي يريد الجنة بصدق أن يصدق مع الله في عبادته، وأن يصدق مع رسول الله ﷺ في محبته واتباعه، وأن يصدق مع صحابة رسول الله في سلوك منهجهم، وأن يصدق مع الناس فيتحرى الصدق في كل شيء، وإليك تفصيل ذلك:

أولاً: الصدق مع الله عَزَّ وجل هو أن تصدق في عبادة الله بأن تعبده وحده ولا تشرك به شيئاً، فالذي يصلي ويقول في كل ركعة: إياك نعبد

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

وإياك نستعين، ثم إذا خرج من الصلاة تراه يحلف بغير الله، ويستعين بغير الله، ويذهب إلى الكهنة والمشعوذين، فهذا كذَّاب قد كذب على الله، إذ كيف يقول: إياك نعبد وإياك نستعين ثم يذبح لغير الله، ويدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، إن هذا كذب على الله، ومن يأتي حاملاً لهذا الكذب يوم القيامة هو من أظلم الناس على وجه الأرض. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر: ٣٢].

ثانياً: على الإنسان أن يصدق مع رسول الله ﷺ في محبته وطاعته واتباعه إياه فكثير من الناس يَدَّعون محبةَ رسولِ الله ﷺ، لكنهم يخالفون هدي رسول الله في كل ما أمر وفي كل ما نهى عنه، وهذا من الكذب، فعلامة المحبة الاتباع لرسول الله ﷺ فمن كان محباً لرسول الله حقاً رأيته دائماً وأبداً يحيي سنة رسول الله ﷺ ويأمر الناس بإحياء سنن رسول الله ﷺ.

ولذلك لما قالت اليهود: إبراهيم منا، وقالت النصارى: إبراهيم منا، كذبهم الله ﷻ وبيَّن لنا مَنْ أولى الناس بإبراهيم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٧، ٦٨]. فأولى الناس بمحمد ﷺ هم الذين اتبعوه وسلكوا طريقه وأقاموا سنته، ولذلك يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].

ثالثاً: أن تصدق مع صحابة رسول الله ﷺ في سلوك منهجهم؛ فسبيلهم ومنهجهم هو الذي يوصل إلى رضى الله والجنة، لم؟ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ويقول ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(١)]. وقال ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء**

---

(١) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/٢١٨)، [«ص. ج» (٥٣٤٣)].

الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»[١].

رابعاً: أَن تصدق مع الناس في البيع والشراء وفي كل المعاملات فإن فعلت ذلك فأنت حقاً تتحرى الصدق، وإذا تحريت الصدق كتبت عند الله من الصديقين ويوم القيامة يجزي الله الصادقين بصدقهم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يرد المسلمين إلى أخلاق الصالحين

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (١٢٦/٤)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، ك: (١٧٤/١)، طب: (٢٤٥/١٨)، [«ص. ج» (٢٥٤٩)].



صفات أهل الجنة

٢٦ ـ الإحسان

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السادسة والعشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الإحسان».

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يحسنون في كل شيء، فإنهم ربوا أنفسهم على الإحسان ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات: ١٥، ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المرسلات: ٤١، ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٥]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر الرسول ﷺ الزيادة بأنها نظر أهل الجنة إلى وجه الرب تبارك وتعالى في جنات النعيم[(١)]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ

---

(١) **صحيح**: انظر م: (١٨١).

تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٤٦ ـ ٦٠].

عباد الله! أهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا قد أحسنوا ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض.

***عباد الله*، والإحسان ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: الإحسان فيما بين العبد وبين ربه، وهذا هو أعلى درجات الدين، وقد فسره الرسول ﷺ عندما قال له جبريل ﷺ فأخبرني عن الإحسان؟ فقال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١)، والله يا أمة الإسلام لو عملنا بهذه المرتبة ووصلنا إلى هذه المنزلة، فعبد كل منا ربه ﷻ كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه لانحلت مشاكل الأمة، ولتغيرت أحوالنا، ولصرنا إلى حال أحسن من هذا الحال.

«أن تعبد الله كأنك تراه»: بالله عليك يا ابن آدم لو أنك تعمل عند إنسان ما وصاحب العمل يقف على رأسك ينظر إليك، وأنت تعمل تنظر إليه أمام عينيك أظن أن ذلك يدفعك إلى إحسان العمل وإلى إتقانه، لم؟ لأنك ترى صاحب العمل الذي يعطيك الأجر واقف فوق رأسك، فإذا تعاملت مع الله بهذه المعاملة أحسنت العمل، وازددت خشية.

«فإن لم تكن تراه» فاعلم «أنه يراك» فما من عمل وما من مكان وما من حركة إلا والله يراك وأنت فيها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٩]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس: ٦١]، وقال

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٩٩)، م: (٨).

ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧]. فعليك أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ٱبن آدم إذا علمت أن الله يراك فلم جعلت الله أهون الناظرين إليك؟ كيف تعلم بأن الله يراك وتزني؟! كيف تعلم بأن الله يراك وترتشي؟! كيف تعلم أن الله يراك وتفرط في عرضك؟! كيف تعلم أن الله يراك وتكذب؟! كيف تعلم أن الله يراك وتسرق في جوف الليل؟!

النوع الثاني: الإحسان في العمل، وهو أن يحرص الإنسان منا على إحسان العمل قبل أن يحرص على الإكثار منه، فالعبرة بإحسان العمل، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢]، ولم يقل: أيكم أكثر عملاً، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف: ٣٠]، فالعبرة بالإحسان، صَلِّ ركعتين بإتمام وخشوع وخضوع أفضل من أن تقوم طوال الليل تنقر الصلاة نقر الديكة!

واعلموا عباد الله: أن العمل لا يكون فيه إحسانٌ إلا إذا كان خالصاً وصواباً، أي **خالصاً** لله تبتغي به وجه الله لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. **وصواباً**: أي: على السنة، لقوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١). فابتغوا بأعمالكم وجه الله، واعملوا كما علمكم رسول الله، فمن عبد الله بغير ما بيَّن رسول الله فعمله مردود عليه ولا يزيده من الله إلا بعداً.

النوع الثالث: وهو الإحسان إلى الغير، فالمسلم في هذه الدنيا يحسن إلى غيره، مثلاً: أمرك الله ﷻ أن تحسن إلى والديك، فقال

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فهنيئاً لمن أحسن إلى والديه، والخيبة والخسران لمن أساء إلى والديه، ويا ويل من رفع صوته على والديه، أو ضرب والديه! يا ويل من أساء إلى والديه، لا تنسى أن الله ﷻ قد وصاك أن تحسن إلى والديك وهم أقرب الناس إليك، فيا أبناء القرن العشرين، يا من ربيتم أولادكم على محطات (الستالايت) انظروا كيف تتكلمون مع الآباء والأمهات! انظروا ماذا صنع بعضنا في الآباء والأمهات، فإن منا من يشتم، ومنا من يهجر، ومنا من يضرب، ومنا من يقتل والديه!!

الإحسان إلى الجار: وهذا من الدين، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]. ويقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»(١)، أي: من كان في قلبه ذرة من إيمان فليحسن إلى جاره، ويقول ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره**»(٢)، وقال ﷺ: «**ما زال جبريل يُوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»(٣)، وقال ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن!**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمنُ جاره بوائقهُ!**»(٤)، وسُئل ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**أن**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٧٣)، م: (٤٨).

(٢) **صحيح**: ت: (١٩٤٤)، حم: (٢/ ١٦٧)، مي: (٢٤٣٧)، خز: (٢٥٣٩)، حب: (٥١٨)، ك: (١/ ٦١٠)، خد: (١١٥)، هب: (٧/ ٧٧)، [«ص. ج» (٣٢٧٠)].

(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٦٩)، م: (٢٦٢٥).

(٤) **صحيح**: خ: (٥٦٧٠)، م: (٤٦).

تزاني حليلة جارك»[١]، وقال ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟**»، قالوا: حرام، حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال ﷺ: «**لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»، قال: «**فما تقولون في السرقة**»؟ قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره**»[٢].

فهذه الوصايا بالجار، ويا ويل من يؤذي جاره، ويا ويل من يعتدي على جاره بعشيرته أو باسمه أو بمنصبه أو بماله.

ومن الإحسان أيضاً الإحسان إلى الحيوانات:

فديننا دين الرحمة والإحسان فهو يأمر بالإحسان حتى إلى الحيوان، يقول ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته**»[٣]، الله الله عباد الله ما هذا الدين العظيم! ثم بعد ذلك أتنظرون بإعجابٍ إلى بلاد أوروبا وإلى الكفار والذين يَدَّعون المحافظة على حقوق الإنسان، وحقوق الحيوان، وتقولون أن في قلوبهم رحمة؟! أين هذه الرحمة المزعومة وهم يذبحون المسلمين ذبح النعاج دون أن يتكلم أحد؟!.

عباد الله! **وهنا سؤال مهم وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يحسنون ويربون أنفسهم على الإحسان؟

أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بالإحسان، وأهل الإيمان إذا أمرهم الله ائتمروا وقالوا: سمعنا وأطعنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٥٥)، م: (٨٦).

(٢) **صحيح**: حم: (٨/٦)، خد: (١٠٣)، طب: (٢٥٦/٢٠)، بز: (٦/ ٥٠)، هب: (٧/ ٨١)، [«ص. غ. هـ» (٢٥٤٩)].

(٣) **صحيح**: م: (١٩٥٥).

وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ثانياً: لأنهم علموا أن الله ﷻ يحبُّ المحسنين، وإذا أحب الله عبداً فإنه لا يعذبه في النار، يقول ﷺ: «**والله، لا يلقي الله حبيبه في النار**»(١). ويقول الله ﷻ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

ثالثاً: لأنهم علموا أن الله ﷻ يعطي المحسنين أجراً عظيماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥]، وقال تعالى على لسان يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

رابعاً: لأنهم علموا أن الله ﷻ مع المحسنين قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وهذه هي المعية الخاصة فكل من اتصف بصفة الإحسان فالله معه، ومقتضى هذه المعية النصر والتمكين والتأييد والحماية، فمن كان محسناً نصره الله وأيده ومكنه، وبالمثال يتضح البيان:

• فهذا نوح ﵇ دعا قومه فلما كذبوه أغرقهم الله ﷻ ونجى نوحاً ومن آمن معه لأنهم كانوا من المحسنين. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الصافات: ٧٥ ـ ٨٢].

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣٥)، ك: (١/ ١٢٦)، ع: (٦/ ٣٩٧)، هب: (٥/ ٤٢٢)، [«س. ص» (٢٤٠٧)].

• وهذا يوسف عليه السلام الذي ربى نفسه على الإحسان حتى أنه لما دخل السجن وطلب منه من معه في السجن أن يُؤَوِّلَ لهم الرؤيا قالوا له: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: ٣٦]، فهذا الإحسان الذي كان يوسف قد ربى نفسه عليه حتى في السجن جعل الله له به مخرجاً فأخرجه من السجن ومكَّنه في الأرض في بلاد مصر، ولما جاء إخوة يوسف إلى يوسف وقالوا له: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

عباد الله! من كان منكم يريد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: الإحسان.

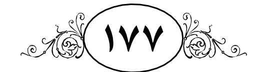
عباد الله! واللهِ إننا لننظر إلى أحوالنا في هذا الزمان بحزن وأسى فالكثير منا لا يعرفون الإحسان، فلا يحسنون فيما بينهم وبين ربهم، ولا يحسنون في أعمالهم، ولا يحسنون إلى غيرهم، ومنا من لا يحسن إلى والديه، ومنا من لا يحسن إلى جيرانه، ومنا من لا يحسن إلى الحيوان، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والله سيندم هؤلاء لأنهم قد ظلموا أنفسهم، والله عز وجل في كتابه قسم الناس إلى ظالم ومحسن، فانظر يا عبد الله من أي الفريقين أنت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣]، فإما أن تكون محسناً، وإما أن تكون ظالماً. ٱنظر إلى والديك إما أن تكون محسناً إليهما وإما أن تكون ظالماً لهما، انظر إلى عبادتك وصلاتك إما أن تكون محسناً فيها، وإما أن تكون ظالماً، وعلى ذلك فقس، وتذكر أن الذين ظلموا أنفسهم بعدم الإحسان في الدنيا سيندمون يوم القيامة وسيتمنى أحدهم أن يأتي إلى الدنيا مرة ثانية ليحسن كما أمره الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾، أي: لو أن لي رجعة إلى الدنيا مرة ثانية

لأكون من المحسنين، ولكن عندها سيقال لأحدهم يوم القيامة: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٥٦ ـ ٦٠].

فمن أحسن في هذه الدنيا يبيض وجهه يوم القيامة، وينظر إلى ربه في جنات النعيم، ومن لم يحسن في هذه الدنيا فإنه سيكون ممن هم عن ربهم ﴿يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلا ينظرون إلى وجه الرب تبارك وتعالى، وهذا هو العذاب الأليم، فاستيقظوا عباد الله حاولوا أن تتخلقوا بهذا الخلق العظيم فهو أعلى مراتب الدين، وهذا لا يأتي في يوم وليلة ولكن حاولوا أن تربوا أنفسكم على ذلك. واعلم يا عبد الله أنك تحت رقابة شديدة وأن الله يراك، وأن الملائكة معك، وأن أعضاءك ستشهد عليك يوم القيامة، حتى الأرض التي تدب عليها ستشهد عليك يوم القيامة، فاحرص يا عبد الله أن تكون محسناً في هذه الدنيا لتكون يوم القيامة مع الذين أحسن الله إليهم.

اللهم ارزقنا الإحسان

❁ ❁ ❁



صفات أهل الجنة

٢٧ ـ كثرة الاستغفار

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من سكانها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة السابعة والعشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «كثرةُ الاستغفار».**

عباد الله! يخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يكثرون من الاستغفار، فإذا اقترفوا ذنباً استغفروا الله، وإذا فعلوا طاعة استغفروا الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

فقارنوا يا أمة الإسلام بين أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ وبين أحوالنا في هذا الزمان العجيب! إنهم ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: كانوا قليلاً من الليل ما ينامون، إذاً فماذا كانوا يفعلون؟ كانوا يبيتون لربهم سجداً وقياماً، فإذا ما جاء وقت السحر فحالهم: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾. انظروا إلى أحوالنا، إننا قليلاً من الليل ما نهجع ولكن على أي شيء نسهر؟ أنتم تعرفون! فإذا ما جاء وقت السحر ووقت الفجر، نمنا، وتركنا الاستغفار بل حتى تركنا صلاة الفجر! فهذا هو حالنا الذي بسببه حُرمنا المطر، وكلما أراد أن ينزل يرفع بسبب معاصينا.

فاسمعوا يا من تريدون الجنة وصف أهل الجنة: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾، وقال تعالى في موضع آخر:

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ما صفاتهم؟: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٧].

عباد الله! الاستغفار هو: طلب المغفرة من الله ﷻ، ومن يغفر الذنوب إلا الله؟ والمغفرة هي: الوقاية من شر الذنوب بعد تركها، والاستغفار هو: طلب المغفرة وهو دأبُ الأنبياء والصالحين من عباد الله.

• فهذا نوح ﵇ يقول في دعائه: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

• وهذا إبراهيم ﵇ يقول في دعائه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

• وها هم عباد الله الصالحون يقولون في دعائهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

• وها هو رسولنا ﷺ يضرب لنا مثلاً أعلى في الاستغفار وفي كثرة الاستغفار بعد أن أمره الله تبارك وتعالى بالاستغفار فقال له سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ [محمد: ١٩]. فكان ﷺ يكثر من الاستغفار.

• يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: «**رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم**»)[(١)]. رسولنا الكريم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول في المجلس الواحد: «**رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم**»، ويقول ﷺ: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[(٢)].

عباد الله! **هنا سؤال مهم وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يكثرون من الاستغفار؟

فلنستمع لنتشبه بهم، ولنتصف بصفاتهم، ولنعمل أعمالهم؛ لنكون معهم في الجنة يا من تريدون الجنة.

أولاً: لأن الله أمرهم بالاستغفار، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، فالله أمرهم فما كان عليهم إلا أن قالوا: سمعنا وأطعنا، وأكثروا من الاستغفار، فهم بعد المعصية يستغفرون الله، وبعد الطاعة يستغفرون الله.

ثانياً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لما أمرهم بالاستغفار وعدهم بأن يغفر لمن استغفرهُ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

الله الله يا أمة الإسلام! أيها العاصي أما تستمع إلى هذه الآية؟!

---

(١) **صحيح**: د: (١٥١٦)، ت: (٣٤٣٤)، هـ: (٣٨١٤)، حم: (٢/ ٢١)، حب: (٩٢٧)، خد: (٦٢٧)، طس: (٦/ ٢٣١)، ش: (٦/ ٣٤)، [«س. ص» (٢٥٥٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٩٤٨).

فمن الذي يمنعك يا آكل الربا من أن تقلع عن الربا وتستغفر الله؟! استغفر الله يا عبد الله تجد الله غفوراً رحيماً، وأنت أيتها المتبرجة ما الذي يمنعك من أن تقلعي عن التبرج وتستغفري الله لتجدي الله غفوراً رحيماً، وأنت يا تارك الصلاة ما الذي يمنعك من أن تداوم على الصلاة وتستغفر الله لتجد الله غفوراً رحيماً؟ ما الذي يمنعك من التوبة أيها المذنب ـ أيّاً كان ذنبك ـ، فمن استغفر من ذنبه ـ مهما كان كبيراً ـ وجد الله غفوراً رحيماً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، أي: ذكروا الوقوف بين يدي الله، وذكروا بأن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب، فمتى تستغفر يا ابن آدم؟ أتنتظر أن ينزل بك ملك الموت لتقول وقتها: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، فيقال لك: كلا.

عباد الله!

• يقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**»(١)، نداء من رب العالمين: يا شارب الخمر، يا آكل الربا، يا أيتها المرأة المتبرجة، يا كذاب، يا تارك الصلاة، يا أيها المفسد بين الناس، يا أيها المفسد في الأرض! تب إلى الله، استغفر الله، واستجب لنداء الله.

• ويقول رب العزة في الحديث القدسي الآخر: «**يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أُبالي**»(٢). ماذا تقول لربك يوم القيامة بعدما بلغك هذا النداء أيها العاصي؟ ما الذي منعك من أن تقول: أستغفر الله؟! ما الذي منعك من أن تقلع عن الذنب؟ إياك أن تستغفر ربك وأنت قائم على الذنب وتعتبر أن هذه توبة! لا، فإن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).

(٢) **حسن**: ت: (٣٥٤٠)، طس: (٤/ ٣١٥)، حل: (٢/ ٢٣١) [«ص. ج» (٤٣٣٨)].

هذه هي توبة الكذَّابين، بل إن استغفارك هذا يحتاج إلى استغفار فأقلع عن الذنب أولاً، يقول ﷺ: «**إن عبداً أصاب ذنباً ـ وربما قال: أذنب ذنباً ـ فقال: ربِّ أذنبت ـ وربما قال: أصبت ـ فٱغفر لي. فقال ربه: أَعَلِمَ عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً ـ أو أذنب ذنباً ـ فقال: ربِّ أذنبت ـ أو أصبت ـ آخر فاغفره. فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً ـ وربما قال: أصاب ذنباً ـ قال: قال: ربِّ أصبت ـ أو قال: أذنبت ـ آخر فاغفره لي فقال: أَعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ـ ثلاثاً ـ فليعمل ما شاء**»(١).

• والمعنى أن العبد ما دام يذنب بدون قصد أو يذنب بجهل ثم يستغفر ربه صادقاً من قلبه فإِنَّ الله يغفر له، فماذا تنتظر يا عبد الله؟. أيشك أحدكم أن المطر منع عنا بسبب الذنوب؟ أما ترون المعاصي في منتصف الليل وفي وضح النهار؟ فما الذي يمنعنا من أن نتوب إلى الله وأن يقلع كل منا عن ذنبه، ويستغفر ربه، ليجد الله غفوراً رحيماً!؟ فلا تنسوا أن أهل الجنة هم ممن أكثروا من الاستغفار لأنهم قد علموا وأيقنوا أنه لا يغفر الذنوب إلا الله.

ثالثاً: أهل الجنة أكثروا من الاستغفار في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أن الاستغفار طريق موصلٌ إلى الجنة، يقول ﷺ: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو**

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٦٨)، م: (٢٧٥٨).

موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[(١)].

رابعاً: أهل الجنة أكثروا من الاستغفار في هذه الدنيا، لأنهم قد علموا أن الاستغفار طريق للحصول على خيرات الدنيا، أتريد مالاً في الدنيا؟ إذاً عليك بالاستغفار، أتريد صحة؟ إذاً عليك بالاستغفار، أتريد أولاداً؟ إذاً عليك بالاستغفار، أتريد أنهاراً وبساتينَ؟ إذاً عليك بالاستغفار، يقول رب العزة على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٣].

جاء رجل إلى الحسن البصري يشتكي قلة المطر فقال له: عليك بالاستغفار، وجاءه رجل آخر يشتكي قلة الولد فقال له الحسن البصري: عليك بالاستغفار، وجاء رجل آخر يشتكي المرض فقال له: عليك بكثرة الاستغفار.

فيا عباد الله بأيدينا أن نستغفر الله عز وجل فيفتح علينا أبواب السماء، وينزل الأمطار، ويرحمنا رب العزة ويدفع عنا العذاب.

● وذلك لأن الاستغفار سبب من الأسباب التي يُرفع بها العذاب، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

أمة الإسلام! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها كثرة الاستغفار.

فأهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا إذا أذنبوا ذنباً استغفروا الله، وإذا فعلوا طاعة استغفروا الله كما وصفهم ربنا في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. وقال تعالى عن حالهم بعد الطاعة: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٩٤٧).

يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، فهم يستغفرون الله بعد الذنب ليغفر لهم، ويستغفرون الله بعد الطاعة ليغفر لهم تقصيرهم في الطاعة، فمن منا الذي يؤدِّي العبادة كما أَرادَ الله؟!.

• ولذلك لما أمرنا الله بالاستقامة أمرنا بالاستغفار لأنه يعلم أن العبد سيقصر في طاعة ربه، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [فصلت: ٦].

• وتجد في كتاب ربنا أن الله تعالى بعد أن أمر عباده بالأعمال الصالحة أمرهم بالاستغفار بعد ذلك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [المزمل: ٢٠].

• ولذلك شُرع بعد الوضوء أن يستغفر العبد ربه، والوضوء طاعة وعمل صالح فإن العبد يقول بعد أن يتوضأ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**»[1]، «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**»[2].

• ومشروع بعد الانتهاء من صلاة الفريضة أن يستغفر المصلي ربه، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ: «إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»، قيل للأوزاعي ـ وهو أحد رواته ـ: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله[3].

• ومشروع بعد الإفاضة من عرفات ـ وأنت في مناسك الحج ـ أن تستغفر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ** وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [البقرة: ١٩٩].

---

(١) **صحيح**: ت: (٥٥)، طس: (٥/ ١٤٠)، [«ص. ج» (٦١٦٧)].
(٢) **صحيح**: ك: (١/ ٧٥٢)، طس: (٢/ ١٢٣)، [«ص. غ. هـ» (٢٢٥)].
(٣) **صحيح**: م: (٥٩١).

• ومشروع بعد قيام الليل إذا جلست في السحر أن تستغفر الله ﷻ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

فيا أمة الإسلام: أكثروا من الاستغفار، واطلبوا من الله المغفرة، فإننا إذا استغفرنا غفر الله لنا وأرسل السماء علينا مدراراً، وإذا بقينا على المعاصي فإن المعاصي سبب لنزول العذاب ومنع المطر، وإن استغفرنا وتبنا، وأقلع كل منا عن المعاصي، أرسل الله السماء علينا مدراراً وأمددنا بأموال وبنين وأكرمنا ونصرنا على أعدائنا.

فيا أمة الإسلام! توبوا إلى الله، واستغفروه تجدونه غفوراً رحيماً، فهو سبحانه وتعالى ينادي عليكم: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**»[١].

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).



صفات أهل الجنة

٢٨ ـ كثرة الصيام

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من سكانها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثامنة والعشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «كثرة الصيام».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يكثرون من الصيام وبذا فازوا بجنة عرضها السموات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

عباد الله! وصف ربنا أهل الجنة بأنهم كانوا يكثرون من الصيام وهم في هذه الدنيا.

هنا سؤال مهم وهو:

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يكثرون من الصيام؟

الجواب ـ أولاً: لأنهم علموا أن الصيام طريق موصلٌ إلى الجنة، قال ﷺ: «**إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل**

منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد»(١). وقال ﷺ: **«ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريَّان»**(٢). وقال ﷺ لحذيفة بن اليمان: «**يا حذيفة من ختم له بصيام يوم يريد به وجه الله** ﷻ **أدخله الله الجنة»**(٣).

ثانياً: أهل الجنة كانوا يكثرون من الصيام في هذه الدنيا؛ لأنهم علموا أن الصيام يبعد صاحبه من نار جهنم، يقول ﷺ: «**ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»**(٤)، وقال ﷺ: «**من صام يوماً في سبيل الله** ﷻ **باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام»**(٥)، وقال ﷺ: «**من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض»**(٦).

ثالثاً: أهل الجنة كانوا يكثرون من الصيام في هذه الدنيا، لأنهم علموا أن الخير كله في الصيام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله مُرني بأمرٍ ينفعني الله به، فقال ﷺ: «**عليك بالصيام فإنه لا مثل له»**(٧)، وقال رب العزة في الحديث القدسي: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة»**(٨).

---

(١) **صحيح**: خ: (١٧٩٧)، م: (١١٥٢).

(٢) **صحيح**: خ: (١٧٩٨)، م: (١٠٢٧).

(٣) **صحيح لغيره**: حم: (٥/٣٩١)، حل: (٥/٢٠٨)، [«ص. غ. هـ» (٩٨٥)].

(٤) **صحيح**: خ: (٢٦٨٥)، م: (١١٥٣).

(٥) **حسن**: ن: (٢٢٥٤)، طب: (١٧/٣٣٥)، عب: (٥/٣٠١)، طس: (٣/٣٠٩)، ع: (٣/٣٠١)، [«ص. ج» (٦٣٣٠)].

(٦) **صحيح**: ت: (١٦٢٤)، طب: (٨/٢٣٥)، طس: (٤/٤٦)، طص: (١/٢٧٣)، ش: (٤/٢١٤)، [«ص. ج» (٦٣٣٣)].

(٧) **صحيح**: ن: (٢٢٢١)، حم: (٥/٢٤٩)، خز: (٣/١٩٤)، حب: (٨/٢١٣)، طب: (٨/٩١)، هق: (٤/٣٠١)، [«ص. غ. هـ» (٩٨٦)].

(٨) **صحيح**: خ: (١٨٠٥)، م: (١١٥١).

أي: الصيام يقيك من الوقوع في المعاصي وأنت في هذه الدنيا، ويقيكَ من نار جهنم يوم القيامة، ولذلك لما أمر رسول الله ﷺ الشباب بالزواج فقال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ... ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[(١)]، أي: أن الصيام يقيهم من الوقوع في فاحشة الزنا.

عباد الله! وقال ﷺ: «**للصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه**»[(٢)].

رابعاً: أهل الجنة كانوا يكثرون من الصيام في هذه الدنيا لأنهم علموا أنه سبب لتكفير الذنوب والخطايا، يقول ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٣)]، (وسئل ﷺ: عن صوم يوم عرفة؟ قال: «**يكفِّرُ السنة الماضية والباقية**»، وسئل ﷺ: عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: «**يُكفّرُ السنة الماضية**»)[(٤)].

خامساً: أهل الجنة كانوا يكثرون من الصيام، ليتحصلوا على التقوى، وما فرض الله علينا الصيام إلا لنتحصل على زاد التقوى، فالصيام يورث التقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]. وهذا ما ينقصنا في هذا الزمان الذي غابت فيه التقوى عن قلوبنا فحُرِمنا بذلك عِزَّ الدنيا وثواب الآخرة إلا من رحم ربي.

فالتقوى هي زادك في هذا السفر الطويل إلى الله: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ولسان حالنا يقول: تزودوا فإن خير الزاد المال! فإن خير الزاد المنصب! تزودوا فإن خير الزاد كثرة الأولاد.!

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٧٨)، م: (١٤٠٠).
(٢) **صحيح**: خ: (٧٠٥٤)، م: (١١٥١).
(٣) **صحيح**: خ: (١٨٠٢)، م: (٧٦٠).
(٤) **صحيح**: م: (١١٦٢).

ابن آدم! تزود من التقوى فالعمر قليل، والأيام تمر بسرعة، بالأمس القريب ودَّعنا رمضان، وغداً أو بعد غد نستقبل رمضان، وهكذا ينقضي العمر، وتمر الأيام!.

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شاعل
ترحَّل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائل

ابن آدم! تزود من التقوى فالموت يأتي بغتة.

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسي ويصبح ضاحكاً ... وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

ابن آدم! تزود من التقوى قبل أن تندم.

عَلَيْكَ بما يُفِيْدُكَ في المَعَادِ ... وتَنْجُو بِهِ يَوْمَ التَّنَادِ
فما لكَ ليسَ ينفعُ فيكَ وعظٌ ... ولا زجرٌ كأنَّكَ مِنْ جمادِ
ستندمُ إنْ رحَلْتَ بغيرِ زادٍ ... وتَشْقَىٰ إذْ يُنَادِيْكَ المنادي
فلا تَفْرَحْ بمالٍ تقتنيهِ ... فإنَّ المالَ يُجْمَعُ للنفادِ
أترضىٰ أنْ تكونَ رفيقَ قومٍ ... لهمْ زادٌ وأنْتَ بغيرِ زادِ؟!

أمة الإسلام! ما الذي أصابنا؟ هل عُدِمنا الإحساس حتى أصبحنا لا نتأثر بكلام ربنا ولا بكلام رسولنا ﷺ؟! نعم، مع الأسف فإن هذا حالنا والأيام المقبلة حُبلى بما لا يحمد عقباه، وستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله، لكن تذكروا أن أهل الجنة وهم في الدنيا صاموا ليتزودوا بزاد التقوى لسفرهم الطويل إلى رب العالمين.

عباد الله! بالصيام يتحصل الإنسان على التقوى، وبالتقوى يصبح من أكرم الناس عند الله، فإذا أردت أن تكون كريماً عزيزاً فعليك بالتقوى فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. واعلم أن المنصب والجاه والسلطان لا يجعلك عند الله عظيماً إذا لقيت الله بدون تقوى.

إننا يا عباد الله إذا تركنا الصيام وبارزنا الله ﷻ بالمعاصي حرمنا التقوى، وإذا حرمنا التقوى هُنّا على الله وهنّا على أعدائنا، وسلط الله علينا الأمم تتداعى علينا كما تسمعون وتقرءون والكفر ملة واحدة، فهذا كافر يضرب، وهذا كافر يعترض، وكأنها مسرحية يريدون بها أن يلقوا الرعب في قلوب المسلمين! وكأنهم يقولون لنا: احذروا فإننا في أي لحظة قادرون على أن نقضي عليكم، ونحن لا ندري ماذا نفعل حتى نسينا أن نلتجىء إلى الله، ونسينا أن ما أصابنا إنما هو ببعدنا عن الله. ونسينا أن رسولنا الكريم ﷺ أخبرنا بما نعيشه اليوم فقال: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»(١)، أما ينطبق هذا على المسلمين اليوم؟! إنهم بالملايين لكنهم يحملون اسم الإسلام وهم غثاء، أتدرون لم؟ لأنهم لا يحملون عقيدة التوحيد الصافية في قلوبهم! لأنهم لا يعتقدون أن النصر من عند الله! لأنهم لا يعتقدون أنهم إذا رجعوا إلى الله أنزل الله ملائكةً من السماء تقاتل معهم!

أصبحت قلوبنا وأنظارنا تترقب الشرق والغرب! ماذا ستقول أمريكا وماذا سترد عليها روسيا! إما أن نكون مع أمريكا وإما أن نكون مع روسيا وإلا أصابنا الذل والهوان!! ويوم أصبحنا نقول: نحن مع أمريكا ونحن

---

(١) **صحيح**: د: (٤٢٩٧)، حم: (٥/ ٢٧٨)، لس: (٩٩٢)، ش: (٧/ ٤٦٣)، هب: (٧/ ٢٩٧)، [«س. ص» (٩٥٨)].

مع روسيا أذلنا الله، لأننا نسينا أن نقول: نحن مع الله رب العالمين، ونسينا أن نقول: إن النصر من عند رب العالمين!!.

إن المسلمين كانوا يُنْصرون بالرعب الذي يصب على أعدائهم، أما اليوم فهذا الرعب قد نزع من قلوب الأعداء حتى لقد استهانوا بنا! وهم يتكلمون كما يشاءون، ويضربون من يشاءون في أي وقت يشاءون، فلِمَ نزع الرعب من قلوب أعدائنا؟ السبب هو ما أخبرنا الرسول ﷺ: «حب الدنيا وكراهية الموت»، أي: إذا أحببنا الدنيا وكرهنا الموت في سبيل الله سلط الله علينا الأمم، ونحن اليوم نحب الدنيا أكثر من الآخرة بل وأكثرُنا لا يحب أن يموت شهيداً في سبيل الله، وإذ أحببنا الدنيا وكرهنا الموت في سبيل الله نزل علينا ما نحن فيه من الذل، يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١).

اسمعوا إلى ما يُقال اليوم في مجالس المسلمين فكلٌ يُدْلي بدلوه، وكلٌ يتكلم، وكل يقول! ولا يدري أَن هذا الذي نزل بنا من اعتداء الاعداء علينا إنما هو بسبب بعدنا عن ديننا، فمتى يُرفع هذا الذل عنا؟ ومتى نقول لأمريكا: لا؟ ومتى تكون لنا العزة؟ الجواب: يقول ﷺ: «حتى ترجعوا إلى دينكم»، فاحذروا يا عباد الله من المنافقين، ومن الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وزنوا الأمور بميزان الكتاب والسنة، واثبتوا لأن أكثر ما تسمعون كذب وافتراء، وأنت لا تدري الآن أن ما تسمعه من الطرفين صحيح أم غير صحيح، فالتجىء إلى الله حتى إذا نزل بك الموت مت على التوحيد وعلى الطاعة، فتبعث يوم القيامة على ما مت عليه فإن فاتتك الدنيا فلا تخسر الآخرة، إياكم أن تخسروا الدنيا والآخرة، فأهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا يحرصون على أن

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، حم: (٢/ ٤٢)، هق: (٥/ ٣١٦)، حل: (٥/ ٢٠٩)، [«س. ص» (١١)].

يتحصلوا على التقوى؛ لأن التقوى بها تنزل البركات من السماء، وتخرج من الأرض، ولقد حُرِمْنَا بركات السماء وحُرِمْنَا بركات الأرض بسبب معاصينا قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾. ثم توعدنا ربنا جل وعلا فقال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٦ ـ ٩٩]. ولعل الناس يقولون: لم لم ينزلْ المطر؟ فنقول للكبير والصغير، والذكر والأنثى، والجاهل والمتعلم إن السبب هو المعاصي.

فيا أمة الإسلام: إننا اليوم وفي بلاد المسلمين من قال (لا إله إلا الله) وتمسك بدينه وضع في السجون، وصُب على رأسه العذاب صباً! أما الذي يُغني ويرقص ويطبل فإنه يُكرم، أمة تربت على المعاصي، أمة نسيت ربها فسلط عليهم عدوهم، أعرفتم لم لم ينزل المطر؟ إنها المعاصي. أعرفتم لم هذا الذل الذي نحن فيه؟ إنها المعاصي.

وها هو رسولنا ﷺ يخبر ويحذر من أمور إن وقعت وإن فعلناها نزل بنا ما نراه اليوم يقول ﷺ: «**يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجُور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**»(١).

---

(١) **حسن**: هـ: (٤١٠٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، هب: (٣/ ١٩٦)، حل: (٨/ ٣٣٣)، [«س. ص» (١٠٦)].

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: كثرة الصيام، وها نحن يا عباد الله غداً أو بعد غد نستقبل ضيفاً كريماً عزيزاً علينا ألا وهو شهر رمضان، إنه موسم رابح للتجارة، وموسم للتقوى فتزوَّدوا منه بالتقوى؛ لتعود لنا العزة لتعود لنا الكرامة، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

أمة الإسلام! عودوا إلى الله، وابدءوا عهداً جديداً مع ربكم في هذا الشهر المبارك.

• فهو شهر نزل فيه القرآن، وهو شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وهو شهر من صامه غُفر له ما تقدم من ذنبه، قال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

• إنهُ شهر من قامه أي: صلى صلاة القيام فيه، غفر ما تقدم من ذنبه، قال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).

• وإن في هذا الشهر ليلة خير من ألف شهر من قامها غفر له ما تقدم من ذنبه، فهو شهر مبارك، وموسم رابح، فصوموا نهاره، وقوموا ليله، واحرصوا على ليلة القدر منه، وأنفقوا فيه من أموالكم، وتصدقوا على الفقراء والمساكين، وأطعموا فيه الطعام، وأخرجوا فيه الزكاة؛ لتتحصلوا على التقوى ولعل الله ﷻ أن يصلح أحوالنا، ولعله سبحانه أن يرحمنا فينزل علينا المطر، ولعله ﷻ أن يحفظ أطفالنا ونساءنا وأعراضنا من كيد الكفار.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: خ: (١٨٠٢)، م: (٧٦٠).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٧)، م: (٧٥٩).



صفات أهل الجنة

٢٩ ـ الإكثار من الأَعمال الصالحة

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة التاسعة والعشرين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الإكثار من الأعمال الصالحة»**.

أمة الإسلام! يخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يكثرون من الأعمال الصالحة، ويتنافسون فيها، ويسارعون إليها، وبذلك فازوا بجنة عرضها السموات والأرض. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء: ٥٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧، ٨].

عباد الله! **وهنا سؤال نود أن نجيبكم عنه ألا وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يكثرون من الأعمال الصالحة؟

الجواب ـ أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم في كتابه أن يعملوا صالحاً،

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ثانياً: أهل الجنة كانوا يكثرون من الأعمال الصالحة في هذه الدنيا لأنهم علموا أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة، يقول الله ﷻ: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠].

ثالثاً: أهل الجنة كانوا يسارعون إلى الأعمال الصالحة في هذه الدنيا، لأنهم علموا أن الأعمال الصالحة سبب للحياة الطيبة، فالله ﷻ ربط الحياة الطيبة بالأعمال الصالحة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

رابعاً: أهل الجنة كانوا يكثرون من الأعمال الصالحة، في هذه الدنيا لأنهم علموا أنها سبب للتمكين في الأرض، وسبب للنصر على الأعداء، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

خامساً: أهل الجنة كانوا يسارعون إلى الأعمال الصالحة في هذه الدنيا لأنهم قد علموا أن الأعمال الصالحة تحمي صاحبها من الخسران المبين، فالله ﷻ أقسم في كتابه بالعصر أن بني الإنسان كلَّهم في خسران

مبين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. فالإنسان الذي يعمل الصالحات هو الذي ينجو من الخسران المبين، فانظروا يا عباد الله؛ إذا جاء يوم القيامة، ووقف العبد على الميزان لوزن الأعمال فمن سيكون الرابح؟ ومن سيكون الخاسر؟ فاختر لنفسك يا عبد الله ما تشاء، واعلم أن الذي عمل صالحاً ومات على الأعمال الصالحة ثم جاء يوم القيامة بعمل صالح كان هو الرابح، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: بالأعمال الصالحة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: بقلة الأعمال الصالحة وكثرة المعاصي ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦﴾ [الزمر: ١٥، ١٦].

سادساً: أهل الجنة كانوا مقبلين على الأعمال الصالحة لأنهم علموا أن الأعمال الصالحة تحمي صاحبها من الفتن المظلمة، والإنسان في هذه الدنيا معرضٌ لفتن كقطع الليل المظلم، وها نحن في هذا الزمان العجيب نتعرض لفتن الحليم فيها حيران، والإنسان لا يدري من يُصَدِّقُ ولا مَنْ يُكَذِّب! هذه الفتن التي تموج بالناس موجاً النجاة منها تكون بالإقدام على الأعمال الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥]. فهذه الفتن قد أمرنا الله ﷻ أن نتقيها بالأعمال الصالحة، بالاستجابة لله وللرسول، ولذلك يقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال** ـ أي: بالأعمال الصالحة ـ **فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه**

بعرض من الدنيا»[(١)].

سابعاً: أهل الجنة كانوا يكثرون من الأعمال الصالحة؛ لأنهم علموا أن العمر محدود، وأن الإنسان إذا خرج من الدنيا بدون عمل صالح ندم عند الموت وندم يوم القيامة.

فانظروا إلى المفرط الذي فرط في الأعمال الصالحة كيف يندم عند الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ يقال له ﴿كَلَّآ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]. ٱبن آدم! ٱحذر أن تكون ممن يقول: رب ارجعون لعلي أصوم، رب ارجعون لعلي أُصلي، رب ارجعون لعلي أُزكي، رب ارجعون لعلي أحجب امرأتي وابنتي، رب ارجعون لعلي أَترك الربا فإنه سيقال لك: كلا، لأنك يومها تكون قد خرجت من دار العمل إلى دار الحساب، فوالله إن كثيراً من الأموات في هذا الزمن يقولون: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً ويقال: لهم كلا.

• ويوم القيامة إذا وقف المفرطون على أبواب جهنم تمنوا الرجوع إلى الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

• وإذا ما سكنوا جهنم فاسمعوا ما يقولون وماذا يطلبون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي: في جهنم ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

ثامناً: أهل الجنة كانوا مقبلين على الأعمال الصالحة؛ لأنهم علموا أن الأعمال الصالحة سبب لنزول الرحمة، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ

(١) **صحيح**: م: (١١٨).

وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ١٠، ١١].

فيا عباد الله! الأعمال الصالحة سبب لنزول الرحمة، وسببٌ لنزول المطر، فإذا نحن حرمنا المطر فوالله إنَّ ذلك بسبب أعمالنا السيئة، وبسبب معاصينا.

أمة الإسلام! من كان منكم يريد الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: الإكثار من الأعمال الصالحة، والتنافس والتسابق إليها، واعلموا عباد الله أن الله ﷻ أخبرنا في كتابه أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

● واعلموا عباد الله أن الله ﷻ لم يُسَوِّ بين الصالح والطالح، ولا بين الذين يعملون الحسنات وبين الذين يعملون السيئات، فالله ﷻ يقول: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]. أيظن الذين يعملون السيئات، ويرتكبون المعاصي، ويفطرون رمضان في وضح النهار أن نسوي بينهم وبين الصائمين القائمين؟! ساء ما يحكمون؛ لأن الذين يعملون الصالحات في الدنيا يعيشون حياة طيبة، والذين يعملون السيئات في الدنيا يعيشون في ضنك في هذه الحياة الدنيا ولهم عذاب يوم القيامة. فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٤، ٧٥].

عباد الله! ها نحن في موسم من مواسم الأعمال الصالحة ألا وهو شهر رمضان، فيه يتنافس المتنافسون، ويتسابق المتسابقون إلى أعمال

الخير والبر، فأقبلوا على ربكم واعملوا صالحاً فإن الله بما تعملون بصير، وسابقوا إلى ربكم، وتنافسوا في الأعمال الصالحة، فصوموا نهار هذا الشهر، وقوموا ليله، وتصدقوا من أموالكم، وزكوا أموالكم، وأدخلوا السرور على الفقراء يا معشر الأغنياء، وأفضل ما تتقربون به إلى الله هو ما افترض عليكم، وتحببوا إليه سبحانه وتعالى بكثرة النوافل، جاء رجل فقال: يا رسول الله، من أحب الناس إلى الله؟ وما أحب الأعمال إلى الله؟ ـ وهذا يسأل عن أحب الناس إلى الله ليكون منهم، ويسأل عن أحب الأعمال إلى الله ليقوم بفعلها ـ فقال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله** عز وجل: **سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً**»[1].

عباد الله لا تنسوا أنكم سترحلون من هذه الدنيا، وستقفون بين يدي الجبار يوم القيامة يسألكم عن هذه الأموال من أين اكتسبتموها؟ وفيم أنفقتموها؟ فأعدوا لهذا السؤال جواباً.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **حسن لغيره**: طب: (١٢/ ٤٥٣)، طس: (٦/ ١٣٩)، طص: (٢/ ١٠٦)، [«ص. غ. هـ» (٢٦٢٣)].



صفات أهل الجنة

٣٠ ـ الحرص على إخراج الزكاة

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من سكانها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثلاثين من صفات أهل الجنة ألا وهي «الحرص على إخراج الزكاة».**

أمة الإسلام! يخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة الذين كانوا أغنياء في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يحرصون على أن يزكوا أموالهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ ـ إلى أن قال ربنا جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

عباد الله! **لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يزكون أموالهم؟**

الجواب ـ أولاً: لأن الله ﷻ فرض عليهم الزكاة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال تعالى آمراً بالزكاة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ [التوبة: ٦٠]. وعدَّ رسول الله ﷺ الزكاة من أركان الإسلام، فقال ﷺ: **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن**

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان»(١). وعندما أرسل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**(٢).

ولذلك فإن من أنكر الزكاة وجحدها فهو كافر خارج عن ملة الإسلام يحل دمه وماله وعرضه وإن مات لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

ثانياً: أهل الجنة كانوا يخرجون الزكاة؛ لأنهم قد علموا أن الزكاة طريق موصلٌ إلى الجنة وبما أنهم كانوا حريصين على الجنة أخرجوا الزكاة ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩]، فهم أخرجوا حق السائل والمحروم ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٥، ٧٦]، أي: زكى نفسه وزكى ماله.

ثالثاً: أهل الجنة وهم في الدنيا أخرجوا الزكاة؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن إخراج الزكاة سبب لنزول الرحمة عليهم، فرحمة الله ﷻ تنزل

---

(١) **صحيح**: خ: (٨)، م: (١٦).

(٢) **صحيح**: خ: (١٤٢٥)، م: (١٩).

على الذين يخرجون الزكاة، ورحمة الله ﷻ تُصْرف عن الذين يمنعون الزكاة، لتعلموا من هذا أن الله ﷻ قد حرمنا المطر لأن كثيراً من الأغنياء منعوا الزكاة، وحتى الذين يزكون أموالهم وضعوا أموالهم هذه في البنوك الربوية وأخذوا يزكون أموالهم مِنْ الربا ويظنون أنهم بذلك قد أخرجوا الزكاة! لا والله بل إنهم قد عصوا الله بمال الله فحرمنا الله المطر.

والله يا أمة الإسلام إن لم تعودوا إلى الله، وتتوبوا إلى الله، وتؤدوا زكاة أموالكم فسيأتي اليوم الذي لا تجدون فيه ماءً تشربونه يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

يا من يمنعون الزكاة! يقول ﷺ: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**»[(١)].

رابعاً: أهل الجنة كانوا يخرجون الزكاة في هذه الدنيا؛ لأنهم قد علموا وأيقنوا أن إخراج الزكاة سبب للتمكين في الأرض، وسبب للنصر والعزة والسيادة، وسبب لأن ترجع أراضي المسلمين التي سلبها الكفار، يقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

خامساً: أهل الجنة كانوا يخرجون الزكاة، ليطهروا أنفسهم ليطهروا أموالهم، فيا من تظنون أن المال ينقص بإخراج الزكاة! والله إن المال يزكو ويطهر بأخراجها، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ويقول ﷺ: «**ما نقص مال عبدٍ من صدقة**»[(٢)].

---

(١) **حسن:** تقدم تخريجه ص٤٨٣.

(٢) **صحيح:** ت: (٢٣٢٥)، حم: (١/ ١٩٣)، طب: (٢٢/ ٣٤١)، طس: (٢/ ٣٧٤)، طص: (١/ ١٠٢)، ع: (٢/ ١٥٩)، بز: (٣/ ٢٤٣) [«ص. ج» (٣٠٢٤)].

أيها الغني إنك بأدائك للزكاة تطهر نفسك من الشح والبخل، وتطهر المال بإخراج حق الفقير منه. أيها الغني! هذا القدر من المال وضعه الله عندك ثم أمرك بإخراج جزءٍ منه للفقير، والله قادر أن يعطي هذا المال للفقير ويحرمك أنت! فإذ أعطاك سبحانه وتعالى هذا الجزء من المال وأمرك أن تطيعه وأن تخرج هذا الحق المعلوم من مالك إلى الفقير ابتلاء منه ـ سبحانه وتعالى ـ لك وامتحاناً، فاْعلم أنك إن فعلت ما أمرت به تكون قد استجبت لأمر الله وفُزت في الدنيا والآخرة، فمن أخرج زكاة ماله طهر نفسه وزكاها، والله ﷻ يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، ويقول ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»(١).

سادساً: أهل الجنة وهم في الدنيا أخرجوا زكاة أموالهم، خوفاً من عذاب الله، فالله ﷻ أعد لمانعي الزكاة عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: فإن مانع الزكاة يعيش حياة الضنك؛ فلا يعرف الطمأنينة ولا الراحة، وينفق ماله عند الأطباء وفي المستشفيات لم؟ لأنه منع الزكاة، وحرم الفقراء، فحرمه الله سبحانه وتعالى طعم الحياة، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٨ ـ ١٠]. فحياته كلُّها عُسْر، لا يشعر بطعم الحياة، ولا بطمأنينة الحياة، وإنما هو في فقر حتى وإن ملك الدنيا من مشرقها إلى مغربها؛ ذلك لأن البخيل بالزكاة لا هم له إلا جمع المال فهو يعذب في الدنيا بجمع المال، ويعذب عند الموت بفراقه لهذا المال، ويعذب يوم القيامة إذا وقف بين يدي الله ﷻ فسأله عن هذا المال من أين اكتسبه؟ وفِيْمَ أنفقه؟

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

ومن عذاب الدنيا أيضاً: أن نهاية مانع الزكاة إن أصر على منعه هذا ابتلي بالنفاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧]. فيا مانع الزكاة إنك تسير في طريق يوصلك إلى النفاق، وإن أصبحت منافقاً خسرت الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

أما عذاب الآخرة: فإن كنت يا مانع الزكاة ممن يملكون الألوف من الدنانير فاعلم بأن هذا المال، وهذه الألوف والملايين ستتحول يوم القيامة إلى ثعبان أقرع ـ حية كبيرة ـ تأخذك بشدقيها تعذبك، وتنتقم منك تقول لك: أنا مالك، أنا كنزك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ويفسر لنا رسول الله ﷺ ذلك فيقول: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه ـ يعني بشدقيه ـ يقول: أنا مالك، أنا كنزك**، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾»(١).

فاحذر أيها الغني! أن يتحول هذا المال إلى عدو يعذبك يوم القيامة، يقول لك ـ وهو يعذبك ـ: أنا مالك، أنا الألوف المؤلفة التي تركتها أيها الغني في البنوك، أنا كنزك الذي تركته وخرجت من الدنيا ففعل فيه أولادك العصاة ما فعلوا! فيا مانعي الزكاة، ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

• وإن كان الإنسان صاحب ذهب وفضة ولم يؤد زكاته تحول ماله هذا يوم القيامة إلى صفائح من نار يحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٨٩).

جبينه وجنبه وظهره، هذا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد، ثم ينظر الله في شأنه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

ويفسر لنا ذلك رسول الله ﷺ فيقول: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**». قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «**ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ـ ومن حقها حلبها يوم وردها ـ إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رُدَّ عليه أُخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»(١) وكذلك الحال بالنسبة لأصحاب الغنم أو البقر أو الخيل، فتنبهوا يا من بخلتم بالخير على أنفسكم.

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: إخراج الزكاة.

عباد الله! أما زكاة الفطر فحكمها أَنها واجبة على كل مسلم وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين)(٢). فزكاة الفطر واجبة على كل مسلم: صغير وكبير، ذكر وأنثى، حرٍ وعبدٍ.

---

(١) **صحيح**: م: (٩٨٧) انظر الحديث بتمامه.

(٢) **صحيح**: خ: (١٤٣٢)، م: (٩٨٤).

حكمتها: الحكمة من إخراج زكاة الفطر على الصائم؛ أنها طهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة ـ أي: صلاة العيد ـ فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)(١).

وقتها: يكون إخراجها في نهاية رمضان، وقبل صلاة العيد، كما جاء في حديث ابن عباس فمن أخرجها قبل صلاة العيد فهي زكاة ومن أخرجها بعد صلاة العيد فهي صدقة.

مقدارها: صاعٌ من تمر، أو صاعٌ من شعير، أو صاعٌ من زبيب، أو صاعٌ من أقط، أو صاعٌ من قوت البلد.

وهناك سؤال يتردد علينا كثيراً وهو:

هل يجوز للمسلم أن يخرج زكاة الفطر نقداً للفقراء؟

اختلف العلماء في ذلك فهناك من ذهب إلى الجواز كأبي حنيفة، لكن جمهور العلماء ذهب إلى عدم الجواز**!**، أي: قالوا: إنه لا يجوز للمسلم أن يخرج زكاة الفطر نقداً للفقراء، حتى قال بعض العلماء: لو أخرج المسلم ألف دينار ـ أي: زكاة الفطر ـ ولم يخرج زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من طعام لم تقبل منه حتى يخرج صاعاً من طعام، وهذا هو القول الراجح، وهذا هو الصحيح؛ للأحاديث التي سمعتموها سابقاً كحديث ابن عمر: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير...)(٢) ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

فلا يجوز للمسلم أن يخرج زكاة الفطر دنانير إلى الفقراء في الشوارع أو حتى إلى الفقير في بيته وإنما عليه أن يلتزم بإخراجها طعاماً.

---

(١) **حسن**: د: (١٦٠٩)، هـ: (١٨٢٧)، ك: (١/٥٦٨)، قط: (٢/١٣٨)، هق: (٤/١٦٢)، [«ص. غ. هـ» (١٠٨٥)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٤٣٢)، م: (٩٨٤).

والصاع: يا عباد الله يقدر (باثنين كيلو) تقريباً أو أقل بقليل، فقدِّر ذلك عن كل فرد من أفراد الأسرة وأخرج عن كل واحد منهم (كيلوين ٱثنين) إلى الفقراء.

اللهم فقهنا في ديننا

❊ ❊ ❊



صفات أهل الجنة

٣١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من سكانها.

عباد الله! ومَوعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الحادية والثلاثين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

عباد الله! يخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فلما فعلوا ذلك فازوا بجنة عرضها السموات والأرض، يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢]. فوعد الله ﷻ الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بجنة عرضها السموات والأرض.

عباد الله! **وهنا سؤال مهم ألا وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟

الجواب ـ أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بذلك في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويقول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

ثانياً: أهل الجنة أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، لينجوا بذلك من عذاب الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥]. ذلك أن الناس يا أمة الإسلام إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عاقبهم الله، وأنزل بهم عذاباً، فيدعونه عند ذلك فلا يستجاب لهم، يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»(٢). فإذا تركنا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر عاقبنا الله ﷻ، والعقاب من الله يمكن أن يكون بمنع نزول المطر، أو بتسليط الكفار علينا، أو بمعيشة الضنك ثم إذا دعوناه عندها ورفعنا إليه أيدينا بالليل والنهار لا يستجيب لنا، لم؟ لأننا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فٱنظروا! الرجل في بيته يرى زوجته متبرجة فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر! الرجل في بيته يرى ابنه تاركاً للصلاة مفطراً في نهار رمضان ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر! الرجل منّا يرى جاره يشرب الخمر ويأكل الربا فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر! فلما فعلنا كل ذلك عاقبنا الله ﷻ بعقاب من عنده، فها نحن ندعوه فلا يستجاب لنا فهل عرفتم السبب يا عباد الله! إننا ندعوه: اللهم أغثنا وأنزل

---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

(٢) **حسن**: ت: (٢١٦٩)، حم: (٣٨٨/٥)، هب: (٨٤/٦)، هق: (٩٣/١٠)، [«ص. ج» (٧٠٧٠)].

علينا المطر فلا يستجاب لنا، والسبب: أننا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو أمطرنا الله ﷻ أمطرنا من أجل البهائم. كما قال ﷺ: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا**»(١).

إذن فنحن إن تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حل بنا العقاب، ونزل بنا العذاب من الله ﷻ، أتدرون لِمَ يا أمة الإسلام؟ لأننا إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثرت المعاصي، وإذا كثرت المعاصي، كثر الخبث، وانتشر الفساد في الأرض فينزل الهلاك والعذاب من رب العالمين على هذه الأمة، تقول زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**»، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»(٢).

نعم، إذا كثرت المعاصي، فرأينا المتبرجات أكثر من المحجبات، ورأينا الذين يفطرون رمضان أكثر من الذين يصومون، ورأينا الذين يذهبون إلى السينما أكثر من الذين يأتون إلى صلاة التراويح، ورأينا الذين يأكلون الربا أكثر من الذين يأكلون الحلال فحينئذٍ ينزل العذاب العام، وها هو الحرمان مِنَ المطر قد عمَّ الصالح والطالح، وسلط الله علينا أعداءنا فضربونا بأسلحتهم الفتاكة من أماكن بعيدة فنزلت على الصالح والطالح، وانتشرت الأمراض الخبيثة بين الناس فأصابت الصالح والطالح، ذلك لأنه إذا نزل العقاب من عند الله أخذ الصالح والطالح، لم؟ لأنه قد كثر الخبث، ولا يختلف اثنان في أنه قد كثر الخبث.

ويضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً للعقاب والهلاك العام الذي يحل

---

(١) **حسن**: تقدم تخريجه ص٤٨٣.

(٢) **صحيح**: خ: (٣١٦٨)، م: (٢٨٨٠).

بالعباد إذا ما ترك الصالحُ الطالحَ يعصي دون أن ينكر عليه، فيقول ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله** ـ وهذا هو الصالح ـ **والواقع فيها** ـ وهذا هو العاصي ـ **كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**»(١). فإذا تركنا العصاة يعصون الله بالليل والنهار هلكنا جميعاً، وإذا أمر كُلٌّ منا بالمعروف ونهى عن المنكر بقدر استطاعته نجونا جميعاً، فالعلاج والوقاية من العذاب في أيدينا، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

ثالثاً: أهل الجنة كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لينجوا من لعنة الله، فالله ﷻ يلعن الأمة إذا هم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ـ تعالى ـ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

نعم، إنهم لمّا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كثرت المعاصي، فلما كثرت المعاصي لعنهم الله، فقد كان الرجل من بني إسرائيل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع؛ فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيلهُ وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

ولنتأمل أحوالنا اليوم: انظروا إلى العامل الذي يعمل عند صاحب عمل ما، وصاحب العمل هذا يغش في عمله ـ أي: في صناعته ـ فالعامل في بداية الأمر أنكر عليه فعل ذلك المنكر وقال: هذا حرام، واتق الله يا

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٣٦١).

صاحب العمل فإن هذا لا يجوز، ولكن ذلك لم يمنع العامل من أن يبقىٰ يعمل عند صاحب العمل! ولو أنه أنكر وترك لنجا لكنه أنكر وبقي عند صاحب العمل يرى الغش بعينه بل لقد أصبح ـ مع مرور الأيام ـ يقوم هو بذاك الغش ويقول: لقد أنكرت! لا أيها العامل، تيقّظ فإنك لمّا طال عليك الزمن أصبح المنكر والغش عندك مألوفاً فأصبحت لا تنكر المنكر، بل أصبحت تراه أمراً طبيعياً، بل ومن المؤسف أن ترى هذا العامل إذا كبُرَ وأراد أن يفتح مصلحة خاصةً به مثل التي كان يعمل فيها قام بالغش الذي كان يقوم به صاحب العمل، ولا يرى في ذلك بأساً لأنه أصبح لا ينكر المنكر ولا يأمر بالمعروف، فاسودَّ قلبه!

وكذلك ترى كثيراً من الناس من يخرج مع زوجته إلى الشارع وهي كاسية عارية متبرجة ملعونة كأنها شيطانة! بل إنه يراها بأم عينه وهي تصنع ذلك بنفسها أمام المرآة، ثم تخرج معه إلى العرس، أو إلى الشارع وربما حتى أنه يراها وهي ترقص أمام الرجال فلا يرى بأساً بذلك!

وهذا الرجل يرى ابنه في البيت لا يصلي، وربما أن زوجته الصائمة تأتي لهذا الولد بالطعام في نهار رمضان فيأكل أمام أمه وأبيه ولا يرى أحدٌ منهما أن في ذلك بأساً لأن الولد هو الذي يقوم بالتجارة ويأتي بالدنانير!

أمة الإسلام! آن الأوان أن نستيقظ وإلّا اللعنة اللعنة، أما تقرأون هذه الآيـــة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ الآية [المائدة: ٧٨].

رابعاً: أهل الجنة كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ليتحصلوا على نصر الله، فالله ﷻ ينصر مَنْ نصره، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها ومن صفات أهلها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاتقوا الله عباد الله.

وهنا سؤال مهم ألا وهو:

كيف كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لنفعل كما فعلوا؟

أولاً: إنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة استجابة لأمر ربهم الذي قال لرسوله ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

ثانياً: إنهم كانوا لا يخالفون ما يقولون بل كانوا يفعلون ما يقولون ليكونوا قدوة حسنة، لِمَ؟ لأن الله ﷻ قال على لسان شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ﴾ [هود: ٨٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

قال أحدهم:

يا أيُّهَا الرجلُ المعلمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لنفسِكَ كانَ ذا التعليمُ

وقال ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحىٰ فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه**»(١).

ثالثاً: كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالعلم والبصيرة لا بالجهل والخرافات، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة هي: العلم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٩٤)، م: (٢٩٨٩).

فعلى الداعية الآمر بالمعروف أن يكون على علم بالمعروف الذي يأمر به، وأن يكون على علم بالمنكر الذي ينهى عنه، وإلا نهى عن المعروف وأمر بالمنكر وهذا لا يكون إلا من صفات المنافقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

رابعاً: إنهم تسلحوا بسلاح الصبر، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إذا لم يتسلح بسلاح الصبر فشل من اللحظة الأولى، ولذلك قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، وقال رب العزة على لسان لقمان وهو يعظ ولده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧]، وأقسم ربنا جل وعلا أن بني الإنسان لفي خسر إلا الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصبروا على ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، والحق هو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فيا أمة الإسلام! اتقوا الله، وإذا أردتم الجنة فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر كل حسب استطاعته؛ إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. يقول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١). أما أَنْ تبقى هكذا أيها المسلم دون أن تنكر بيدك أو بلسانك أو بقلبك وتختار أن تكون ساكتاً كالفئة التي سكتت من بني إسرائيل؛ فلا يا عبد الله فإما أن تنجو وإما أن تعذب في نار جهنم؛ لأن هناك من المنكر ما تستطيع أن تغيره بيدك ومنه

---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

ما هو في بيتك، أما إن عجزت فبلسانك، فإن عجزت فبقلبك تنكر ذلك ولا تعجز.

فإذا رأيت زوجتك متبرجة فأنت تستطيع أن تغير هذا المنكر بيدك وإلا فبلسانك، قل لها: اتقي الله إن الله حرم التبرج، قل لها إنَّ: الكاسيات العاريات في نار جهنم، عظها وائتها بشريط يتكلم عن التبرج أو بكتاب، إن فعلت ذلك فقد نجوت أنت وهي من عذاب الله وتكون قد ٱستجبت لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يجعلنا وإياكم من الآمرين بالمعروف
والناهين عن المنكر على بصيرة





صفات أهل الجنة

٣٢ ـ الاستقامة

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثانية والثلاثين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الاستقامة».**

عباد الله! أخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا قد استقاموا على عقيدة التوحيد، استقاموا على أمر ربهم، وربوا أنفسهم على الاستقامة في كل شيء، فكان حالهم استقامة على الأعمال الصالحة، واستقامة على المنهج الصحيح حتى أتاهم اليقين وخرجوا من هذه الدنيا على الاستقامة ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

عباد الله! **هنا سؤال مهم وهو:**

لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يحرصون على الاستقامة على أمر ربهم؟

فلنستمع؛ لنكون مثلهم لنعمل كما عملوا، ولنكون معهم في الجنة.

الجواب ـ أولاً: لأن الله سبحانه تعالى أمرهم بالاستقامة في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦]. وقال تعالى في موضع آخر لرسوله ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٢ ـ ١١٥].

• وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، فقال ﷺ: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»(١).

• فأهل الجنة وهم في الدنيا لما علموا أن الله ﷻ أمرهم بالاستقامة، وأن رسول الله ﷺ أمرهم بالاستقامة استجابوا لأمر ربهم، واستجابوا لأمر رسولهم ﷺ واستقامت قلوبهم على (لا إله إلا الله) فلم يقعوا في الشرك؛ واستقامت جوارحهم على الأعمال الصالحة، فلم يقترفوا المعاصي والذنوب، وإن فكروا في المعصية فقبل أن يقترفوها تذكروا الوقوف بين يدي الله ﷻ فتابوا وأنابوا قبل أن يقعوا في المعصية، وإن اقترفوها ووقعوا فيها تذكروا الله ﷻ فاستغفروه ومن يغفر الذنوب إلا الله؟! لقد استقاموا على المنهج الصحيح ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض.

فأهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا إذا صاموا رمضان مثلاً استقاموا على الصيام بعد رمضان فاتبعوه بصيام ستٍ من شوال وصاموا الاثنين والخميس، وصاموا ثلاثة أيام من كل شهر، وصاموا يوم عرفة وإن كان هذا كله من النافلة لكنهم استقاموا على صيام النافلة بعد الفريضة

---

(١) **صحيح**: م: (٣٨).

ليكونوا ممن استقاموا على أمر الله حتى يأتيهم اليقين؛ لأن الرسول ﷺ أخبر أن «**من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً**»[١].

وقال ﷺ: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر**»[٢].

• أهل الجنة وهم في الدنيا كانوا إذا قاموا رمضان لم يحرموا أنفسهم من القيام بعد رمضان استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]. ولقوله ﷺ: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»[٣]. ووصف ربنا جل وعلا أهل الجنة بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، ووصفهم بأنهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً في رمضان وفي غير رمضان.

أهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا إذا زكوا أموالهم وزكوا أنفسهم في رمضان كانوا لا يحرمون أنفسهم من الصدقة والإنفاق بعد رمضان، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: ١٠، ١١]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤]. ولقوله ﷺ: «**من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة**»[٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦٨٥)، م: (١١٥٣).
(٢) **صحيح**: م: (١١٦٤).
(٣) **صحيح**: خ: (١٠٧٠)، م: (٢٤٧٩).
(٤) **صحيح**: خ: (٢٣١٠)، م: (٢٥٨٠).

● أهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا إذا قرءوا القرآن، وأطعموا الطعام، وحافظوا على الصلاة، وتابوا إلى الله في رمضان استقاموا على ذلك كله بعد رمضان استجابة لأمر ربهم واستجابة لأمر رسولهم ﷺ.

فيا أمة الإسلام! حافظوا وتمسكوا بالاستقامة بعد رمضان، فها هو قد انتهى رمضان، وها نحن في الأيام الأخيرة منه، فاحذروا أن تهجم عليكم الشياطين بعد رمضان فتنتكسوا على رؤوسكم مرة ثانية، فتعودوا إلى ترك الصلاة، أو تعودوا إلى البخل والشح، أو تعودوا إلى ترك الإنفاق في سبيل الله، أو تعودوا إلى المعاصي! إياكم؛ فإن الموت يأتي بغتة ولا تنسوا أن الله ﷻ إله يُعْبَدُ في رمضان وبعد رمضان، فاتقوا الله يا أمة الإسلام.

ثانياً: أهل الجنة كانوا قد استجابوا لأمر ربهم، واستقاموا على أمر ربهم في هذه الدنيا؛ ليبُشروا بالجنة في الدنيا ـ عند الموت ـ وفي الآخرة، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]. وهؤلاء هم من استقاموا على الإيمان، واستقاموا على التقوى، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

● أما البشرى في الدنيا بالجنة فتكون عند الموت للذين استقاموا على أمر الله لهم بالصلاة والصيام والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وطاعة الله من كانوا يستقيمون على ذلك بالليل والنهار حتى نزل بهم الموت، فعندها تتنزل عليهم الملائكة ـ وهم في فراش الموت ـ تبشرهم بجنة عرضها السموات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

والله ﷻ يقول في آخر سورة الواقعة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ فيا لها من بشرى تأتيك عند الموت!! ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٩١]. فالذين استقاموا يبشرون بالجنة عند الموت، أي: في الدنيا قبل أن يخرجوا منها.

● أما البشرى يوم القيامة في أرض المحشر، يوم لا ينفع مال ولا بنون فتكون لهم هناك على الصراط، فتخيل وأنت تسير على الصراط ـ وما أدراك ما الصراط ـ أن تبشر بالجنة! قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب الاستقامة ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ أي: أنهم أخذوا كتاب أعمالهم بأيمانهم بسبب الاستقامة ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

ثالثاً: أهل الجنة استقاموا في هذه الدنيا على أمر ربهم؛ لأنهم علموا وأيقنوا أن سعادة الدنيا والآخرة بالاستقامة على أمر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦]، نعم والله يا ربنا لو ٱستقمنا على طريقة محمد ﷺ لسُقينا ماء غدقاً، فها هم الصحابة الكرام استقاموا على طريقة نبيهم ﷺ حتى بعد موته، فبالله عليكم يا أمة الإسلام بماذا أنعم الله على الصحابة عندما استقاموا على طريقة نبيهم؟ لقد فتحوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها، ودانت لهم الفرس والروم، وأصبحوا أعز الناس، لكن لما انتكسنا على أُم رؤوسنا ولم نستقم واعوججنا فها هي أراضينا قد ذهبت، والذل والهوان يُصبُ على رؤوسنا، والضنك قد غلف معيشتنا!، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ أي: لو أنهم استقاموا ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

رابعاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا استقاموا على أمر ربهم خوفاً

من عذاب الله، فكما أن الله ﷻ أعد الجنة لمن استقام، فقد أعد النار لمن أعوج، اسمعوا ماذا يقول رب العزة: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ وهم الذين استقاموا ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ وهم الذين اعوجوا في هذه الدنيا ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾، فمن هم الذين اعوجوا عن الصراط المستقيم، صفهم لنا يا ربنا: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف: ٤٤، ٤٥]. فهناك عذاب في جهنم ينتظر الذين يصدون عن سبيل الله، وعن الإسلام والذين لا يريدون الإسلام، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ من هم يا ربنا؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ [هود: ١٨، ١٩].

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها؛ ومن صفات أهلها أنهم استقاموا في هذه الدنيا على أمر ربهم.

عباد الله! من استقام منكم في رمضان فليستقم بعد رمضان، وراقبوا أنفسكم، واتقوا الله ﷻ، فالله هو ربكم فاْعبدوه في رمضان وبعد رمضان، واتقِ الله يا مسلم يا من تنوي أن تَعُوْد إلى المعاصي مرة ثانية بعد رمضان! يا من سيترك الصلاة ويعود إلى المعاصي والكفران! اتقوا الله ﷻ، ومن صام في رمضان فليحافظ على الصيام بعد رمضان، ومن قام فليحافظ على قيام الليل بعد رمضان ولو بركعتين، ومن أنفق وزكى وأطعم الطعام في رمضان، فليتقِ الله بعد رمضان وليستقم على ذلك ومن قرأ القرآن وحافظ على صلاة الجماعة في رمضان فليتقِ الله بعد رمضان وليستمر على ذلك ومن تاب ورجع إلى ربه في رمضان فليستقم على توبته بعد رمضان.

ومن الأمور التي تعين على الاستقامة بعد رمضان:

أولاً ـ دروس العلم الشرعي:

حافظوا على دروس العلم الشرعي التي تقام في بيوت الله؛ فإن في

هذه الدروس رحمة وسكينة، وفيها فقه وعلم، فإنك يا أخي تعود بعد الدرس مشحوناً بالإيمان طوال الأسبوع مما يدفعك إلى الاستقامة، وأما إذا كنت طوال يومك مشغولاً بجمع المال ثم بالليل معتكفاً على المفسديون فمتى ترجو أن يزداد الإيمان في قلبك؟ ومتى تستقيم؟ وما الذي سيدفعك إلى الاستقامة؟ عباد الله! إنْ سمعتم عن درس علم فهرولوا إليه، وتواضعوا واجلسوا في بيت الله واستمعوا إلى (قال الله) و(قال رسول الله)؛ لعله أن يقال لكم: قوموا مغفوراً لكم.

ابن آدم! وإذا وجدت قوماً يذكرون الله فكن معهم، فإن كنت عالماً نفعك علمك، وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم، فإن دروس العلم تزيد من الإيمان، والإيمان إذا ازداد دفع صاحبه إلى الاستقامة، والمرء إذا استقام ازداد إيمانه، فالعلاقة وثيقة بين الإيمان والاستقامة ولذلك جمع رسول الله ﷺ ذلك في وصيته البليغة عندما قال له رجل: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك فقال له: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»(١).

ثانياً ـ عليكم بمصاحبة الصالحين:

لأن الصاحب ساحب، فإن صاحبت الصالحين سحبوك إلى الاستقامة، واستقمت معهم، فإن ذكرت الله أعانوك، وإن نسيت ذكروك، أما مصاحبة الأشرار فإنها تدعوك إلى الاعوجاج وٱرتكاب المعاصي.

ثالثاً ـ عليك أن تقصر الأمل في هذه الدنيا الفانية:

ٱبن آدم! عليك أن تعلم بأن الموت يأتي بغتة وأن الدنيا لم تدم لأحد، ولو دامت لأحد لدامت لمحمد ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وكان ﷺ يقول لأحد أصحابه: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(٢)، وأنت تعلم أن الغريب مهما طالت غربته فلا بد أن يرجع إلى بلده، وهكذا

(١) **صحيح**: م: (٣٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).

الإنسان مهما طالت به الدنيا فلا بد أن يموت ويخرج من هذه الدنيا إلى الآخرة للحساب والجزاء.

رابعاً ـ عليك أن تتذكر الموت، وما أدراك ما الموت وما سكرات الموت!؟

إن ذكرك للموت سيدفعك إلى الاستقامة، فتذكر إذا وضعوك في القبر وحدك وأهالوا عليك التراب، ثم جاءك منكر ونكير وفي هذا الامتحان وهذه الفتنة الصعبة، تذكر ذلك فإنه سيدفعك إلى الاستقامة فتنجو من عذاب القبر، ثم تذكر وقوفك يوم القيامة، ومثل نفسك وأنت واقف بين يدي الله يسألك لِمَ فعلت كذا في يوم كذا في مكان كذا في ساعة كذا وكذا؟ تذكر ذلك فإنه يدفعك إلى الاستقامة، فما منكم يا عباد الله إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان.

ابن آدم!

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرض عُريانا ... مستوحشاً قَلِقُ الأحشاءِ حيرانا
والنار تلهبُ من غيظٍ ومن حنقٍ ... على العصاة وربُ العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حَرْفاً غير مَا كانا
لما قرأت ولم تُنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكاناً

فاستقم أيها مسلم كما أمرت في رمضان وبعد رمضان، وإياك أن تعود إلى المعاصي.

اللهم احفظنا من كيد الشيطان

❁ ❁ ❁



صفات أهل الجنة

٣٣ ـ طهارة القلوب

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثالثة والثلاثين من صفات أهل الجنة ألا وهي: «طهارة القلوب».**

أمة الإسلام! يخبرنا الله ﷻ في كتابه أن أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ كانوا يطهرون قلوبهم من العقائد الفاسدة، ومن الشبهات، ومن الأمراض الخطيرة، وأنهم كانوا يزينون قلوبهم بالعقيدة الصحيحة والإيمان الصادق، فلما فعلوا ذلك فازوا بجنة عرضها السموات والأرض. يقول الله ﷻ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣١ ـ ٣٥]. فمن ميزات أهل الجنة أن الواحد منهم جاء بقلب منيب، لقي ربه بقلب طاهر سليم، لقي ربه يوم القيامة بقلب حي ففاز بجنة عرضها السموات والأرض.

عباد الله! **لماذا كان أهل الجنة وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يطهرون قلوبهم من العقائد الفاسدة، ومن الشهوات والشبهات، ومن الأمراض الخطيرة؟**

الجواب ـ أولاً: لأنهم قد علموا وأيقنوا أن صلاح الجسد بصلاح القلب، وأن فساد الجسد بفساد القلب. فأنت إن رأيت إنساناً يسارع إلى الأعمال الصالحة فاعلم بأن قلبه حي، وإن رأيت إنساناً يسارع إلى

المعاصي فاعلم بأن قلبه إما مريض وإما ميت، يقول ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كُلُّهُ، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(١).

والقلب من أعظم نعم الله على الإنسان، والله ﷻ سائلك يوم القيامة عن هذه النعمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فإن وجدت من نفسك إقبالاً على الطاعات، إقبالاً على دروس العلم وإقبالاً على سماع القرآن فأبشر بكل خير، وإن وجدت من نفسك إعراضاً عن الصلاة، وإعراضاً عن سماع القرآن، وإقبالاً على المعصية فهذا مؤشر يؤشر بالشر.

ثانياً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا طهروا قلوبهم، لينتفعوا بالقرآن، ولعل الكثير منا يا عباد الله اليوم لا ينتفع بقراءة القرآن؛ لأنك تراه آكلاً للربا وهو يقرأ آيات الربا فلا يتوب! وتراه يسمح لابنته وزوجته بالتبرج ويقرأ الآيات التي تحرِّم التبرج ومع ذلك لا ينتفع بالقرآن! بسبب ذلك لم تطهر قلوبهم بل مرضت قلوبهم، ووالله لو طهرت قلوبهم لانتفعوا من كلام ربهم، ولذلك يقول ربنا جل وعلا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في هذا القرآن ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لمن يا ربنا؟ ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: قلب حي سليم ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ثالثاً: أهل الجنة طهَّروا قلوبهم في هذه الدنيا، لينجوا يوم القيامة من عذاب الله، ٱبن آدم! لن تنجو يوم القيامة بمالك ولا بأولادك، ولا بمنصبك إنك إذا وقفت بين يدي الله لن تنجو إلَّا أن تأتي بقلب سليم حيٍّ طاهرٍ، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] أما الذين يأتون يوم القيامة بقلوب قاسية، فالله ﷻ يقول فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٢).

ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

رابعاً: أهل الجنة طهَّروا قلوبهم وهم في هذه الدنيا، ليدخلوا الجنة، فالجنة أعدت لأصحاب القلوب الطاهرة، أما أصحاب القلوب الميتة المريضة فإنهم يعذبون في جهنم، بينما أصحاب القلوب الطاهرة من طهَّروا قلوبهم من الحقد والحسد والضغينة على المسلمين فهؤلاء يدخلون الجنة، قال ﷺ: «**يدخل الجنة أَقوام أفئدتهم مثل أَفئدة الطير**»(١).

أي: أن قلوبهم رقيقة.

إخوة الإسلام! **لعل سؤالاً يدور الآن في أذهاننا وهو:**

كيف يستطيع أحدنا أن يطهر قلبه؟

نعم اشتقنا إلى الجنة ونريد ـ والله ـ أن نسكن الجنة، وإذا كانت طهارة القلوب سبباً لسكنى الجنة فكيف يطهر أحدنا قلبه؟

أولاً ـ عليك أن تزين قلبك بالعقيدة الصحيحة:

بالإيمان الصادق بـ(لا إله إلا الله) يعتقدها أحدنا في قلبه وينطق بها بلسانه ويعمل بها بجوارحه، ويحبها ويحب مَنْ قالها، ويحب أهلها، ويعطي ويمنع من أجل (لا إله إلا الله)، ويحب ويبغض من أجل (لا إله إلا الله)، قال ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة**»(٢)، فعلى المسلم أَن يزين قلبه بعقيدة التوحيد وأن يعمل بها، كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين**»(٣)،

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٤٠).

(٢) **صحيح**: حم: (٥/٢٣٦)، حب: (٢٠٠)، طب: (٤١/٢٠)، هب: (٤٧/١)، [«س. ص» (٢٣٥٥)].

(٣) **صحيح**: حم: (٣/٤٢٤)، ك: (٢٦/٣)، خد: (٦٩٩)، [«ص. خد» (٥٣٨)].

وهذا الدعاء مأخوذ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

ثانياً ـ عليك أن تبتعد عن المعاصي:

لأن المعاصي تسود القلوب، وتجعلها قاسية ثم تميتها، فمن نظر بعينه إلى امرأة في الشارع قسا قلبه، ومن دخن سيجارة قسا قلبه، ومن اغتاب المسلمين قسا قلبه، ومن استمع إلى الغناء والموسيقى قسا قلبه؛ فالمعاصي تسود الوجوه، وتقسي القلوب قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين: ١٤] وقال ﷺ: «**تعرضُ الفتن** ـ أي: المعاصي ـ **على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلبٍ أشربها نكتت فيه نكتةٌ سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنه ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه**»[١]، كالكوز مجخياً ـ أي: كالكوز المقلوب، وهذا الكوز المقلوب لا يمكن أبداً أن نضع فيه الماء، لذا فإن هذا الكوز لا فائدة فيه، والقلب الأسود كالكوز المجخي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، ولذلك تتعجب حين تجلس مع كثير من الناس وتتكلم عن الربا إذ يقول أحدهم: لا بأس بالربا! تتكلم عن التبرج فيقول: لا شيء في التبرج! تتكلم عن الزنا فيقول: حرية! تتكلم عن كل المعاصي فلا يراها شيئاً! أتعرفون السبب؟ لقد اسود قلبه فأصبح كالكوز المجخي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، حتى إذا قلت له: يا عبد الله، هذه ابنتك متبرجة كاسية عارية قال لك: لا بأس حرية شخصية! إنه لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً فقد مات قلبه بسبب المعاصي، فاحذروا المعاصي فإنها تميت القلوب، وإن أردت يا عبد الله أن تطهر قلبك فاحفظ سمعك وبصرك ويدك وفرجك وبطنك عن معاصي الله، وعندها يطهر قلبك بإذن الله.

(١) **صحيح**: م: (١٤٤).

ابن آدم!

رأيتُ الذنوبَ تُمِيتُ القلوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُلَّ إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوبِ وخيرٌ لنفسِكَ عصيانُها

ثالثاً ـ عليك بسماع القرآن:

كيف حالنا مع القرآن يا عباد الله؟ والله لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا؛ لأن الله ﷻ أخبرنا أن القرآن شفاء لما في الصدور والذي في الصدور إنما هي القلوب، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

هذا هو الشفاء، فشفاء القلوب بالقرآن، وأنتم يا من تحرصون على إدخال المفسديون في البيوت، يا من تربون أولادكم على شاشات المفسديون اعلموا أن القلوب تطهر بسماع القرآن، فكم يتلى القرآن في بيوتكم؟ وكم يفتح المفسديون في بيوتكم؟ فليجب كل منا نفسه يا عباد الله ليُعلم أن القلوب مريضة وقاسية، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

رابعاً ـ إذا أردت أن تطهر هذا القلب فعليك بذكر الله:

لأن القلوب تطمئن بذكر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، فالطمأنينة، والسعادة، والحياة الطيبة تزيد في البيت الذي يُذكر الله فيه ويقرأ فيه القرآن، ويُحافظ أَهلُه على أذكار الصباح والمساء، ويذكرون الله في كل حين.

يقول أحد الصالحين: (لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم إذا لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم)[١].

---

(١) حل: (٧/ ٣٧٠)، عن إبراهيم بن أدهم.

يقول هذا وما كان عندهم من بيوت فارهةٍ أو قصور، وما كان عندهم من كثير أثاث أو أموال إنما يعني سعادة القلوب بحياتها وطهرها.

خامساً: إذا أردت أن تطهر قلبك فعليك بكثرة الاستغفار، يقول ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»(١).

سادساً: إذا أردت أن تطهر قلبك فاحفظه من حب الدنيا، فإن حب الدنيا سبب لكل بلاء. يقول ﷺ: «**إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال**»(٢)، ويقول ﷺ: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ لم يرض**»(٣). أي: من كان رضاه، وسخطه مرتبط بالدينار فلا هم له إلا أن يجمع الدنيا وهذا دليل على أن الدنيا قد دخلت قلبه فقتلته، فالدنيا كالدابة إن ركبتها حملتك وإن ركبتك قتلتك، وأنت في الدنيا كالسفينة في البحر، والماء إذا دخل السفينة أغرقها، فكذلك الدنيا إذا دخلت قلبك قتلتك، فإياك أن تبقى سكران في حب الدنيا وتيقظ قبل أن ينزل بك ملك الموت فتقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ فيقال لك ﴿كَلَّآۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

سابعاً ـ إذا أردت أن تطهر قلبك فعليك بدروس العلم:

حافظوا على دروس العلم، واجلسوا فيها ليزداد الإيمان في قلوبكم، يقول الله ﷻ: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ [الحج: ٥٤]، فإذا جلست في درس علم يزداد الإيمان، وإذا جلست أمام المفسديون ينقص الإيمان، وإذا أردت أن تختبر إيمانك فافتح المصحف بعد درس العلم وستجد إقبالاً منك على القرآن قراءةً وحفظاً، وافتح

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٠٢).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٣٦)، حم: (٤/ ١٦٠)، حب: (٣٢٢٣)، ك: (٤/ ٣٥٤)، طب: (١٩/ ١٧٩)، طس: (٣/ ٣٢٥)، هب: (٧/ ٢٨٠)، [«ص. ج» (٢١٤٨)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢٧٣٠).

المصحف واقرأ بعد النظر إلى المفسديون ساعات لترى مللاً وإعراضاً عن المصحف، وهذا يدل على أن القلب يطهر بسماع القرآن ودروس العلم، ويقسو بغير ذلك.

عباد الله! من أراد منكم الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، ومن صفات أهلها طهارة القلوب، فطهروا قلوبكم، وحافظوا عليها، واتقوا الله فيها، فإن الله ﷻ قد توعد أَصحاب القلوب القاسية بنار جهنم، ووعد أَصحاب القلوب الطاهرة بجنة عرضها السموات والأرض، واعلموا عباد الله أن القلوب تنقسم إلى ثلاثة أقسام، ولتنظر يا عبد الله من أي الأقسام قلبك:

القسم الأول: وهو القلب السليم الطاهر الحي، وهذا صاحبه هو الذي يسعد في الدنيا وينجو من عذاب الله يوم القيامة كما سمعتم، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، فهذا القلب السليم صاحبه كان يحب لله ويبغض لله، ويعطي الله ويمنع لله، يعرف المعروف ويعمل به، وينكر المنكر فيبتعد عنه، فصاحب هذا القلب هو الناجي.

القسم الثاني: وهو القلب الميت القاسي، وهذا القلب هو قلب الكفار والمشركين الذين يعادون الله ورسوله، وصاحب هذا القلب لا ينجو أبداً لأنه لا يعرف إلا هواه، فهذا القلب يتبع هواه فهو الذي يأمره وينهاه، تراه يركض بالليل والنهار خلف شهواته ولا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، صاحب هذا القلب أصبح الحلال عنده ما أحله هواه، والحرام ما حرمه هواه، فهذا عافانا الله وإياكم قد مات قلبه، فلا فرق بينه وبين أصحاب القبور.

القسم الثالث: وهو القلب المريض، فهذا القلب ليس بالسليم وليس بالميت فيه مادة حياة وفيه مرض إن قويت فيه الحياة على المرض انتقل إلى القلب السليم، وإن زاد المرض وتعدى على ما فيه من حياة انتقل إلى القلب الميت.

عبادَ الله! وأمراض القلوب كثيرة نذكر منها ما يلي على سبيل المثال لتكونوا منها على حذر، ولأننا نعلم جميعاً أن كثيراً من المسلمين تندرج قلوبهم تحت هذا القسم الثالث من القلوب وهو القلب المريض، فنقول: بالله التوفيق ـ: .

المرض الأول ـ هو مرض النفاق:

وهو مرض خطير يصيب القلب حتى يجعل صاحبه يرتد بعد الإيمان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣]، لم لأن هؤلاء قد تمكن النفاق من قلوبهم فارتدوا على أدبارهم، يقول الله ﷻ واصفاً هؤلاء: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

المرض الثاني ـ وهو مرض الشبهة:

ترى الشيطان يلقي على هذا القلب المريض الشبهات فتراه ينتكس على أم رأسه، كما نرى كثيراً من الفرق الضالة التي انتكست بسبب هذه الشبهات، قال ـ تعالى ـ: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣].

فالشيطان يلقي بالشبهة على قلب الإنسان؛ فإن كان مريضاً أشربها وانتكس على أم رأسه ومثال ذلك:

١ ـ أن يأتي الشيطان لمريض القلب فيقول له: مَنْ خلقك؟ فيقول: الله، فيقول له: ومَنْ خلق الله؟ وهذه شبهة يلقيها على القلب فيقبلها لأنه بسبب ما فيه مرض.

٢ ـ أو يأتي الشيطان فيقول له: أليس الله على كل شيء قدير؟ فيقول: بلى، فيقول: هل يستطيع ربك أن يضع هذا الكون كلُّه في بيضةً؟. . . وهكذا.

المرض الثالث ـ وهو مرض الشهوات:

فلعل كثيراً من الناس إن رأى امرأة في الشارع اشتعل قلبه شوقاً لها، وتعلقاً بها، وطمعاً فيها، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وهذا هو مرض الشهوة.

وهناك الكثير من الأمراض الأخرى مثل مرض الحسد، ومرض التباغض، حيث ترى الأخ يحسد أخاه! وترى الجار يحسد جاره! وهذا الحسد يقتل الحاسد ولا يضر المحسود شيئاً إلا بإذن الله.

فعليكم يا عباد الله، أن تطهروا قلوبكم من هذه الأمراض لتكونوا أهلاً لأن تسكنوا الجنة؛ فالله ﷻ أعد الجنة وزينها لأصحاب القلوب الطاهرة.

أسأل الله العظيم رب العرش

العظيم أن يطهر قلوبنا من الغل والحسد والنفاق ومن جميع الأمراض





صفات أهل الجنة

٣٤ ـ الحرص على طلب العلم الشرعي ومجالس العلم

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الرابعة والثلاثين والأخيرة من صفات أهل الجنة، ألا وهي: «الحرص على طلب العلم الشرعي، ومجالس العلم».

عباد الله! يخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ أن أهل الجنة كانوا وهم في هذه الدنيا ـ في دار العمل ـ يحرصون على حضور مجالس العلم، ويحرصون على طلب العلم الشرعي، ولمّا فعلوا ذلك فازوا بجنة عرضها السموات والأرض، يقول الله ﷻ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩]، إلى أن قال رب العزة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤].

عباد الله! في هذه الآيات جعل الله ﷻ الناس على رجلين: رجل عالم ورجل أعمى، فالعالم هو الذي يعرف ربه، وهو الذي يتعلم الهدى ودين الحق الذي جاء به محمد ﷺ من عند ربه، والأعمى هو الجاهل الذي لم يعرف ربه، ولم يتفقه في دين الله، فتراه يتخبط في ظلمات الجهل ولا يهتدي سبيلاً، يعصي الله ويظن أنه يحسن صنعاً وكالأعمى تماماً لا يهتدي سبيلاً في طريقه.

وفي هذه الآيات يبين لنا ربنا جل وعلا أن العلم يدفع صاحبه إلى العمل، فتأمل؛ فإن الذين يعلمون دفعهم علمهم إلى العمل، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن

يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٠ ـ ٢٤].

نعم، لقد دفعهم العلم إلى العمل، كما قال تعالى موضع آخر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]. وفي الآيات التالية يخبرنا ربنا جل وعلا أن العلم أورث أصحابه الخشية والخوف من الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾، وأخبرنا الله ﷻ أن العلم هو الذي دفع أصحابه إلى العمل وأورثهم الخشية ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، وقال ربنا في موضع آخر: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١]، فالله ﷻ يرفع الذين آمنوا في الدنيا والآخرة ويرفع فوقهم أُولي العلم درجات، ويقول ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**»(١).

عباد الله! نقول هذا ونحن في عصر قد زهد فيه الناس بالعلم الشرعي إلا القليل منهم، والكثير منهم قد أقبل على الدنيا الفانية يجمعها بالليل والنهار، لا هم له إلا أن يجمع المال، وكأن المال هو الطريق إلى الجنة، لا يا ابن آدم، والله إن العلم هو الطريق إلى الجنة؛ العلم الذي جاء به محمد ﷺ، فوالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه لو أنك تحمل كل شهادات الدنيا ولم تعرف ربك، ولم تعفر جبينك لله ﷻ، ولم تتفقه في دين الله فأعلم أنك من أجهل الجاهلين، وإذا عرفت الله وعبدت الله

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

على علم فأنت من أعلم الناس في الدنيا والآخرة وإن كنت لا تحمل أي شهادة، فانظروا عباد الله إلى أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ وهم الصحابة من أي الجامعات تخرجوا؟ وأي شهادات عليا كانوا يحملون؟ إنهم إنما تخرجوا من مدرسة محمد ﷺ، ففتحوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها، وها نحن اليوم يا عباد الله نحرص على شهادات الدنيا، وكل منا يربي ولده على أن يتحصل على شهادات الدنيا، وكأنه يقول له: أنت بهذه الشهادات تفوز في الدنيا والآخرة، وكأنه يقول له: بهذه الشهادة تدخل جنة عرضها السموات والأرض!.

فتعالوا نسأل أهل الجنة لماذا طلبتم العلم الشرعي؟ لماذا حرصتم على مجالس العلم الشرعي؟ لنعمل كما عملوا ونفوز كما فازوا.

الجواب ـ أولاً: لأن الله ﷻ أمر بذلك في كتابه، والرسول ﷺ أمرهم بذلك في سنته، ويجب على المسلم إذا أمره الله وأمره رسول الله ﷺ أن يقول: سمعنا وأطعنا، فالله ﷻ يأمر في كتابه رسوله ﷺ ويأمر كل مسلم قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

يا أيها المسلم، الله ﷻ يقول لك: فاعلم، أي: تعلم (لا إله إلا الله)، افهم معنى (لا إله إلا الله)، فكم من المسلمين من يصلي، ويذبح لغير الله؟ وهذا جهل بـ (لا إله إلا الله)! كم من المسلمين يصلي ويدعو غير الله؟ فهو من أجهل الجاهلين بـ (لا إله إلا الله)! كم من المسلمين من يصلي ويذهب إلى السحرة والمشعوذين؟ وهذا جهل بـ (لا إله إلا الله).

إخوة الإسلام! أستحلفكم بالله أجلستم يوماً أمام المفسديون أو عبر محطات (الستالايت) فتعلمتم معنى لا إله إلا الله.؟!

الله ﷻ يقول: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أي: اعلم أنهُ لا معبود بحق إلا الله، أي: تعلم معنى (لا إله إلا الله).

إن الكفار من أهل الجاهلية يا عباد الله كانوا يعرفون معنى (لا إله إلا الله) ويعلمون أنهم إن قالوها ودخلوا في الإسلام وجب عليهم أن يعملوا

بمقتضاها، ولذلك كانوا لا يقولون (لا إله إلا الله) لأنهم علموا أنهم إذا قالوها عملوا بمقتضاها.

بوب الإمام البخاري في «صحيحه» (باب العلم قبل القول والعمل)، أي: عليك قبل أن تتكلم وقبل أن تعمل، يجب أن تتعلم انطلاقاً من هذه الآية: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]، ومن قوله تعالى آمراً بالعلم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢].

ويقول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١)، ويقول ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(٢)، فأهل الجنة لما أمرهم الله بهذا، ولمّا أمرهم رسول الله ﷺ بطلب العلم استجابوا لله ولرسوله لمّا دعاهم لما يحييهم، فتعلموا العلم، وحضروا مجالس العلم، ففازوا بجنة عرضها السموات والأرض.

ثانياً: أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يحرصون على حضور مجالس العلم؛ لأنهم قد وجدوا في كتاب الله أن الله ﷻ لم يسوِ بين أهل الجنة وأهل النار، ولم يسوِ بين الأعمى والبصير، ولم يسوِ بين الطيب والخبيث، ولم يسوِ بين الظلمات والنور والظل والحرور. وكذلك لم يسوِ بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ﴾ [الزمر: ٩]، فمن يقول: إن الذي يعبد الله على علم كالذي يعبد الله على جهل؟! لا يقول ذلك إلا جاهل.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٢٤)، طب: (١٠/ ١٩٥)، طس: (١/ ٧)، طص: (١/ ٣٦)، ع: (٥/ ٢٢٣)، بز: (١/ ١٧٢)، هب: (٢/ ٢٥٣)، [«ص. ج» (٢٩١٣)].

(٢) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).

ثالثاً: وجد أهل الجنة أن الله ﷻ لم يأمر رسوله أن يسأله المزيد من شيء إلا من العلم، فعلموا أن العلم شيء عظيم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، اقرءوا القرآن يا عباد الله، ولن تجدوا أبداً أن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يطلب منه المزيد من شيء إلا من العلم الشرعي، فكان ﷺ دائماً يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً**»[(١)]، وقد امتن الله ﷻ على رسوله ﷺ بنعمة العلم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

رابعاً: أهل الجنة وهم في هذه الدنيا كانوا يحرصون على طلب العلم الشرعي، لأنهم علموا وأيقنوا أن العلم الشرعي يورث الخشية في القلوب، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

خامساً: أهل الجنة كانوا يحرصون على طلب العلم؛ لأنهم علموا أن فضل العلم عظيم، يكفي يا عباد الله أن الله ﷻ استشهد بالعلماء على أفضل شهادة وهي شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)، قال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]. فانظروا يا عباد الله يكفي شرفاً للعلم ولأهله أن استشهد الله بهم على أعظم شهادة وهي (لا إله إلا الله)، شهد الله لنفسه بالوحدانية، وشهدت الملائكة لربها بالوحدانية، وشهد من بني آدم أولو العلم لله ﷻ بالوحدانية.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٩٢٥)، حم: (٦/ ٢٩٤)، لس: (١٦٠٥)، ع: (١٢/ ٣٦١)، ش: (٦/ ٣٣)، هب: (٢/ ٣٨٤)، [«ص. هـ» (٧٥٣)].

أمة الإسلام! أما تقرءون هذه الآية؟ أما يكفيكم شرفاً أن تقبلوا على مجالس العلم وعلى دروس العلم، وأن تتعلموا وتتفقهوا في دين الله فتكونوا من أهلها؟

عباد الله! العلم الشرعي هو ميراث الأنبياء، ويكفيك شرفاً يا طالب العلم، ويا أيها المسلم وأنت قادم إلى بيت الله لتحضر درساً من دروس العلم أَنك قادم لتأخذ حظك من ميراث رسول الله ﷺ، فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر، يقول ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالِم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(١).

فضل عظيم وشرف عظيم أنك تأخذ من ميراث الأنبياء ـ من ميراث محمد ﷺ ـ لتكون معهم في جنات النعيم، ويقول ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه أو عالماً أو متعلماً**»(٢).

فكن يا عبد الله عالماً تعلم الناس، أو متعلماً تتعلم دين الله، ولا تكن الثالث فتهلك، لا تكن صاحب هوى، ولا تأخذ دينك من المفسديون، ولا تكن ممن لا يدخل المسجد إلا في يوم الجمعة، ولا تكن ممن لا يعرف المسجد إلا إذا جاء محمولاً على الأعناق فتهلك في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من**

---

(١) **حسن لغيره**: د: (٣٦٤١)، ت: (٢٦٨٢)، هـ: (٢٢٣)، حم: (٥/ ١٩٦)، مي: (٣٤٢)، حب: (٨٨)، هب: (٢/ ٢٦٢)، [«ص. غ. هـ» (٧٠)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٣٢٢)، هـ: (٤١١٢)، طس: (٤/ ٢٣٦)، هب: (٢/ ٢٦٥)، [«ص. ج» (١٦٠٩)].

ثلاثة: **إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[(١)]، فانظر إلى قيمة العلم فإنه ينفعك في الدنيا، وبعد الموت، وانظروا إلى العالِم الذي يعلم غيره كم ينفع الناس في حياته، وبعد مماته، فكم من العلماء ماتوا ولكنهم أحياء في بيوتنا، نقرأ ونتعلم من سيرتهم، وكأنهم لم يموتوا يا عباد الله.

سادساً: أهل الجنة كانوا يحرصون على حضور مجالس العلم؛ لأنها مجالس بركة ففيها يتعلمون الحلال والحرام، وفيها يتعلمون التوحيد ويعرفون الشرك ليحذروه، وفيها يتعلمون السنة ويعرفون البدعة، وفيها يتحصلون على الأجر العظيم، فهي مجالس تحفها الملائكة، وتتنزل على من حضرها السكينة، وتغشاهم الرحمة، إنها مجالس يباهي الله بها الملائكة، يقول ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**[(٢)].

فقارن يا عبد الله بين هذه المجالس في بيوت الله وبين مجالس المفسديون، ومجالس الغيبة والنميمة ثم استيقظ يا أخا الإسلام، أترضى لنفسك أن تمكث أمام المفسديون هذه الساعات وتترك هذه المجالس الطيبة؟ أزهدت في العلم يا عبد الله؟ أرضيتم بالدون وتركتم دروس العلم، يا من رضيتم بالدنيا، والله إنه لعارٌ عليكم أن تفعلوا هذا.

يقول بعض السلف: (لو نافسني أحد في الآخرة لنافسته، ولو نافسني أحد في الدنيا لألقيتها إليه)، الدنيا يا عباد الله لا قيمة لها.

جاء رجل إلى عالم، لا تساوي الدنيا عنده شيئاً، ولا يهتم بالدنيا أبداً، فقال هذا الرجل الغني لهذا العالم الذي لا يملك شيئاً من الدنيا: إنك زاهد أيها العالم، فقال العالم الفقيه: والله أنت أيُّها الغني أزهد

---

(١) **صحيح**: م: (١٦٣١).

(٢) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

مني، فقال: وكيف؟ فقال: أنا زهدت في الدنيا الحقيرة التي لا قيمة لها، وأنت أيها الغني زهدت في الآخرة زهدت في جنة عرضها السموات والأرض، فمن أزهد من الآخر؟!.

عباد الله! هذا لقمان يعظ ولده ويقول له: (يا بني، تخير المجالس على عينك، فإن وجدت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن كنت عالماً، زادوك علماً وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم).

فيا إخوة الإسلام!: عليكم بالعلم وَمجالسَ العلم.

عباد الله! لا تنسوا أن الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وها نحن يا عباد الله قد تكلمنا عن الجنة وتكلمنا عن صفات أهلها، وتكلمنا عن الفائزين، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من سكانها وأهلها، فها هي الجنة فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ها هي الجنة وأهلها فيها ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٤ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ۝٤٥﴾ [الصافات: ٤٤، ٤٥]، ها هم أهلها فيها إذ قالوا: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [فاطر: ٣٤]، ها هم أهل الجنة ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣﴾ يقولون ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]. ها هم أهل الجنة وقد قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، هذه هي الجنة يا أمة الإسلام، والله ﷻ يدعوكم إليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٥﴾ [يونس: ٢٥]. هذه هي الجنة التي يدعوكم رسولكم الكريم إليها، يقول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟! قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(١)]، هذه هي الجنة، التي من دخلها كان هو الفائز حقيقة، قال

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ابن آدم! أما من دخل النار فوالله إنه هو الخاسر، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦]. تذكر أنك إن لم تدخل الجنة فمصيرك إلى النار دار البوار.

في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله ـ إن كان في العمر بقية نبدأ في الحديث عن النار دار البوار وعن صفات أهلها، سائلين المولى ﷻ أن يباعد بيننا وبين أهلها كما باعد بين المشرق والمغرب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

كتب صدرت للمؤلف

أ ـ العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، ٤ مجلدات.

ب ـ أحسن البيان، مجلد.

جـ ـ الدعاء النافع، مجلد.

د ـ سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام، مجلد.

هـ ـ الصحابة رضي الله عنهم، مجلد.

و ـ تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام، مجلد.

ي ـ حياة السعداء، مجلد.

ز ـ الفرقان من قصص القرآن، مجلد.